

صَمْقَادا

C I C A D A ••

عائشة بوشارب



لِيَوْمَةِ بُونَفَارِبَ

سِيكَادَا

صَمْقَادا

C I C A D A ••

لطالما قادني القدر الى ضلماته
لم يكن بجانبي احد غير قسوته
لذا ...

بحثت عن اللذة فيما اجيده فوجدتها في الانتقام
هل استسلم لما يسمى بالحب؟
ام اكمل طريقي نحو الجحيم؟



سِيكَادَا



عائشة بوشارب، أقصن في مليانة "المدينة المجهولة"
أعشق التحديات والهدوء...



در

الشوب

البلد

وطاعة

صمت سیکارا



دار السهوب للنشر والتوزيع والتطبعة

نوع العمل: رواية

اسم العمل: صمت سيكادا

اسم المؤلف: عائشة بوشارب

ISBN : 978-9931-819-48-6

الناشر: دار السهوب للنشر والطباعة والإعلام

صفحة الكاتبة على (فيسبوك) :

<https://www.facebook.com/boucharebaicha>

صمت سيكادا

رواية

عائشة بوشارب

١٢ مارس/ آذار 1994 كان يوماً من أيام الربيع، فصل السعادة والحب، كما

أسميه، لو اجتمعت كلمات الغزل الجميلة لما استطاعت وصفه، لكن ذاك اليوم كان مختلفاً تماماً الاختلاف عن الأيام التي نشهدها عادة في هذا الفصل، فلم تشرق شمس الربيع فيه كعادتها بعد أن منعها الغيوم السوداء من نشر أشعتها الصباحية التي تبث في النفوس السكينة والسلام، حتى زققة العصافير كانت بالكاد تسمع في ذلك اليوم الكئيب.

الساعة تشير إلى الواحدة والنصف زوالاً، ثلوج كثيفة تتتساقط، شوارع تكاد تخلو من المارة، صوت غريب يسمع وسط تساقط الثلوج، الصوت يقترب أكثر فأكثر.

فتحت باب المركز الذي أعمل فيه، كان مركزاً للمرضى النفسيين والمختلين عقلياً، مركز "سيدي مجاهد" القابع في أحد أطراف بلدية "مليانة" في إحدى ولايات الجزائر، ذلك المركز شهد أمراً عجيباً.

لم يكن ذلك الصوت سوى بكاء رضيع، وضع في قفة صغيرة وغطي بغطاء أبيض وشال بنفسيجي، لمحت فوقه ورقة صغيرة كتب عليها "اعتن بي أرجوك".

بكاؤه يرتفع أكثر فأكثر وكأنه يطلب الرحمة أو الشفقة على حاله، حملته سريعاً إلى الداخل وقد كانت حالته مزريّة تماماً، حاجته الماسة إلى الدفء دفعوني إلى حمله سريعاً إلى الداخل دون تفكير، نزعت عنه الغطاء المُبلل ثم غطيته بأخر نظيفاً ودافعاً أمام الموقد، وذهبت سريعاً لتحضير الحليب، انتبهت بالرضيع جيداً في ذلك اليوم.

الرضيع كان فتاة في غاية الجمال، "تانيلا" التي ترعرعت وكبرت في وسط غريب.

مضت أيام وأيام، والفتاة الصغيرة تكبر شيئاً فشيئاً، وما زلت أذكر ذلك اليوم جيداً، حين تعلمت المشي، وسط نظراتي ونظرات المرضى النفسيين الذين كانوا في غاية السعادة بها وهي تسقط وتنهض لتخطو خطواتها الأولى.

في يوم مشمس من صيف يوليو/تموز ، وبالضبط اليوم السابع من ذلك الشهر كان نزلاء المركز مجتمعين في ساحته، شُكّل بعضهم دائرة بأجسادهم وجلسوا يحدقون في بعضهم البعض في لعبة يخسر فيها من يضحك أولاً، مع أنهم لم يكفووا عن الضحك لحظة واحدة، وفيما جلس أحدهم يحدق في انعكاس صورته في نافورة الماء المتعطلة، جلس آخر مع قطة مشردة يمشط شعرها الذي لا يخلو من الحشرات، وأخذ آخرون يتحدثون مع أنفسهم بكلمات غير مفهومة، هكذا كانت غالبيتهم غارقة في عوالمها الداخلية.

في ظل هذا المشهد الغرائب، جلست الفتاة الصغيرة المنعزلة بمفردها على كرسي، وراحت تراقب المرضى من بعيد وتنتظر بين فينة وأخرى إلى ملصق تمسكه بيدها.

اقربت منها "سهيلة"، إحدى العاملات بالمركز، ابتسمت برقة ثم قالت:

هاه، لماذا تجلس صغيرتي "تانيا" بمفردها هنا ولا تلعب مع الآخرين؟

أجابتها تانيا بملل واضح خيّم على ملامح وجهها البريئة:

لأنني سئمت اللعب معهم يا حالة سهيلة، فلا يجيدون شيئاً غير الصرخ، كما أنني أريد هذه الآلة بشدة.

تعجبت سهيلة فلم تفهم مقصدها وسألتها بحيرة:

عن أي آلة تتحدثين يا حبيبي؟

أشارت تانيا بسبابتها إلى الملصق ثم قالت: هذه الآلة!

ارتسمت ابتسامة ممتنعة بالحب على وجه سهيلة وهي تقول: هذا اسمه حاسوب يا تانيا، وحينما تكبرين قليلاً وتدرسين وتتفوقين في دراستك وتتجدين عملاً لائقاً ستجدين الكثير من النقود، وحينها يمكنك الحصول على العشرات منه، فقط ثقي بنفسك وأمني بأحلامك، حتى لو كانت صغيرة.

ثم وجهت إصبعها نحو أنف تانيا وقرصتها مجازحة وأكملت قائلة بمرح: مثل أنفك الصغير.

قالت تانيا وقد علت الابتسامة محياتها: أنا أؤمن بأنني سأحقق كل أحلامي يا خالي سهيلة، وأول ما سأفعله لتحقيق حلمي هو الخروج من هذا المكان الذي أكرهه.

دمعت عينا سهيلة وقد فوجئت بما قالته الصغيرة: لقد كبرت يا تانيا، كبرت كثيراً، ستحققين كل ما تريدينه بفضل الله، آمني بذلك فقط، أعلم أنك ستحلحين يا حلوتي.

و قبل أن تنهي كلامها أنت عاملة أخرى مسرعة تحمل أوراقاً في يديها وهي تتدلي على سهيلة، فاستدارت سهيلة إليها متعجبة: ما بك يا "مراهم" مازا حدث؟!

أجابتها "مرام" بعدما استرجعت أنفاسها المقطعة وهي تعطيها الأوراق: أقرئي
هذا، إنها أوراق تخص...

في تلك اللحظة ظهر شخصان يسيران نحوهما، رجل يبدو في الخمسينات من
عمره، وامرأة تبدو في الأربعينات من عمرها، وقد ارتسمت على وجهيهما
ابتسامة لطيفة.

لم تستطع سهيلة كبح مشاعرها في تلك اللحظة، فسألت دموعها على كتف
تانياً التي كانت تحضنها بقوة وهي تقول: ستحققينالي يوم أول أحلامك يا
طفلتي الجميلة، فيها قد أتي قدرك.

لم تفهم تانياً ما تلمح إليه سهيلة، وما إن همت بسؤالها حتى وصل الرجل
والمرأة.

مرحباً يا تانياً، أنا "مصطفى" وأسأكون صديقك المقرب منذ هذه اللحظة،
دعيني أعرفك على زوجتي الحنون "زينب".

كانت ترتسن على وجه الرجل ابتسامة جميلة ورقيقة تثبت في النفس الأمان
والطمأنينة.

بعد الانتهاء من إجراءات التبني أخذ الزوجان تانياً معهما إلى بيتهما الجديد،
تحت أنظار المرضى النفسيين وعمال المركز وسهيلة التي اعتنى بها واهتمت
بتربيتها.

لم تستطع سهيلة كبح دموعها، بينما كان نزلاء المركز وموظفيه يودعونها،
بينما بعض أصحاب الحالات الصعبة لم يكونوا قادرين على إدراك ما يجري.

مرت الأيام، ومع كل يوم تصبح حياة تانياً أجمل بكثير، فقد سعى الزوجان إلى تعويضها عن كل ما عاشته في الماضي، أما تانياً عوضتهما عن سنوات الوحيدة التي عاشها دون أبناء.

كانا سعيدان بحياتهما الجديدة التي باتت ملونة بألوان قوس الرحمن، بعد أن كان الأسود والأبيض يخيمان عليهما، لم يعواضاً تانياً عن الحب والحنان فحسب، وإنما عن كل شيء تمناه، فما إن تتحدث عن شيء تشتته حتى يكون بين يديها، في البداية كانت تناديهم صديقي وخالتها، ومع مرور الوقت أصبحت تناديهما "أمي، وأبي"، كانوا في غاية السعادة بهذا، لقد استحقاها فعلًا؛ فما فعلاه معها لم يفعله أبوها اللذين تركاها على عتبة باب المركز، ومع ذلك كانت دائمًا تتساءل؟ يا ترى من هما والدي الحقيقيان؟ هل كانت حياتهما قاسية لدرجة أن يضعناني في المركز؟ ربما كانوا فقيرين جداً ولم يستطعوا رعايتها؟ تخطّب نفسها البريئة قائلة: تانياً، أنت حفناً غبية، هل تعطيهما عنده تركك وحيدة؟ لا يوجد عندهما أبًا ولكن ربما.

كل هذه الأفكار دارت في ذهنها الصغير طيلة هذه السنوات، كانت دائمة التفكير بهما والتخطيط أنها عندما تكبر ستبحث عنهم، ولكن هل يستحقان هذا؟ تخطّب نفسها قائلة: يجب أن أنساهم وأتخطّي هذه الأفكار، يجب أن أكمل حياتي مع والدي الجديدين فهما يستحقان حبي لهما أكثر من أي شخص آخر.

تانياً، تانياً.

فجأة انتبهت إلى نداء أمها الذي أفقها من دوامة أفكارها.

صمت سيكادا عائشة بشارب.....

التفتت اتجاه الصوت مجيبة:

نعم يا أمي، هل ناديت علي؟

أجل بنبيتي، لماذا لا تذهبين للعب مع الفتيات في الخارج حتى تستمتعي
بوقتك قليلاً.

أمالت رأسها وقالت: لا يا أمي، تعلمين أنني لا أحب اللعب في الخارج؛ لأن
اهتماماتي لا تتوافق مع اهتمامات الفتيات الآخريات ناهيك عن صراخهم
المزعج.

ضحك زينب وهي تهز رأسها متعجبة: أنت مختلفة كثيراً يا تانيا، هل
تعلمين أنك تشبيهين شجرة الصنوبر؟

لاحظت زينب علامات الاستفهام التي خيمت على وجه تانيا فأكملت:

أشجار الصنوبر يا حلوتي تعطي شعوراً بالعزلة، والراحة، والهدوء، كما أنها
جميلة، مثلك تماماً.

تلاذت علامات الاستفهام التي خيمت على وجهها لتحل مكانها ابتسامة مرحة
تسر القلب.

عاملها الزوجان بلطف شديد، وأدخلها المدرسة الابتدائية حين بلغت السادسة
من عمرها، تانيا لم يكن لديها أصدقاء دراسة كبقية التلاميذ، كانت انطوائية
وتحب العزلة كثيراً ولا تتكلم إلا نادراً، ودائماً ما تنظر إلى نافذتها هائمة في
شروعدها، ومع ذلك كانت متوفقة في دروسها، فعل العجوزان ما بوسعهما

لجعلها تبتسم وتخرج من عزلتها لكن دون جدوى، كان الغموض هو المسيطر الوحيد على شخصيتها.

مرت الأيام والأعوام، وبلغت صديقتنا تانيلا العاشرة من عمرها، يومها خرجت تانيلا من مدرستها متوجهة إلى البيت مطاطنة الرأس تمشي برفق وكانتها خائفه أن تؤذى الأرض بقدميها، لا تبالي بأحد ولا تستمع لأصوات زميلاتها حولها كعادتها.

وصلت إلى المنزل، دفعت الباب وإذا بها ترى وجوهاً لم يسبق لها رؤيتها، أناس كثر طبع الحزن ملامح وجوههم.

المكان مزدحم، ولكن لماذا! ماذا يحدث؟ ما كل هذه الوجوه العابسة، ما الذي يحدث هنا؟ أين أمي؟ وأين أنت يا أبي؟

تلك الوجوه التي لم تتمكن من التعرف إليها، جعلت طوفانًا من الأسئلة ينفجر داخلها، تقدمت ببطء نحو غرفة المعيشة باحثة عن أبيها، وقلبه يخفق بشدة.

تانيلا، تانيلا!

انتشد النداء تانيلا من الأفكار التي كانت تدور كأسطوانة مشروخة في رأسها، لكن من هذا الصوت؟! وجهت نظرها باستغراب نحو العجوز التي ارتمت على تانيلا بكامل ثقلها معانقة إياها وهي تبكي بحرقة، ابتعدت تانيلا عنها بضم خطوات لتتمكن من رؤية وجهها، مهلاً هذه جارتنا ما الذي يحدث هنا وأين أبي؟!

لم تكمل كلامها حتى رأت وجهاً كثيراً يغزو الحزن ملامحه، في حالٍ يرثى له، فكشفت لها عينها أن "هذا هو والدك لكن لماذا هو هكذا وأين هي أمي؟"

قالت العجوز بصوت خافت في طياته الأسى والحزن: إِنَّا إِلَهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ،
لقد توفيت أمك يا ابنتي.

الأيام تمضي سريعاً، وتانيا لم تعد كسابق عهدها فقد تغيرت حياتها في لمح البصر.

كل شيء أصبح معنماً في نظرها، وبيوماً بعد يوم زادت عزلتها وغاصت في انطوانها أكثر فأكثر، لم تعد تغادر غرفتها إلا نادراً، تخرج للدراسة و تعود لترفرد بلوحة المفاتيح وشاشة الكمبيوتر خافقة الإضاءة.

بدأ هوسها يكبر بعالم الشبكة العنكبوبية، كان هو الشيء الوحيد الذي تستمتع به حقاً وبؤنس وحدتها.

مرت الأيام على هذا الحال وصارت الفتاة الصغيرة مراهقة جميلة في السابعة عشرة من عمرها، أنوثتها مكتملة تقريباً.

باتت غاية في الجمال بعينيها الواسعتين العسليتين، وشعرها الفاحم كجناح الغراب الذي يصل إلى خصرها، أما بياض بشرتها فكان يشع كاللؤلؤ ما زادها جمالاً، ناهيك عن رموشكها التي تصل إلى حاجبيها.

باتت حلم العديد من شباب المدينة، ومصدر إزعاج لكثير من الفتيات اللواتي يحسنها على جمالها على الرغم من عدم معرفتهن بها، ولكنها لم تهتم أبداً بذلك الأشياء التي كانت تعتبرها "ترهات".

هوسها الوحيد كان البرمجة، وكبر معها هذا الهوس إلى أن أصبحت خبيرة في البرمجيات.

جلس على حاسوبها وأناملها تترافق فوق لوحة المفاتيح كراقصة باليه محترفة، في لحظة من اللحظات عبرت بخاطرها ذكرى كالحلم، تذكرت تلك العجوز التي تربت في حضنها، وابتسماتها التي لم تحررها منها

بوماً، كيف لا وقد غمرتها بحنان الأم الذي لم تحظ به من قبل، وعوضتها عن دفء صدر أمها المنسيّة، فلم تعلو لها ضحكة من يوم غط التراب أمها زينب.

في ليلة من ليالي جانفي / كانون الثاني الباردة، كانت تانياً جالسة مع أبيها على طاولة العشاء والصمت يعم المكان كالعادة، ابتسمت بعد أن تذكرت القصة التي اعتاد والدها أن يرويها لها كل ليلة في طفولتها.

فحاولت كسر الصمت بحديثها قائلة: ألم تروي لي تلك القصة اليوم؟

رمقها والدها بنظرات حائرة:

عن أي قصة تتحدثين؟!

هل هناك الكثير من القصص التي رويتها لي في طفولي حتى تنسى تلك القصة؟ لقد اشتقت إليها، أيمكنك أن ترويها لي هذه الليلة؟

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

ضحك برقة قائلًا: ألم تتملي من تلك القصبة؟

رفعت حاجبيها ثم هزت رأسها بالنفي، ثم ضمت يديها إلى صدرها بعناد، ورمقته بنظرات الإصرار.

وجه مصطفى عينيه العميقين الداكنتين الحنونتين إليها مبتسمًا ثم تنهد وقال: حسناً يا بنتي، من خلديهاش في قلبك.

ثم بدأ يسرد القصة:

"كان هناك شاباً طموحًا يصل طموحه وأحلامه عنان السماء، لم تكن أحلامًا تنبع من طفولة أو خرجت من وسادة، بل كانت أحلام شخص يئس من الحياة غير العادلة التي كان يعيشها، ولأن تفكيره لم يكن بسيط بتاتاً، كان يسعى إلى إخراج نفسه من دوامة الحياة التي يعيشها ويسعى إلى حياة أفضل، همه الوحيد تحقيق مراده وأحلامه التي آمن بها، كانت شخصيته انطوائية نوعاً ما، ولم يكن يملك الكثير من الأصدقاء..."

قاطعته تانيا بابتسامة: مثلي تماماً.

لأحد مثلك يا تانيا، أنت مختلفة جدًا، كما أنك لم تدعى العجوز يكمel القصة.

واردفت: حسناً، حسناً، أعتذر يا أبي، أكمل من فضيلك.

أكمل والدها قصته بالقول: لم يكن يملك من الأصدقاء سوى صديقاً واحداً، ومع ذلك كانت كلمة صداقته ظلماً في حقه، قد كان أخي يشاركه الأحلام والطموحات، وبالذات ذلك الحلم حلم التجارة، كان حلمهما منذ الطفولة،

ترعرعاً وكبراً في وسط مليء بالتجار وهذا ما زادهما خبرة ومعرفة بأحوال السوق، كان لديهما مكان صغير لبيع الملابس الرخيصة داخل سوق شعبية، كانوا يعلمان جيداً أن أصحاب تلك المنطقة بسطاء لا يستطيعون شراء ملابس فاخرة، وهذا ما ساعدهما في عملية البيع. كانوا يتمتعان بروح الدعاية مما جذب الزبائن إليهما، بعد سنوات من المعاناة، والشهر، والنوم في أطراف السوق وسط ظلمة الليل وبرد الشتاء، استطاعاً أخيراً فتح محل وسط السوق، كان محلاً جميلاً لبيع الملابس النسائية، وجاء هذا الاختيار بعد خبرة ودراسة طويلة أكدت لهما أن أكثر الزبائن من النساء فهن يحببن الأنوثة والأزياء، وساعدتهما مجدداً روح دعامتها في جذب المزيد من الزبائن، علاوة على وجهيهما الجميلين وذكائهما في التعامل مع النساء.

مرت الأيام وأصبح محلهما مشهوراً في المنطقة كلها، تأتي إليه النساء من مناطق المجاورة لابتياع أجمل الملابس، تضاعفت أرباحهما تضاعفاً ملحوظاً ففتحا فرعاً آخر في منطقة المجاورة، وزدادت الأرباح ازدياداً كبيراً، مما زاد من غرور وتكبر الصديق الثاني، لقد صار الحلم قريباً المنال.

عم الصمت أرجاء الغرفة للحظات قبل أن يتنهى العجوز ويكمл كلامه، بينما كانت مخيلة تانيا تسافر مع أحداث القصة.

كان حلمه فتح أكبر شركة للأزياء في الوطن بل في العالم كله.

عاد الصمت ليسود الغرفة من جديد.

خرجت الكلمات بسرعة من تانيا لتكسر الصمت قائلة: أكمل يا أبي، أرجوك.

ابتسم الأب وهو يقول:

لقد تأخر الوقت يا بنبيتي، هيا اذهبى إلى النوم، فغدا لديك دراسة، وامتحان
شهادة البكالوريا على الأبواب، فواظبى على دروسك.

ردت تانيالا بابتسامتها الجميلة:

حسنا يا أبي، سأنام بعد تجهيز مائدة العشاء وغسل الصحون، اذهب إلى
غرفتك الآن ونم جيداً أينما أريها الرجل الوسيم.

ضحاك مصطفى ووقف مستنداً على عصاه، ثم سار وهو يتکئ بكل جسده
على عصاه مع كل خطوة يخطوها ثم توقف قليلاً ونظر إلى الخلف قائلاً: يا
حلوتي، سأكمل لك بقية الحكاية يوماً ما، فلا تزعجي ولا تتسرعي لأن الصبر
هو الطريق نحو الحقيقة.

ردت تانيالا بينما كانت تلمم الأواني: يستحيل أن أنزعج منك يا أبي، أنا
متشوقة فقط لمعرفة باقي القصة، والآن هيا اصعد إلى غرفتك وخذ قسطاً
من الراحة.

صعد مصطفى إلى غرفته لينام، أما تانيالا فقد كانت تحمل الصحون وهي
تائهة في أفكارها، قبل أن تنتهد تنهيدة من أعماق صدرها وتستغفر.

بعد انتهاءها من غسل الصحون توجهت إلى غرفتها التي يعمها الهدوء
والسكينة، اتجهت مباشرة إلى زاويتها المعتادة التي تضم طاولة خشبية دائرية
وكرسيّاً صغيراً أسود، لكن ما زاد المنظر جمالاً ضوء القمر الذي تسلل من
شقوق خشب النافذة المهرئي، أخرجت كتبها وبعض أوراقها، نشرتها على
الطاولة واضعة يدها اليمنى على خدها وهي تقلب صفحات كتابها، مررت ساعة
تقريباً وهي على الحال نفسه، ثم شعرت بالتعب وبعض الملل فتركـت ما بـيدـها

من أوراق واتجهت نحو خزانتها نقلب ثيابها بحثاً عن بيجامتها، أخرجتها ثم وضعت البيجامة على الكرسي وهمت بنزع ثوبها عن جسدها الفاتن.

زاد ذلك الجسد روعة ضوء القمر الذي كان ينشر بريقه فوق جانب من وجهها كأنه يلامس شفتيها بنعومة وينزل شيئاً فشيئاً نحو عنقها، تستدير فينكشف جزءاً من رقبتها وهو يحمل سلسلة زادتها أنوثة ورقه، توقفت قليلاً واضعة القميص من يدها لتمسك بأطراف أصابعها سلسلة كان طولها يسمح لها بالوصول إلى ثيبيها الطاغيين بالألوان.

جسد الأنثى هو أجمل دولة قد يسافر إليها شاب على الإطلاق، فهل يسافر الشباب من بلد إلى بلد لرؤيا مناطقه وأجوائه الطبيعية؟ هراء! إنهم يسافرون بحثاً عن أنثى تكون دولتهم الجديدة التي يقطنون فيها.

تانياً التي أمسكت السلسلة بأطراف أصابعها غرفت وهي عارية في دوامة من الأفكار، تذكرت في تلك اللحظات أصل السلسلة التي أهدتها إياها سهيلة يوم خروجها من المركز، تذكرت المرضى النفسيين وطبيتهم، تذكرت الأيام التي أمضتها رفقهم، كانت الذكريات تتسلل إلى عقلها وهي لا تزال ممسكة بالعقد، في لحظة ما تذكرت وعداً قطعته لسهيلة بأن تزورها.

مرت سنوات كثيرة على فراق المركز ، انتبهت تانياً إلى نفسها فأمسكت بيدها جزءاً من صدرها وغضته ثم التفتت يميناً ويساراً وضحت على حالها.

حدثت نفسها قائلة: ما بك يا أنا! هل أصابك الجنون! لم أنت عارية؟

أسرعت إلى ارتداء قميصها، فعلق به شعرها الغزير الذي لا يمل منه كتفيها، كشف القميص روعة ونعومة جسدها وكأنه يقول للجاذبية ابتعدي، دعي العالم

يرى المعنى الحقيقي للجازبية، فأخذت يدها تحت شعرها ممسكة خصلاته
برقة محاولة إطلاق سراحه من قميصها الذي تمسك به بشدة، مكملاً صورة
الإثارة وطغيان ذلك الجسد المفعم بالأنوثة.

نامت تانيا لا تلك الليلة تحت ضوء القمر تتذكر أيام طفولتها الحزينة داخل
المركز، لتمر بعدها الأيام وتانيا حبيسة غرفتها وكتبتها لتحقيق النجاح في
شهادة البكالوريا.

بقي يوم على الامتحان وتانيا في أتم استعداد له، لم تمضي ذلك اليوم كعادتها
في غرفتها، بل خرجت مع والدها العجوز ليتجولا في شوارع مدینتها ممسكة
يد والدها، وبيدها اليمنى مثليات بنكهة تحبها، تمشي لا مبالية بمن حولها
وهي تأسر بجمالها كل العيون التي تقع عليها، أمضت

ذلك اليوم رفقة والدها يتبدلان أطراف الحديث وهم يمشيان في أزقة المدينة
وشوارعها.

نطلب تانيا من والدها الجلوس بعد أن شعرت بأن التعب قد نال منه، فرجلًا
ذلك المسن لم تعودا قادرتين على حمله كثيراً كما في السابق، أما تانيا التي
كانت دائمًا الاكتئاب سجينه أفكارها السوداء، فقد خرجت ذلك اليوم وأصبحت
تلهمه كثيراً، مطلقة لروحها العنان رفقة والدها حتى إن البسمة لم تفارق وجهها.

مضى ذلك اليوم الجميل وعاد كلاهما إلى المنزل في وقت متأخر من الليل،
ليناما والبسمة لا تفارق وجهيهما.

حل الصباح سريعاً وأرسلت الشمس خيوطها الذهبية على بقاع الأرض لتطل بأجمل ثيابها، قامت تانياً كعادتها بواجباتها المنزلية في ذلك الصباح، أحضرت الفطور لوالدتها ونالته ألوينته، ثم قبلت جبينه وطلبت منه الدعاء لها بالتوفيق. سارت بخطوات واثقة نحو المدرسة وهي في شوق كبير لخوض امتحان البكالوريا.

وصلت إلى المدرسة الثانوية قبل ربع ساعة من موعد الامتحان، فهذه عادتها أن تصل قبل المواعيد بدقيقة، جلست تحت شجرة في ساحة المدرسة وهمت بمراجعة بعض الدروس، ليقاطعها شاب:

مرحباً، هل يمكنك الجلوس؟

ردت تانياً ببررة عادية دون أن تشيح نظرها عن أوراقها:

نعم، يمكنك ذلك.

مرت دقائق وتانياً تصب كل تركيزها على أوراقها.

ليعود الشاب من جديد مقاطعاً تركيزها:

آسف على إزعاجك، هل لك بمساعدتي في فهم هذا الدرس، لم أستطع أن أستوعبه.

لم تتردد تانياً في الإجابة قائلة: حسناً.

ثم أشاحت نظرها عن أوراقها نحو المتحدث، كان شاباً في غاية البساطة والجمال، ومع ذلك فقد رمقه بنظرة لا مبالغة كعادتها وهي تشرح له بنية

صفافية، فغر الشاب فمه دهشاً من فهمها الكبير لهذا الدرس على الرغم من صعوبته.

فُرع جرس الدخول إلى قاعة الامتحان، فنهضوا في الوقت نفسه وهو يشكرها على مساعدتها معرّفاً بنفسه، لكنها لم تبال باسمه أو حديثه، قائلة: لا عليك، أي شخص كان في مكانى سيفعل الشيء نفسه.

دخلت قاعة الاختبار، فإذاً بموقع جلوسهما في القاعة نفسها.

لوح بيده إليها بعد أن انتبه إلى أن القاعة جمعتهما من جديد، وقد بدت السعادة واضحة على محياه لهذه الصدفة: مرحبا! ها قد التقينا ثانية.

رفعت حاجبها الأيسير ثم أجبت ببرودة ونصف ابتسامة: نعم.

أشاح بوجهه متهدلاً إلى نفسه:

ما بيه؟ لماذا هي مغروبة إلى هذا الحد؟!

و قبل أن ينتهي من تساؤلاته نادته تانياً قائلة: آسفـة، لقد نسيت قلمك بحوزتي، خذه الآن قبل أن يبدأ توزيع أوراق الاختبار.

"صمت من فضلكم، سيدأ الاختبار الآن".

بدأ الاختبار وبدأت صديقتنا تانياً تقرأ الأسئلة بتمعن شديد.

مرت لحظات وهي تراجع ورقة الامتحان بتمعن شديد دون أن تشيح نظرها عن ورقتها ثنائية واحدة، حملت قلمها بيسراها وبدأت من فورها الكتابة على

مسودتها، تتوقف للحظات تفكراً قليلاً ثم تعيد الكتابة، وهكذا مرة تلو الأخرى تعيد النظر إلى ورقتها بتمعن، تفكراً قليلاً ثم تكتب.

"باقي ساعة على انتهاء الوقت الأصلي لامتحان"

عاد صوت الحراس من جديد لتتبيه الطلاب إلى الوقت المتبقى.

أنهت تانياً الكتابة على المسودة ثم راجعتها جيداً خشية أن تكون قد نسيت أن تحبب أحد الأسئلة، ثم بدأت تنقل ما في المسودة إلى ورقة الأجوبة.

تنفست الصعداء وارتسمت ابتسامة جميلة على وجهها عندما انتبهت إلى أنها أنهت الامتحان سريعاً وأنه بقي أمامها الكثير من الوقت، لكن الابتسامة تلاشت فجأة عندما شاهدت الشاب والتوتر يطغى على وجهه، فمن الواضح أنه لم يكتب حرفاً واحداً على ورقته.

نظرت إليه وقد طغت عليها الحيرة، ثم حسمت أمرها وحملت المسودة وضغطت عليها بيدها لتصير شبه كرة صغيرة، أخفقتها بسهولة في يدها، طلبت الإذن بالخروج من الحراس ثم نهضت من مكانها ببطء شديد ونظرات الأسى بادية على وجهها.

مرت بجانب الشاب وعيناها مسلطتان على الحراس وضربات قلبها تعلو إلى الدرجة التي باتت تمنعها من التنفس.

وضعت ورقة إجابتها على مكتب الأستاذ وهمت بالخروج، وهكذا انتهى اليوم الأول لامتحان.

في طريق عودتها للبيت استوقفها الشاب ونظرات الحيرة بادية على وجهه،
شكرها كثيراً على ما فعلته وهو يعلم أن الحارس لو رآها لأقصي من فورها
من الامتحان.

لا عليك، لو كان غيّراً لما ساعدتك، على الرغم من عدم معرفتي بك جيداً
فإنني علمت عند جلوسنا أنك ذكي، أصلاً كنت تحفظ الدرس بالكامل
وصدقعني بتكراره، لذا أنا متأكدة من أن التوتر الشديد هو سبب عجزك عن
الكتابة والتركيز داخل الامتحان. وابتسمت نصف ابتسامة وأضافت قائلة:
لذلك حاول ألا تتوتر في الغد لأنني لن أقوم بمساعدتك مرة أخرى.

انصرفت تانيا من أمامه والسوق الكبير لوالدها يدفعها إلى الإسراع إلى
البيت، وبينما هي تحت الخطى رأت أمامها قطة صغيرة سوداء تنتظر إليها
نظرات غريبة، للوهلة الأولى خيل إليها أن القطة تريد إخبارها بشيء أو هذا
ما جرى بالفعل.

وصلت تانيا إلى البيت ووضعت يدها على مقبض الباب ثم أغمضت عينيها
بعد أن شعرت وكأن إبرة وحذرت قلبها، دخلت البيت ثم توجهت إلى غرفتها،
رمت حقيتها فوق سريرها ودخلت بسرعة إلى غرفة الضيوف.

الغرفة التي لطالما أحب ذلك العجوز الجلوس فيها وحيدياً مع ذكرياته، رأته
جالساً فوق كرسيه الهزاز رافعاً رأسه إلى السقف سارحاً في شيء ما، حتى
إنه لم ينتبه لوصولها.

قطعت حبل أفكاره قائلة:

أبي! ما بك أينها الوسيم؟ ألم تشقق إلي؟ يبدو أنك ارتحت من غيابي وحديثي
الممل.

رفع حاجبيه ذهشاً من رؤيتها ثم ضحك لحديثها وقال متخفحاً:

كيف لا أشتاق إلى قرة عيني، طمئنني كيف صار الأمر يا بنتي؟ كيف كان
يومك الأول؟

تقدمت تانيا نحوه وجلست تحت كرسيه الهزاز ممسكة قدميه تداعبهما بحنان:
حسناً يا أبي، سأسرد لك كل ما جرى.

راح تحكي له عن كل صغيرة وكبيرة من لقائها بذلك الشاب، وكيف شرحت
له الدروس التي لم يستطع استيعابها، حتى قطع حديثها سعال والدها، كان
يسعل بطريقه غريبة جعلت قلبها يقفز خوفاً عليه.

ما بك يا أبي، هل أنت على ما يرام؟!

لا عليك يا بنتي، إنها نزلة برد فقط، هيا تابعي حديثك، ماذا جرى بعدها؟

هزت رأسها باللمني بعد أن سيطر عليها الفلق: لا يا أبي، هيا، أريدك أن تأخذ
قسماً من الراحة في غرفتك، تعالى لأساعدك على النهوض، وبعدها سأذهب
لأحضر لك النعناع لعلك تتحسن.

اتكل مصطفى على عصاه وكتف تانيا وهو يسير بخطوات قصيرة بطيئة وهو
ينظر إليها بنظرات تشي بالكثير.

كيف يمكن لنظره عين أن تلخص ألف جملة دون أن تنطق بكلمة واحدة؟

وما إن أجلست والدها على سريره، حتى غادرت من فورها إلى المطبخ.

لم يستطع العجوز كتم سعاله فوضع منديلاً على فمه كي لا تسمعه ابنته، فهو لا يريد أن يقلقها خلال الامتحانات، وما إن هدأت نوبة السعال حتى رفع المنديل ليأخذ نفساً عميقاً فإذا بالمنديل ملطحاً بالدم، ابتسم وراح يحدث نفسه: معك حق أيتها الطبيبة، لقد عاد المرض ولم يتبق لي الكثير لأعيشها، يجب أن أخبرها الحقيقة قبل أن تصعد روحى إلى السماء ويفوت الأوان.

بعد لحظات أنهت تانيا لانا تحضير النعناع ومعه وجبة العشاء، فنادت والدها للنزول لتناول الطعام والسهر معًا وتبادل أطراف الحديث كعادتهم.

نزل العجوز بخطوات قصيرة مستندًا في مشيته على عصاه التي هرمت مثله، وجلس إلى طاولة العشاء قبالة تانيا التي كانت تراودها الشكوك حول حالته الصحية، لكن لم تنشأ أن تبوج بقلقها كي لا تؤثر على معنوياته.

مر الوقت وهمما يتناولان وجبتهما البسيطة والصمت مطبق على غير عادته، انتبهت تانيا إلى شروده منذ أن وصلت إلى المنزل فقررت الخروج عن صمتها: ما بك يا أبي، لماذا كل هذا الشرود؟ أهناك شيء يزعجك؟ ألم يعجبك الطعام؟ أخبرني أرجوك ما بك؟

أخرجت أسللة تانيا العجوز من شروده وأنسنته ما يفكر به، وبابتسامة هادئة قال: لا شيء يا بنتي، لا تعبري اهتماماً إلى السعال، أنا فقط متعب وأريد النوم قليلاً.

لم يكدر بنتي كلامه حتى نهضت تانيا من فورها واقتربت منه قائلة:

تعال، دعني أساعدك على الصعود إلى غرفتك، لقد تأخر الوقت بالفعل.

صعد العجوز إلى غرفته وهو يتکى على كتف تانياًلا وعيناه لا تفارقانها، كانت نظراته حزينة تخفي الكثير من الأسرار التي لم يستطع البوح بها ولم يعد قادرًا على كتمانها.

تانياًلا، يا بنبيتي!

لا عليك يا أبي، أنا أحبك، والآن لا ترهق نفسك بالحديث حتى لا تعود نوبة السعال، نم الآن وستتحدث في الغد بحول الله.

دخلت غرفتها وجسدها يرتعد خوفاً على صحة أبيها ثم أوصدت الباب واتکأت عليه والدموع تغمر عينيها.

أما العجوز مصطفى فقد ظل تلك الليلة محدّقاً في سقف غرفته يفكر كيف سيتمكن من إخبارها الحقيقة.

حل الصباح ولم تذق عيناه طعم النوم بعد، نهضت تانياًلا كعادتها مبكراً لتعود جبة الإفطار ثم وضعتها قرب سرير والدها الذي لا تقوى على العيش من دونه، وطبعت قبلة صغيرة على جبينه تحمل حباً بحجم العالم.

مر ذلك اليوم ولا جديد فيه، فقد التقت بذلك الشاب وساعدته كعادتها على الرغم من أنها قالت عكس ذلك، وأجابت عن كل الأسئلة بتمعن شديد.

حل الصباح من جديد وجاء معه امتحان جديد.

تانيالا جالسة في مقعدها تنتظر توزيع أوراق الأسئلة فيما تبدو مفعمة بالارتياح، بعد لحظات وزعت الأوراق، مرت ساعتان أنهت تانيالا خاللها الإجابة عن كل الأسئلة وبدأت تراجع ورقتها.

الساعة تشير إلى الرابعة عصراً، إنه آخر سؤال في امتحان اللغة العربية.

السؤال كان غريباً نوعاً ما، فقد توقفت تانيالا كثيراً عنده دون أن تكتب شيئاً.

يقول السؤال: اكتب نصاً تذكر فيه واجباتك نحو عائلتك ووالديك.

تانيالا تنظر إلى السؤال بشرود حتى إنها لم تشعر بالدمعة التي نزلت على خدها، لم تكن دمعة حزن أو اشتياق، بل كانت دمعة بلا شعور، مر الوقت المتبقي دون أن تكتب حرفاً واحداً.

كان آخر سؤال في امتحانات البكالوريا وأول سؤال لم تجب عنه.

عند الانتهاء من الامتحان خرج الطلاب وهم في غاية الفرح من التحرر من أعباء الامتحان وكأن حملاً ثقيلاً سقط من على ظهورهم، إلا تانيالا والشاب فقد خيمت الكآبة على وجهيهما، حتى أن الشاب لم يستوقفها كعادته ليسألها كيف سارت الأمور معها.

..... صمت سيكادا عائشة بوشارب

في العام 2016، لا أذكر تاريخ ذلك اليوم بالتحديد.. هذا ما كتب في المذكرة.

كان لقاءً غريباً ومفاجئاً نوعاً ما، كعادتي نهضت يومها مبكراً، كان أسبوعي الثاني في العمل وكادت خطتي تكتمل، كنت أرتدي ملابس العمل أحمل إسفنجية ومعقمات ليستوفني شاب أسمر قائلاً بنبرة مفعمة بالشك: لقد التقينا
ثانية، مرت السنوات سريعاً!

تملكني خوف شديد حينها وبدا عليّ الارتكاك، هل اكتشف خطتي يا ترى؟ هل ستكون نهاية كل مخططاتي هنا وبهذه السرعة؟

"مذكرات بقلم تانيلا"

عادت تانيا إلى المنزل محطمة تماماً، فتحت باب المنزل ودخلت في صمت على غير عادتها، دخلت غرفتها ثم غيرت ملابسها لتأخذ قسطاً من الراحة، وما إن جلست حتى قامت من فورها متوجهة لغرفة والدتها للطمأنة عليه، استأنفت ثم فتحت باب الغرفة لتجد شخصاً يقف داخلها، خيم الذهل في تلك اللحظة على وجهها.

كان العجوز مستلقياً على سريره والشحوب يخيم على وجهه وجارهما الطبيب جالساً أمامه يكشف عن حالته الصحية، لم تستوعب ما يحدث، في لحظة واحدة، لا بل في ثانية واحدة أصبح الكون كله معتماً في عينيها.

راحت تسأل الطبيب وفي الوقت نفسه والدها بنبرة خوف وتوتر:

ما الذي حصل يا دكتور؟ ما الذي حدث لأبي؟ ماذا هناك يا أبي هل أنت بخير؟ أجبني ما بك؟!

نظر إليها الطبيب ولم يستطع قول شيء، بعدها أشاح نظره عنها والأسف باد على وجهه.

تقدمت تانيا ب几步 خطوات إلى أبيها ثم أمسكت بيديه الكبيرتين محاولة جاهدة إخفاء دموعها، فأخذ والدتها يطمئنها بصوت خافت: لا تقلقي يا بنبيتي، لقد انخفض ضغطي قليلاً، سأستريح الآن وبعد أن أنهض سأكون على ما يرام.

غادر الطبيب الغرفة مومناً لتانيا أن توافيه على انفراد كاشفاً لها أن حالة أبيها حرجة بعد أن عاد إليه المرض الخبيث من جديد.

ارتミت على السرير والمشاعر المختلطة تتدفق مرة واحدة في روحي مع كل قطرة دم تنشي في عروقي، قلبي يكاد يخرج من صدري، حتى أنفاسي المققطعة جعلتني أنسى كيف أستنشق الهواء، فالحزن أول من زارني منذ الصغر ولم يغادرني منذ ذلك الحين، من قال إن الألم يجعلك تشعر بأنك على قيد الحياة؟ إنه كاذب! فالألم يشعرك بأنك ميت تصارع الحياة.

احتضنت وسادتي وغمرت بها وجهي، بكثت بصمت ساعة متواصلة، جلست أفكر ماذا أفعل كي تعود لأبي عافيتها، أو ماذا سأفعل بنفسي إذا قدر الله وأصابه شيء.

أما العجوز فقد منحته إبرة المخدر الذي انساب في جسده نوماً عز عليه في الفترة الأخيرة.

هنا سنتهي رحلتي في هذا العالم الكئيب والمرعب، في هذه اللحظات أكتب آخر حروفي ببقع الدم المتاثرة حولي التي تداخلتألوانها وامتزجت بين الأحمر الدموي والأسود القاتم فامتزجت بشكل جميل ومخيف لتزيد من غرابة الغرفة التي أنا وسطها ألفظ آخر أنفاسي.

وسط هذا المشهد، كانت هذه آخر الحروف التي كتبتها تانيا في مذكرتها، لم تكمل باقي ما كتبته، ربما دهمها الموت فجأة، ربما أنهت أو ملت من الكتابة، وربما انتهت آخر قطرة دم في جسدها.

"مذكرات بقلم تانيا"

صمت سيكادا عائشة بشارب.....

طلت تانيا لا تعنتي بوالدها وتقوم بتدليله كطفل صغير، اكتمل المشهد مع عناد والدها المتواصل خاصة عندما تلح عليه أن يجري العملية التي أوصى بها الطبيب، لكنه يستمر بالرفض لأنه يعرف أن نسبة نجاح العملية ضئيلة جداً وهو يريد أن يكمل ما تبقى من حياته في بيته الدافئ المليء برائحة عطر زوجته المتوفية الذي يعج بذكرياتهما معاً.

بقيت تانيا لا تأخذ والدها للتنزه مرتين في الأسبوع، يمرحان معًا وينجذبان الجو لعل صحته تتحسن.

خرجت تانيا من المنزل محضنة يده لتساعده على المشي متوجهين إلى قبر أمها "زينب" بناء على رغبته، وفي طريقهما اشتري باقة جميلة من الياسمين الذي طالما أحبه.

عند وصولهما وضعـت تانيا الورد فوق القبر وفي عينيها نظرة اشتياق كبيرة، وبعد قراءة الفاتحة ودقائق من الصمت الحزين تنهـد العجوز تنهيدة طويلة وقال بنبرة يغمرها الحزن: لقد اشتقتنا إليكِ كثيراً يا جميلتي، اصـبرـي قليلاً، فـلم يـبقـ وقت طـوـيلـ حتى آتـيـ لأنـامـ بالـقـرـبـ منـكـ وـنـدرـشـ سـوـيـاـ كماـ كـنـاـ نـفـعـلـ دـائـماـ.

نظرـتـ إـلـيـهـ تـانـيـلاـ نـظـرـةـ مـعـاتـبـةـ ثـمـ قـالـتـ لـهـ:ـ لـاـ قـدـرـ اللهـ يـأـبـيـ،ـ أـرجـوكـ لـاـ تـقـلـ كـلـاـمـاـ كـهـنـاـ يـؤـلـمـ قـلـبـيـ!!ـ فـلاـ تـزـالـ أـمـامـكـ حـيـاةـ طـوـيـلـةـ لـنـعـيـشـهـ سـوـيـاـ.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب

لا تقلقي يا حلوتي، لن أذهب إلى أي مكان قبل أن أسعد بنجاحك في
البكالوريا.

أمنيتي الوحيدة هي سعادتك وعدم تخبيب ظنك.

من النهار الأول الذي رأيتكم فيه وأنا فرح يا بنتي، وأتمنى أن تكتمل فرحتي
بكِ، وأن أراك ناجحة في حياتك.

إن شاء الله يا أبي.

هيا، فلنذهب إلى البيت، لقد أوشكت الشمس على الغروب كما أنني جائع.

حسناً يا أبي، أخبرني ما الذي تريده على العشاء لكي نشتريه من البقالة؟
أي شيء تطبخينه بيديك الناعمتين أكون متأكداً من أنه لنزيد يا صغیرتی.

وصل إلى البيت وأخذت تانياً والدها ليستريح في غرفته، بينما راحت تعد
الطعام الذي يجهه.

أصبحت دائماً تُصعد الوجبات إلى غرفة والدها لكي يأكلها معاً لأنها لم ترد
أن يتعب في نزوله إلى المطبخ، وبالتأكيد لن تدعه يتناول طعامه بمفرده،
كانت تطعمه بيديها وتحرص دائماً على إعطائه دواعه في الأوقات التي حددتها
الطيب.

صمت سيكادا عائشة بوشارب.....

مر شهراً كاملاً وبدا التحسن ظاهراً على وجه الأب أو هكذا ما كان يبدو عليه الحال، فقد كانت الابتسامة لا تفارق وجهه.

رن الهاتف فتوجهت تانيا للرد على هذا الاتصال الذي يبدو مهمًا، فلا أحد يتصل الساعة السابعة صباحاً. علت وجه تانيا الابتسامة وهي تسمع صوت المتصلة، لقد كانت أستاذتها "سلمى" التي لطالما أحبتها لرقتها وطيبة قلبها، والابتسامة التي تعلو ملامحها دوماً وكأنها ثبت الطمأنينة بمجرد النظر إليها، فطالما ساندتها في أصعب ظروفها.

لطالما حدثتها عن أنها تملك قدرة على تحقيق الكثير، وأن ما ينفصلها فقط قليل من الثقة بالنفس، وأنها ستفعل شيئاً يؤرخه التاريخ يوماً.

أهلاً أهلاً أستاذتي، سعيدة لسماع صوتك.

أهلاً جميلاً، كيف حالك؟

بخير حال الحمد لله، أتمنى أن تكوني كذلك.

بخير حال حلوتي.

أستاذتي، لا أقصد أن أكون وقحة، واتصالك هنا أنا حقاً سعيدة به، ولكن هل هناك سبب لاتصالك في هذا الوقت الباكر؟

ضحك سلمى: حذقة كعادتك، نعم معك حق، السبب وراء اتصالى بكِ هو أن أعلمك أنه سيتم إعلان نتائج البكالوريا غداً وأريد من أعماق قلبي أن أشارك معك لحظة معرفة نتيجتك، لأنني واثقة بأنني سأفتخر بك كعادتي، ما رأيك؟

ابتلعت تانيا لا ريقها بصعوبة، فقد شعرت بمغص خفيف سببه التوتر، فالبكالوريا من أهم المراحل في حياة أي طالب، حتى لو كانت واثقة من أدانها إلا أن لإعلان النتيجة هيبة.

تانيا لا، هل أنت معي؟

مع.. معك أستاذتي!

ما خطبك؟ حتى نبرة صوتك قد تغيرت، إن كنت لا تريدين مجبي فهذا يعود إليك، كما تشاءين يا عزيزتي، فهذا طلب وليس أمرًا.

أرجوكِ، لا تقولي هكذا أستاذة سلمى، ستكون من أفضل لحظات حياتي أن أعرف نتيجتي وأنا معك ولكنك تعلمين ذاك الخوف الذي يصيب الجميع قبل معرفتهم بالنتيجة لقد استولى علي للحظات.

ردت عليها بنبرة أكثر جدية:

تانيا لا، لن تخفقى، أعلم أن نجاحك هو توفيق من الله، لكن قدراتك كبيرة وأنا أثق بكِ لأنني أعرف طلابي وقدراتهم جيداً.

"يعطيك الصحة ريجتني بهدراك أستاذة، ربى يعيشك".

إن شاء الله جميلتي، إِذَا نلتقي غدًا!

أغلقت سماعة الهاتف وهي تبتسم ولو أن التوتر لا يزال يملكتها.

توجهت إلى غرفة أبيها للاطمئنان عليه فوجده نائمًا كطفل صغير، لم ترد أن تيقظه فسارت باتجاهه حافية وغطته جيدًا وطبعت على جبينه قبلة حنونة.

نزلت تانيا إلى غرفتها متوجهة نحو حاسوبها الذي كساه الغبار بعد أن أهملته مدة طويلة بسبب اعتمانها بوالدها والامتحانات، ثم جلست على الكرسي المجاور وهي تتأمل تفاصيله، أخذت تتحسس لوح المفاتيح مبتسمة وكأنها تنظر إلى صديقها الوحيد، بل إنّه كذلك فلا رفيق لها غيره، سرحت بذهنها وهي تفكّر في النتيجة.

كيف لها أن تنتظر حتى الغد كي ترى نتيجتها وهي غير صبوره؟ أفاقت فجأة من شرودها وكان أحدًا ما وجه إليها صفعة بسبب الفكرة الجهنمية التي راودتها، سارعت إلى تشغيل حاسوبها ويداها ترتجفان توتراً منتظرةً بشوق ظهور ألوان الشاشة إِيذاناً باشتغاله كي تنفذ فكرتها الكارثية.

بدأت أولاً بجمع المعلومات عن موقع مدرستها الرسمي، ثم استخرجت المعرف الخاص به بطريقة يدوية لأنّها تستمتع باختراع اليدوي كونه أفضل من الأدوات الطفولية التي يستعملها المبتدئون في هذا المجال، فهي على عكسهم لم تكن مبتدئة بل كانت في قمة الاحتراف، استخرجت جميع الواقع الموجودة على الجهاز، ثم اكتشفت الشركة المستضيفة لخادم الإنترنت المستهدف، وأخيراً قامت بعمل عناوين من استضافة، وهكذا أصبحت لديها

..... صمت سیکادا عائشة یوشارب

لوحة التحكم كاملة وطبعاً أصبح بإمكانها رفع "الحماية" عن الخادم كلمسة أخيرة للاختراق ويصبح الموقع تحت يديها.

لهم تكثف ربع ساعة حتى تتمكن من اخترافه، فقد كان ذلك أمراً سهلاً بالنسبة لها على الرغم من حمايتها المتطورة التي لم يتمكن أحد من تجاوزها من قبل.

تانيا، ما حلو تي، أين، أنت؟

فجأة انتبهت إلى نداء أبيها من غرفته العلوية، فصعدت إليه مسرعة حتى إنها لم تطفى حاسوبها.

آسفة يا أبي، لم أكن أعرف أنك استيقظت.

توجهت نحو النافذة لتفتح ستائرها وهي تمازحه قائلة: لقد أصبحت كسولاً يا سيد مصطفى، ههههه!

أجابها ضاحكاً: الله غالب يا ابنتي، جسدي لم يعد يقوى على فعل شيء سوى النوم والاستمتاع بالطعام الذي تعلمه.

تقدمت تانيا بكمال ناحيتها ثم ثبتت وسادتين مصنوعتين من القطن
وراء ظهره بالترتيب، واضعة إياهما على شكل زاوية كي تسند كفيه ورأسه،
ثم مدّت يدها نحو الطاولة المجاورة لتكسب له كأساً من الماء ليجريع دواعه
الصباحي ثم قالت:

أبي، أريد أن أخبرك عن موضوع مهم.

عائشة بوشارب..... صمت سيكادا.....

تفضلي، كلي آذان مصغية.

في هذا الصباح، اتصلت بي أستاذتي سلمى للاطمئنان علي وأخبرتني أنه في الغد سيتم الإعلان عن نتائج البكالوريا، وأرادت مرافقتى للمدرسة كي نرى معًا نتيجتى النهائية.

حًّقا! عزيزتي هذا خبر رائع، كثـر اللهـه خـيرـها وـأـنـا أـيـضاً سـأـرـافقـكـ، كـمـ أـتـوقـ لمـعـرـفـةـ نـتـيـجـتـكـ مـعـ أـنـتـيـ مـتـأـكـدـ منـ أـنـكـ سـتـنـجـحـينـ دونـ شـكـ ياـ حـلـوـتـيـ.

صمنت تانياً قليلاً والتوتر يبدو عليها لتبدأ بعدها دون أن تشعر بقضم أظافرها، أمسك بيدها وضعها فوق يده الأخرى وهو يربت عليها كي يخفف من توترها، ابتسم بلطف ثم قال:

لا تقلقي بنبيتي، أعلم أنكِ خائفة، ولكن سيدهب كل توترك غداً لأن فرحة نجاحك ستتسقى إيهـا بـإـذـنـ اللهـ، فـأـنـا لـأـشـاكـ فـيـ نـجـاحـكـ أـبـداًـ، وأـعـلـمـ أـنـ اـبـنـيـ تـلـمـيـذـةـ مجـهـدـةـ.

تنهدت تنهيدة خفيفة وكان حديثه أزال جبلاً كان قابعاً على صدرها ثم قالت بصوت خافت:

إن شاء الله يا أبي، شكر لآنك معـيـ، لا أدرـيـ ماـ الـذـيـ كـانـ سـيـحـدـثـ لـوـلـاـ وجودـكـ فـيـ حـيـاتـيـ!

شردت تانياً وهي تتذكر اختراقها موقع مدرستها، حيث وجدت الصفحة السرية لنتائج البكالوريا مخبأة بحرص وقد رتبت فيها أسماء الطلاب بحسب

الترتيب الهجائي لكن بعد قراءتها اسمها لم يسمح لها كبرياوها بالغش، أو ربما والدتها زينب لم تسمح لها بعد أن شاهدت طيفها يؤذنها بأنها ابنة صالحة، ولن نفعل مثل هذا الفعل السيئ.

ها آنذا مستلقية غير قادرة على النهوض من سريري، كمريض استيقظ من غيبوبة، لا يستطيع تحريك جسده، ليست لدى الجرأة للخطو خارج هذه الغرفة ولا حتى خارج هذا البيت، خائفة من مواجهة ما سيحدث لاحقاً، طفل صغير متrocك داخل قبو مظلم ينتظر أن ينفذ من الجحيم، سيتقرّر مصير حياتي المستقبلية بعد ساعات قليلة من هذا اليوم على الرغم من أنه يبدو يوماً عادياً لبقية الناس.

ساعات معدودة تفصلني عن مصيري، ها أنا أرقب عقارب الساعة المعلقة على الحائط تارة وساعة هانفي الرفيعة تارة أخرى، اشتد بي الضيق، لماذا لم يأت الصباح؟ لقد تأخر! ألمع نفسي مراراً وتكراراً، لماذا لم أرّ النتيجة بعد اختراقي ذلك الموقع الغبي!! لو عرفت نتيجتي لما عشت هذه الدوامة من الصراعات الداخلية التي تغرقني وتحكم الخناق على صدري، آه يا أمي، ليإنك معـيـ الـيـومـ كـيـ تـخـفـيـ عـنـيـ كـلـ هـذـاـ التـوتـرـ.

لكن لا بأس، لن أحزن مهما كانت النتيجة، سأستمع دائمًا إلى نصيحة أمي العلاقة في أذني كالحلق المرصع بالالماس: "لكي تنجح يجب أن تتتفوق رغبتك في النجاح على خوفك من الفشل" لذا لن أخاف، سأكون قوية من أجلي، لا بل سأكون أكثر قوة من أجل أبي وأمي.

عائشة بشارب..... صمت سيكادا

مرحبا تانياً أين أنت؟ أنا بانتظارك عند باب المدرسة لن أدخل إلا معك!

أهلاً أستاذتي، لقد أوشكتنا على الوصول.

قالت موجهة الكلام لوالدها بصوت مضطرب: أبي، أستاذتي اتصلت بي، لكن..
يا أبي نصفي يريد الذهاب والنصف الآخر يأبي.

أجابها وهو يتكلم بصعوبة بسبب سعاله المتواصل قائلاً:

لاتتوتر يا ابني، ثقي بربك فلن يخذلك أبداً.

دهمه السعال قبل أن يكمل حديثه فقالت بصوت مرتجف: أبي، هل أنت واثق
من أنك بخير؟ إذا كنت تشعر بالتعب فلنعد إلى المنزل.

لاتقلقي يا ابني، أنا بخير، كما أنتي أريد أن أفرح بنجاحك، ثقي بأني لن أتركك
وحشك أبداً.

تأثرت تانياً من حديثه واغرورقت عينها بالدموع، طمأنها حديثه وكأنما
أعطها جرعة من المهدء.

ها هي تصل إلى المدرسة التي استحالت إلى مكان مربع، تسمرت مكانها
بعد رؤيتها الطلبة، البعض يبكي والبعض فرح، وهم مشغولون بين عناق
ومواساة وكأنه مشهد من مسرحية فانتازيا.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب

أخذت أنفاسها تتسرع ويداها ترتعشان وأسنانها تصطك، حتى رأت معلمتها تتقم نحوها بابتسامة هادئة بثت الطمأنينة في قلبها المرتجف.

أمسك العجوز بيد نانيلا عندما ألقى التحية على سلمى وتقديموا نحو باب المدرسة المزخرف بالأبيض والأخضر.

"تستمر الحياة في تخيب ظننا وتحطيمنا إلى أشلاء، حتى نتبين أنها ليست عادلة ولا دائمة، وبعد كل خيبة وكل جرح نستفق ونتفتح أعيننا على حقيقة جديدة"

كيف لا أذكر فرحتي في ذاك اليوم، فتلك كانت آخر فرحة في حياتي، أول شيء رأيته بعد دخولي المدرسة، سورة كبيرة معلقة على الجدار ثبتت عليها أربع أوراق كتبت عليها أسماء الناجحين مع درجاتهم. لو لا أبي لما استطعت أن أتقدم نحوها للالاطلاع على نتيجتي.

تقدمي يا ابني، لا تخافي، ابحثي عن اسمك في الأوراق، أنت تعرفي أن نظري ضعيف.

إني أنظر يا أبي، لكن الكلمات تتحرك وحدها، لا أستطيع قراءتها جيداً.

همست الأستاذة محاولة تهدئتي:

حسناً، لا داعي للقلق، ولماذا أنا هنا إذاء، سوف أبحث عن اسمك هنا، انتظري فقط ..

صمت سيكادا عائشة بوشارب.....

هنا لا يوجد، وهنا كذلك، وليس هنا أيضًا.

استمرت سلمى في البحث وهي تقرأ أسماء الطلبة بتمعن، أما تانياً فوضعت يدها على قلبها بينما تضغط بالأخرى على أبيها كطفلة صغيرة خائفة من الصياع وسط الزحام.

فجأة صاحت سلمى مبتهمجة بفرحة تغمرها وهي تضع إصبعها أسفل الورقة قائلة: انظري يا تانياً، هنا اسمك، هنا!! يا رب لقد نجحت يا حبيبتي، تهاني الحارة.

تقدمت تانياً بتأنٍ نحو الورقة وقلبها يخفق بشدة وقد جف حلقها لتقرأ اسمها وتعود البهجة للتسري في جسدها من جديد بعد أن ظنت أنها لن تعود.

اغرورقت عيناً تانياً بالدموع، ثم عانقت والدتها وهي تكاد تبكي، في تلك اللحظة استطاعت تانياً أن ترى كم كان والدتها فخوراً بها! ربما لهذا السبب انفجرت بالبكاء مع أن دموعها عزيزة لا تتدفق إلا للشداد.

نظرت إلى والدتها وفي عينيها الكثير من الكلام الذي لم ترد أن تبوح به، كاشتياقها لأمها وكم كانت تتمنى أن تشاركهما فرحة نجاحها! لكنها لم تشا إنحزانه.

لقد فعلتها يا حبيبتي، كنت وإثقاً تمام الثقة بأنك ستنجحين، وسبحانك رب كيف تقبلت دعائي، حتى إنك في المرتبة الثانية في المدرسة.

أنا سعيدة جدًا لأن تلميذتي جعلتني أشاركها هذه اللحظة المميزة، بالتأكيد لن أنسى أن أجلب لك هدية قيمة.

تضرج وجه تانيا خجلاً وهي تقول: لا داعي للهدية يا أستاذتي، مرفقتك لي أجمل هدية.

اممم هكذا إذن! حسناً يا حلوتي، هذا يعني أنه الغداء على حسابي في المطعم الذي أحبه.

سرنا والسعادة تغمرنا وقد كان واصحاً أن سعاده والدي فاقت سعادتنا، ظل يلقي علينا جميع النكات التي يعرفها طوال الطريق حتى وصولنا إلى المطعم، لا أنكر أنت كنت سعيدة جداً كطفلة صغيرة فرحة بثوب العيد، لكن كل تفكيري كان منصبًا على أمي رحمة الله، كنت سأكون أكثر سعادة لو كانت معنا الآن، لكن شاءت قدرة الله والحمد لله على ما شاء.

كان أول ما لمحته قبل دخولنا المطعم ورد الياسمين البيضاء الكبيرة، كم أحب رائحتها المتميزة العطرة التي تثبت في النفس الطمأنينة، بالنسبة لي هي أفضل أنواع العطور، لفت نظري التصميم الرائع، فعند دخولك تجد ستائر مزينة بليلوأسود لاماً جعله لمعانه وانسجامه مع التصميم يبدو حقيقياً، حتى لون الطاولات أسود غامق كالشوكولاتة الغامقة، المصايبخ البيضاء أضافت رونقاً جميلاً، أما الكراسي فقد كانت وثيره يجعلك تشعر كأنك في منزلك.

رفضت أن أجلس بجانب الشرفة على الرغم من المنظر الجميل الذي تطل عليه، فخوفي من المرتفعات منعني من ذلك، لم تمضي على جلوسنا دقائق قليلة حتى توجه إلينا نادل بيده في الخمسينات من عمره مقدمًا قائمة الطعام بابتسامة لطيفة، ثم وضع أمامنا جرسًا صغيراً وهو يقول: عندما تقررون أي طبق تريدون تناوله اقرعوا الجرس فحسب، وسأتي في الحال.

أبي طلب حساء السلمون وأستاذتي طلبت المعكرونة الإيطالية بالجبن، أما أنا فطلبت السمك المشوي مع السلطة وحبة من الليمون، كم أحب شكله المقرمش خصوصاً عندما أصر الليمون فوقه، حقاً لقد كان لذياً بشكل جنوني حتى الأسعار لم تكن باهظة الثمن على الإطلاق، بل كانت مناسبة بالفعل.

شكراً لكِ كثيراً يا ابنتي سلمى على الوليمة الرائعة، لن ننسى أبداً هذا اليوم وكلنا سعديين فيه أنا وتانيا معاك، أتمنى لك الرضا لأنني أعلم أنه ليست هناك سعادة دائمة لمن تمنيت لك الرضا عن النفس.

كم كلامك جميل ورائع سيد مصطفى! أتمنى لك الشيء ذاته.

هذه أفضل هدية تلقيتها في حياتي على الإطلاق، شكراً جزيلاً أستاذتي، إنه أفضل يوم في حياتي.

ابتسمت سلمى ابتسامة تتشي بالحماسة ثم قالت: لا داعي لشكري، فكم احتجت لهذه النزهة، وحقاً قد أراحتني الخروج معكما فقد كنت بحاجة ماسة لل الاستمتاع، والآن هيا أعطني قبلة وداع يا عزيزتي، واعتنى بنفسك وبأبيك جيداً.

..... صمت سيكادا عائشة بوشارب

ردت عليها تانيا بعدما قبلتها:

بالتأكيد سأفعل أنت أيضًا اعني بنفسك، إلى اللقاء أستاذة.

..... صمت سيكادا عائشة بوشارب

بعد مضي أسبوعين على نجاحها في البكالوريا أتت تدق بابي الساعة الثالثة فجرًا، ما بث في نفسي الخوف، كانت حالتها مزوية وقد أكدت نبرة صوتها المرتعنة وعيناها المغبرة قتان بالدموع مخاوفي...

طلبت أن أرافقها إلى منزلها لأن وضع والدها بات متدهوراً، فطلبت منها بعض دقائق لأستبدل ملابسي!

أرجوك، أسرع ربي يخليلي، أنقذه، لا تدعه يموت، أتوسل إليك !!

حسناً، اهدئي، لا تخافي، أنا قادم.

لولم تخبرني بالحال الذي كان عليه لأنبني ضميري، لست أقول إن موته شيء مفرح، فلم يكن موت أحد هم مفرحاً مع أنني قابلت الموت كثيراً! لكن على الأقل لم يكن تأخري سبب وفاته، كان يعرف أنه سيموت، ولكنه حذرني من كشف ذلك لابنته المسكينة، قطعت وعداً والتزمت به، فهذه كانت رغبته.

تانيا لا، انهضي يا ابنتي، أفيقي.

فتحت عينيها ببطء وهي تفركمها.

لماذا لم تنامي في غرفتك، يا ابنتي! ستؤلمين ظهرك. قالها والقلق يطغى على ملامحه.

نهضت بروية من على الكرسي ثم ثناعت قائلة: لم أستطع الذهاب وتركك وحدك، فحتى لو ذهبت إلى غرفتي لم أكن لأستطيع النوم، لأن بالي سيقني مشغولاً عليك.

ابتسم بدباء قائلًا: يا لك من ابنة صالحة، لطالما علمت أنك مختلفة تمام الاختلاف عن كل من عرفتهم في حياتي.

بادرته الابتسامة، ثم ساعدته على الجلوس، وسكتت له الماء وناولته أدويته وهي تقول بمرحٍ: هيا أيي، عزيزي، اشرب دواعك يا شطوري أنزل للمطبخ وأعد لك الطعام الذي تحبه.

ابسم قائلًا: حسناً أستاذتي الصغيرة سأفعل.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، كانت تانياً في المطبخ الصغير تقطع البصل شرائح صغيرة، بينما كان والدها في غرفته ينادي ربه، ويحاول النهو من سريره بصعوبة وهو يقاوم السعال الذي دهمه فجأة، تقدم نحو خزانة الملابس محاولاً الوصول إلى ظهرها بصعوبة فائقة، وبعدها تمكّن من جلب مفتاح صغير ذهبي توجه نحو طولته الصغيرة ثم فتح درجها السفلي وأخرج صندوقاً خشبياً صغيراً يملأه الغبار، من الواضح أنه لم يستعمل منذ زمن، جلس فوق سريره ونظرات الحسرة مسلطة إلى الصندوق، مسحه بيديه الكبیرتين ليتطاير الغبار من حوله ثم فتحه وهو يحاول مقاومة سعاله المستمر. وضع يده على قلبه مغضضاً عينيه من شدة الألم الذي اجتاحه، أخرج من الصندوق عقداً أنتوياً رقيقاً فضياً يتوسطه عقيق أحمر مزخرف، ظل يتحسسه حتى سقطت على خده دمعة حارقة ثم قال والشروع يسيطر عليه:

..... صمت سيكادا عائشة بشارب

لقد حان الوقت.

أفاق من شروده عندما سمع خطوات تانيالا المنقدمة نحوه، راح يمسح الدموع التي انسابت من عينيه وهو يخفي الصندوق بسرعة تحت وسادته قبل أن تدخل تانيالا بثوان.

فتحت تانيالا الباب وهي تحمل بيديها الطعام قائلة: أبي حبيبي، حساء الخضار الذي تحبه.

بدأ يضحك من طريقة تقديمها الاستعراضية للحساء ومع ذلك فقد كان الارتكاك بادياً عليه: آه، ماألذ هذه الرائحة الطيبة!

جلست إلى جانبه وراحت تطعمه كطفل صغير، لكنه لم يقو على المواصلة فقال بصوت منهك.

"صحيت، لقد شبعت يا بنقى".

ردت عليه بنبرة إصرار: أرجوك يا أبي، لم يتبق الكثير حتى ينتهي الصحن.

حسناً، حسناً، أيتها العنيدة، ملعقة واحدة لا أكثر!

أومأت إليه بابتسامة عذبة ثم قالت:

بل ملعقتان!

تبادلا نظرات التحدي ثم انطلقوا في عاصفة من الضحك، وبعد أن أرغمهه على إنهاء حسانه. شرد من جديد ثم قال بنبرة حزينة: تانيالا، أريد إخبارك بشيء مهم.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب

حسناً يا أبي، سأغسل الصحون ثم آتي لندردش.

أمسك بيدها قائلًا:

كلا، إنه شيء مهم لا يمكنه الانتظار.

جلست أمام والدها والاستغراب بادٍ على وجهها، تنتظر أن يخبرها بالشيء المهم الذي لا يمكنه الانتظار.

طال صمته وهو يفكر من أين يبدأ حتى قاطعه فضولها: أنا مستعدة لسماعك إن كنت جاهزًا يا أبي.

أخرج الصندوق الخشبي من تحت وسادته وسط دهشتها: من أين لك هذا الصندوق يا أبي؟

نظر إليها من دون أن يجيب ثم قال:

هل تذكريين تلك القصة التي لطالما رويتها لك عن صديقين كانوا كالإخوة وكافحا لبعيشا حياتهما بشكل مثالي؟

ردت عليه بنبرة حماسية: بالتأكيد أذكرها يا أبي وما زلت أنتظر منك أن تكملها؛ لكن ما دخل القصة بموضوعنا؟

أجابها وهو يكافح سعاله: سأروي لك نهايتها هذه المرة.

لطالما تشوقت لمعرفة نهاية القصة، لكن حالتك لا تبدو بخير يا أبي، أشعر بأنك لست على ما يرام فلا داعي أن تتعب نفسك الآن، فما زالت أمامنا أيام كثيرة ويمكنك أن ترويها لي عندما تتحسن.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

لا يا ابني، يكفي تأجيلاً، وأصغي لما سأقوله، لقد انتظرت سنوات طويلة
لأجد اللحظة المناسبة، لكن الوقت نفد.

حسناً كما تريـد، لكن أوـلاً أخبرـني ما قصـة الصـندوق؟ وما الـذي يوجد بـداخلـه؟

ستفهمـين بعد قـليلـ.

ابـلـع رـيقـه بـصـعـوبـه وـراـح يـروـي:

كـما تـعلـمـين أـن "جمـيل" وـصـديـقه قد أـصـبـحـ لـديـهـما مـحـلـان لـبيـعـ الملـابـسـ
بعـدـما تـعبـاـ كـثـيرـاـ وـقـدـ بـاتـ كـلـ شـيءـ رـائـعاـ، مـا عـداـ جـمـيلـ، فـقدـ تـغـيـرـ طـبـاعـهـ
وـبـاتـ مـغـرـرـاـ، طـائـشـ، وـمـبـدـراـ يـنـفـقـ مـعـظـمـ نـقـودـهـ عـلـىـ الـفـتـيـاتـ، وـاستـجـارـ
الـسـيـارـاتـ الـفـخـمـةـ وـإـيمـانـهـ أـنـهـ مـلـكـهـ حـتـىـ يـتـمـكـنـ مـنـ اـمـتـلاـكـهـ، وـفـيـ كـلـ مـرـةـ
يـقـعـ فـيـهـ يـطـلـبـ الـمـسـاعـدـةـ مـنـ صـدـيقـهـ وـيـسـتـعـيـرـ مـنـهـ النـقـودـ مـعـ أـنـهـ لـاـ يـرـدـهـاـ لـهـ
أـبـداـ.

صمـتـ قـلـيلاـ وـهـ يـشـيـحـ بـنـظـرـهـ نـحـوـ الـحـائـطـ شـارـداـ فـيـ مـخـيـلـتـهـ.

لـقـدـ كـنـتـ أـنـاـ يـاـ تـانـيـلاـ. أـنـاـ ذـلـكـ الصـدـيقـ، لـمـ أـيـأسـ مـنـ جـمـيلـ فـقـدـ كـانـ أـخـ
بـالـنـسـبـةـ لـيـ، ظـلـلـتـ مـتـمـسـكـاـ بـهـ مـحـاـوـلـاـ أـنـ عـيـدـهـ إـلـىـ طـبـيعـتـهـ الـتيـ عـرـفـتـهـ بـهـاـ
لـكـنـهـ أـبـيـ، لـمـ أـسـتـسـلـمـ، كـافـحـتـ كـثـيرـاـ مـنـ أـجـلـنـاـ، وـلـوـ اـجـتـهـادـيـ لـمـ حـقـقـنـاـ
الـحـلـمـ أـوـ حـتـىـ نـصـفـهـ.

عاد لـشـرـودـهـ مـجـدـاـ وـمـعـهـ دـهـمـهـ شـعـورـ غـرـيبـ بـعـدـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ التـنـفـسـ.

حاـولـتـ بـشـدـةـ إـنـقـاذـ وـإـنـقـاذـ نـفـسيـ، وـأـخـيرـاـ بـعـدـ تـعبـ طـوـيلـ وـنـضـالـ شـاقـ تـمـكـنـاـ
مـنـ فـتـحـ شـرـكـةـ صـغـيرـةـ.

توقف لحظة ثم ابتسم فرحاً وبدا منفعلاً، وقد اكتسى وجهه بحمرة قانية وهو يقول: لم أصدق، لقد تحقق نصف حلمناأخيراً!! كنت سعيداً بشدة.

عادت ملامح الحزن لتطبع ختماً أبداً على وجهه وهو يقول:

لكن فرحي لم تدم طويلاً بسبب مصلحة الضرائب، لم يكفي المال آنذاك فقد كنت تزوجت مؤخراً بأمك زينب رحمها الله ونصف المال الذي ادخلته استأجرت به منزلنا، أما النصف الآخر فأخذه جميل عندما كان محتاجاً، لم أثر أنها مشكلة فقد كنت معتمداً على جميل بما أننا أصدقاء، فيمكنه إقراضي بعض المال للخروج من مشكلتي، فهذا ما نفعله لمساعدة بعضنا، صحيح؟ لم يدهشني رفضه إقراضي المال على الرغم من أنه لم يرجع لي نقودي، بل ما أدهشني هو طلبه!

استخرج المنديل من جيبه محفقاً جبينه الذي كان يقطر عرقاً، ثم أكمل: طلب مني أن أكتب جميع أسهمي في تلك الشركة باسمه لكي يتحمل دفع الضرائب وحده، لم أفكراً أبداً بأنه سيخدعني ويسرق الشركة وفكري كذلك، لكن للأسف هذا ما حدث يا صغيرتي.

ردت تانيا بغيظ وعصبية:

يا ربِّي، كم هو وقع هنا الرجل! كيف يمكنه أن يفعل بك هذا؟ كيف يجرؤ؟

فاطعها قائلاً: لم أكمل بعد يا ابنتي، يجب أن تكوني صبوراً وقوية لسماع القاسم، تمالك نفسك.

بدأ الحزن والتوتر على وجهه وكأنه سيفجر قنبلة نووية في قلب صغيرته.

يا تانيا، لا أعلم كيف سأخبرك بهذا، صدقيني هذا صعب جدًا علىي،
وسيكون أصعب عليك، لكن أريدك أن تعلمي أنني لطالما أحببتك، ومهما كان
الكلام الذي سأقوله صعبًا عليك فلياليك أن تشكي في حبي لك أو حب أمك
رحمها الله لك.

لأذت تانيا بالصمت مسلطة عينيها على مشاعر الحيرة والخوف والتوتر
وهي تحيط بوالدها.

أكمل حديثه وقد أشاح ببصره عنها خشية أن تهزمه عيناهما كما هزمته في كل
مرة فكر في البوح لها بالسر.

بعد استيلائه على الشركة، غير فيها كل شيء حتى اسمها، وأصبح شخصاً
آخر تماماً، فقد أعماد الطمع، وبات منحطاً إلى الدرجة التي أخرجه من
عبارة الإنسانية، فقد ظن أن كل ما في الحياة يُشتري بالمال، بعد أربع سنوات
أقام جميل علاقة غير شرعية مع خادمته التي أحبته بكل صدق، خاصة أنه
أوهماه أنه سيتزوجها و يجعلها سعيدة فقط لبيان مراده منها، وبعد أشهر
قليلية حملت المسكينة، لكنه لم يقبل بحملها إطلاقاً، فكل ما يهمه كان كلام
الناس حيال كيفية زواج رجل أعمال مهم مثله بخادمة مسكينة! صحيح لقد
أصبح رجل أعمال مهمًا لأنه سرق فكري وجهدي وتعيي، لقد جعلت منه
شخصاً مهماً دون ضمير في الوقت نفسه.

كان اسمها "آسيا". لم تقو على العيش مع فضيحة كهذه، فكما تعلمين شرف
الفقير أعلى من حياته، لا يُشتري ولا يُباع، لم يكن لديها أحد ليقف إلى جانبها
ويساندها لا سيما أنها يتيمة، على الرغم من توصلاتها له، رفض أن يتزوجها،
المسكينة كانت ترغب في إنجاب هذا المولود، وكل ما أرادته من هذه الحياة
عائلة سعيدة تعوضها حنان أمها الذي فقدته، لكن جميل كان رافضاً تماماً

فكرة الزواج من خادمتها، وكل ما استطاع تقديمها هو السماح لها بالمكوث في بيته كخادمة إلى يوم الإنجاب.

صمت فليلاً ليسترد أنفاسه دون أن يستطيع أن ينظر في عيني ابنته:

في ليلة مرعبة من ليالي مارس/آذار تجرأت أخيراً على القتال من أجل حلمي، وأول خطوة أرددت فعلها هي مقاضاة جميل على سرقته فكري وأسهمي في الشركة، أومن بأن الصدقة الحقيقية نادرة، قد تكون بين الأب وابنته، والأم ووالدها، لكن بعد ما مررت به، أدركت أن الصدقة بين الغرباء ليست سوى مصلحة أو طمع أو جشع، لديها مسميات كثيرة وكلها سيئة، أما من يقول إن الناس تتغير، فأقول له: الناس لا تتغير، بل تكشف عن حقيقتها مع مرور الزمن.

ذهبت إلى بيته الكبير ذي الطوابق الثلاثة، وفي يدي ورقة جلبتها من المحامي كي أخبره أننا سنلتقي في المحكمة يوم غد، أخبرني المحامي أنه يمكنه أن يرسلها إليه من دون حاجة لذهابي، ولكنني رفضت، أرددت مواجهته لكي أرى مدى تغييره!

صمت والغضب يسيطر عليه ثم واصل:

أتذكر أنني وجدت باب الحديقة شبه مغلق، فدفعته ودخلت متراجدة، توقفت قليلاً لأنفاس واستجمع أفكاري وكل ما خطر ببالي هو تشجيع زوجي للحنون، كان المنزل جميلاً جداً، لم يسبق لي أن رأيت منزلاً بمثيل هذا الجمال، إلا أنه كان بيئاً مرعاً وقد أصابي بقشعريرة شعرت بأنها تجري في جسدي خصوصاً بعدما سمعت أنينا وصراخها يعلو ويختفي، أخذت أقترب من مصدر الصوت، وفجأة سمعت صوت خطوات من خلفي. لا أعلم لماذا أحست بهذا الكم من الخوف، ربما لأنني لم أعتقد أن أدخل بيئاً دون

استئذان، يا إلهي، قلبي انتفاض حتى كاد يتزحزح من مكانه لكن فضولي قد هزم خوفي، فاختبأت في أول غرفة وجدتها أمامي محاولاً معرفة مصدر الصراخ! انحنىت قليلاً وأخرجت رأسي ببطء حتى رأيته يقف هناك، نعم إنه جميل! كان التوتر باديًا على ملامحه وهو يغدو جيئة ذهابًا ويشد رأسه بيديه وكان رأسه يكاد ينفجر.

فجأة توقف صراخها، وإذ بصوت رضيع يبكي، خرج الطبيب من الغرفة قائلاً: ألف مبروك سيد جميل، إنها فتاة، يجب أن أذهب الآن، لا تننس أن تنقل زوجتك للعيادة غداً لتلقي المزيد من العلاج لأن مناعتها ضعيفة جداً.

اختبأت مجدداً كي لا يراني الطبيب وهو يغادر، فوجئت من أن جميل لم يفكري حتى في الاطمئنان على الرضيعة، نسيت لم أتني في الأصل! ومع ذلك لم أستطع النهاب، شيء ما منعني، ربما تلك المسكينة المتروكة في الغرفة دون حول أو قوة، تأكدت من مغادرة جميل المنزل، فتوجهت لغرفة "آسيا" لكي أطمئن على حالها، فتحت باب غرفتها خائفاً خشية أن يأتي جميل، استجمعت كامل قوتي ودخلت ببطء. ويا الله، لا أستطيع نسيان هذا المشهد، كانت آسيا تحمل رضيعها بين يديها والدموع تغطي خديها، خيل إلي أنها ستصرخ في وجهي. لكنها حين رأيتني رفعت عينيها ببطء ثم نادتني بصعوبة طالبة مني التقدم نحوها، حين قابلتها كان وجهها مبتسمًا، تقدمت قليلاً لأرى وجه ابنته، لقد كانت تشبهها تماماً، جميلة مثل أمها وبريئة مثلها، خرجت الكلمات من شفتيها بصعوبة وهي تنظر إلى صغيرتها بحنان، وكان أول وأخر ما قالته هو: "تانياً".

كانت الصدمة بادية على وجه تانياً، صدمة امترزج فيها الغضب بالحزن والأسى والشفقة، صدمة جعلت الدموع تتوقف دون أن تدرى إلى أين تذهب، كل هذا والأب لا يستطيع أن ينظر في عيني ابنته.

كان الأب يبدو مخدراً وهو يستعيد تلك اللحظات، وكأنها تحدث أمامه الآن، إلى الدرجة التي دفعته إلى أن يشير بيده إلى جانب السرير وهو يقول: كانت عالبة دواء فارغة بجانبها وهي تحضر بالمعنى الحرفي !! لم أفعل شيئاً لأنني حتى لو فعلت لم أكن لأقدر على إنقاذهما، لن يساعدني لا المكان ولا الزمان، تأملتها فقط حتى لفظت أنفاسها الأخيرة، ما أصعب أن ترى روحًا نقية تعذب أمامك! كيف يكون حالك عندما تتعرض لصدمه يستحيل محوها من قاموسك!

ضحك ضحكة هستيرية وهو يصرخ: الانتقام، الانتقام، كلمة العدالة لا تنطبق إلا على المساكين فقط، إنها عدالة الموت والفقر والعنادب، أما معذومي الضمير فلا ينطبق عليهم إلا كلمة الحقاره، لقد انحرت المسكونية خشية أن يقتلها جميل ربما بعد أن حطم نفسيتها طوال فترة العمل، لم أستطع إنقاذهما، كنت مصدوماً، حاولت إيقاظها دون جدوى، كان الأوان قد فات، صمتت للحظة بعد أن توقفت عن مناداتها. نظرت إلى الرضيعه المسكونية وهي تبكي وكأنها شعرت بألمها والمصيبة التي وقعت، فجأة سمعت جميل قادماً نحو الغرفة وهو يسأل الخدم بعصبية ما هذا الصراخ، فقفزت من نافذة الغرفة دون تفكير تاركاً تلك الرضيعه مع الوحش في ذلك البيت المرعب.

رفع حاجبيه ثم طاطأ رأسه ثم قال بصوت حذر: انتظرت ساعتين أراقب المكان من شاحنتي الصغيرة محاولاً استبعاد ما حدث، أردت أن أنفذ الرضيعه من هذا الوحش، ومع ازدياد حيرتي لم أجد سوى السجائر فأأخذت أنفث السجائر حتى أنهيت العالبة دون أن أدرى، حتى رأيت سيارات الشرطة تنتشر أمام المنزل وفي محيطة، ناهيك عن سيارة الإسعاف التي أقيضت

النائمين بصفيرها، لمحت المسعفين ينقلون جثة آسيا في كيس أسود إلى سيارة الإسعاف دون أن يرافقها أحد، كنت متجمداً وكأني أشاهد فيلمًا سينمائياً من أفلام الرعب والدراما، في ذاك اليوم رأيت الخوف مرتسماً على وجوه الجيران بعد أن شعروا بأن ملك الموت كان في حيهم قبل ساعات.

شد في مخيلته مجدداً ثم انتفض فجأة وهو يقول: لقد خرج المجرم ووجهه مبلل بالعرق المتصلب من جبينه واتجه نحو سائقه الذي كان يقف أمام مدخل البيت، استيقظ فضولي، فنزلت من شاحنتي وتسللت نحوهما إلى أن اختبأت وراء جذع شجرة وارفة الظلال، ومن بين الضوضاء فهمت أنه سيخرج في الصباح الباكر مع سائقه، في تلك اللحظات خطر في بالي زوجي التي تنتظر نتيجة لقاء بجميل، عدت أدراجي لأهاتفها وأخبرها أنني لم أقابلها وأنني سأضطر إلى المبيت في مدينة أخرى لأن تاجراً قرر أن يسدد دينًا كان قد افترضه مني.

تسمرت داخل شاحنتي حتى طلوع الشمس، لم يغمض لي جفن.

انتبه فجأة إلى السلسلة، فقال ويده ترتجف:

كانت هذه السلسلة في يد آسيا، كانت تحاول أن تضعها على عنق ابنتها قبل أن يدهمها الموت.

عادت القصة الحبيسة في صدره تندفع من جديد فكيف تصر و قد ذاقت طعم حريتها لأول مرة! أعادته القصة إلى الشاحنة وأنسته أن السلسلة بين يديه:

رأيت جمily يخرج من المنزل حاملاً الرضيعه، في تلك اللحظة كان سائقه يخرج السيارة من المراقب، وما إن انطلقت السيارة، حتى شرعت في ملاحتها عن بعد إلى أن توقفت أمام مستشفى الأمراض النفسيه.

نزل السائق ليفتح باب السيارة لسيده لكنه لم ينزل، بل أعطاه الرضيعه وأوهما برأسه مشيراً إلى باب الملجأ دون أن ينطق بكلمه، نفذ السائق أوامر سيده دون أن يرف له جفن، كأنها قطعة قماش.

لمعـت في رأسه فـكرة: الآن فـهمـت لـماـذا اـنـتـرـتـ "آسـياـ" ، بـسـبـبـ خـوفـهاـ منـ هـذـاـ الـوـحـشـ، حتـىـ إـلـقـاءـ الرـضـيـعـهـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ عـظـمـ الـجـرـيمـهـ لاـ يـقـارـنـ بـإـلـقـائـهـ بـهـذـهـ الـطـرـيقـهـ أـمـامـ مـسـتـشـفـيـ مـجـانـينـ.

عادـتـ القـصـةـ لـلـانـدـفـاعـ مـنـ جـديـدـ:

غادر جمily وكلبه المطبع تاركين الرضيعه للمجهول، وما إن غادر حتى وجدت نفسـيـ أـرـكـضـ نحوـهاـ، تارـكاـ إـيـاهـاـ بمـفـرـدـهاـ فيـ ذـلـكـ الـبرـ القـارـيسـ الذـيـ لاـ يـسـتـطـعـ تـحـمـلـهـ رـجـلـ بالـكـ بـرـضـيـعـهـ لمـ يـمـضـ علىـ ولـادـتـهـ 24ـ ساعـهـ، كـشـفـتـ عـنـ وجـهـهـ، كـانـتـ نـائـمـهـ، كـمـلاـكـ، لمـ أـتـمـالـكـ نـفـسيـ فـصـرـتـ أـبـكيـ كـطـفـلـ صـغـيرـ، نـزـعـتـ شـالـيـ وـغـطـيـتـهـ. بـقـيـتـ مـتـسـمـئـاـ وـالـأـفـكـارـ تـدـورـ فـيـ رـأـسـيـ، قـرـرتـ أـلـاـ أـتـرـكـهـ وـلـكـ إـلـىـ أـيـنـ وـمـاـ مـوـقـفـ زـوـجـيـ؟ـ هـلـ أـسـتـطـعـ أـنـ أـعـيـلـهـ وـأـنـ مـفـلـسـ مـهـدـدـ بـالـطـرـدـ مـنـ بـيـتـيـ؟ـ تـرـكـتـ وـرـقـةـ صـغـيرـهـ كـتـبـتـ فـيـهـ "ـاعـتـنـيـ بـيـ أـرـجـوكـ "ـ تـانـيـلـاـ".

وـأـخـيـرـاـ، سـمـحتـ القـصـةـ الـحـبـيـسـهـ لـسـجـانـهـ بـالـتـحرـكـ، لمـ يـكـنـ يـدـركـ أـنـ هـذـهـ القـصـةـ اـسـتـولـتـ عـلـىـ لـاـ وـعـيـهـ، وـمـاـ إـنـ تـحرـرـ مـنـ قـيـودـهـ حـتـىـ وـجـهـ نـظـرـهـ إـلـىـ اـبـنـتـهـ وـالـخـوفـ عـلـيـهـ يـطـغـيـ عـلـىـ كـلـ ذـرـةـ فـيـهـ.

كانت تانياً ساكنة دون حراك فقد تدفق عليها نهر جارف من الصدمات جعلها
تنسى أين هي!

وببساطته وطبيته التي جعلت منه أضحوكة لعدوه، ضم ابنته إلى صدره وهو
يبكي:

أعتذر لأنني تركتك على باب الملحق ولم أصطحبك في ذلك اليوم إلى بيتك،
أعتذر لأنني تأخرت في تبنيك، أعتذر لأنني لم أخبرك الحقيقة، أعتذر...

وضعت تانياً يدها على فمه وحضرته بقوة، وهي تبكي بحرقة، ومع بكائها
كان صدره يتقطع لكنه لم يكن يدرى كيف يتصرف، كيف ينقذها وينفذ نفسه
من هذا الألم! حتى جاء المنقذ، كان المنقذ هذه المرة هو الإلهان والإعياء
الذين أصاباً تانياً من شدة بكائها فغطت في نوم عميق وهي تحضن والدها
ال حقيقي.

جاهد الأب حتى لا ييقظها فلم يحرك ساكناً.

نهضت تانياً بعد ساعات ومن دون أن ترفع رأسها، قبّلت يد والدها، ثم قالت:
أبي حبيبي، أبي حبيبي، هل تسمعني يا أبي، مهما حدث أنت أبي وستبقى أبي.

عم الصمت الغرفة، فعادت لتقول:

آأأنت غاضب لأنني بكيت يا أبي! أعتذر إليك، أنت أبي، ومن تملك أباً مثلك
عليها ألا تحزن أبداً.

بقي الصمت سيد الموقف ومعه عم هدوء مخيف، وما إن أزاحت جسدها
لترفع رأسها حتى مال والدها إلى الخلف وعيناه شاخصتان نحو سقف الغرفة،
فراحت تهزه بقوة قائلة:

أبي، أرجوك، أجبني يا أبي، لا تصمت لا تعاقبني هكذا، استيقظ !! هيا استيقظ
يا أبي !! أرجوووووووووك !

خرجت من الغرفة راكضة بسرعة فتعثرت ليرطم جسدها بالأرض بقوة،
لكنها نهضت دون أن تفك في فقد موضع الارتطام، توجهت مباشرة إلى
منزل جارها الطبيب لتدق بابه بكمال قوتها، ما أحدث ضجة هزت سكون
الليل.

ماذا لو كان هذا كله حلمًا؟ كيف يعقل أن يختفي أبي كلمح البصر؟ ماذا لو أنه لم يكن موجودًا في حياتي! نعم هذا منطقى لا يوجد تفسير آخر، ربما أنا الوحيدة التي على قيد الحياة في هذا العالم وكل من حولي مجرد صور ليس لها وجود! لماذا لا تجibنى الجدران؟ بالأمس فقط كنت تصرخين بوجهي لمعنى من فعل الأشياء التي تبرد قلبي، حتى أنك كنت تتأمررين مع ضميري صدي! أين اختفت عيناك اللا مرئيتان اللتان كانتا توبخاني دون أن تنطق عندما أرتكب خطأ؟ حتى أنك كنت تؤنسى وحدتى فأين أنت الآن؟

آخر ما تبقى لي منه رائحته الزكية الملتصقة بثيابه التي أصبحت مدمنة عليها، وزوايا المنزل التي تحمل كل ذكرى سعيدة مررنا بها معًا، بات الاشتياق يخنقني وروحى الحزينة تحوم حول المنزل باحثة عن روحه لعلها تتواصل معه وتأخذنى إليه.

جثت على الأرض أمام والديها واغرورقت عينها بدموع تساقطت على خديها الورديين كطفلة صغيرة، غير مكترثة بتراب المقبرة الذي لطخ ثيابها، راحت تحاول بكل جهدها إخراج الكلمات الحبيسة فخانتها، انهارت باكية وهي تمسح شاهد قبر أبيها بيديها قائلة:

أنت الآن نائم مع حبيبتك زينب كما طلبت في وصيتك، وكم تمنيت لو أنك طلبت فيها وجودي إلى جانبكما، صدقني يا أبي، كل ما أريده الآن هو أن نائم بجانبكما ثلاثة، فنحن طيبون لا ننتمي لهذا العالم السيئ، لكن ليس قبل أن أحقق حلمك.

مسحت تانيا دموعها بصمت، ورتبت الزهور على قبر والدتها، رحفت إلى أن توسيط قبريهما ألت بجسدها بعد أن تمزق قلبها حزنًا ثم قالت وهي تهذي: أنت السبب الوحيد الذي أبقاءني حية عندما توفيت أمي، والآن ليس لدى سبب كافٍ لأعيش من أجله، لم أكن أريد الكثير من هذه الدنيا، آمالي وأحلامي تحطمت، لكن، لا تشغلي بالك علىّ، إنني أبكي فقط لأنني سعيدة فأنا أعلم بداخلي أنه لم يتبق لي الكثير حتى نجتمع مجددًا، انتظراني كما فعلتني دائمًا، سأعتني بنفسي جيدًا تماماً كما تحبان.

غمرتها ضحكة ممزوجة بالدموع ثم أضافت:

وسأطفع الأنوار كي لا ترتفع فاتورة الكهرباء.

تدفقت الدموع من عينيها بغزاره لكن البكاء هذه المرة لم يرحاها، هيئات، البكاء لم يعد يجدي! ربما تحتاج إلى الصراح، أو إلى صفة تيقظها وتعيدها إلى الحياة من جديد، جاهدت لتتنفس نفسها من العرق في بحر الحزن.

باتت تانياً تخشى النظر إلى انعكاس صورتها في المرأة، لأنها صارت تكشف عن وجه لم تعرفه من قبل، وجه ملأه الحقد والحزن والغضب والوحدة والألم، والانتقام الذي.

كل ما شغل بها هو الانتقام من الذي دمر حياتها وقضى عليها بعد أن سلب منها طفولتها، وهو ذا ثانية يسلب ما تبقى من مستقبلها، أرادت تحطيمه، حتى خطرت ببالها فكرة تعطي حياتها معنى، تمسكت بها على الرغم من أنها تختلف كل ما تربت عليه، فشرعت في الإعداد لها دون تردد، بدأت ببرمجة صفحة مزورة تمهدًا لإرسالها إلى ضحايا موقع التسوق، ليهاجئوا بتبنيه من الواقع يدعوهم إلى تدوين معلومات حساباتهم البنكية دون أن يشكوا في شيء، وبهذا تتمكن من جمع النقود التي احتاجتها لتنفيذ خطتها.

مرت ثلاثة أيام بلياليها ولم تتم صديقتنا سوى سويات قليلة، تمكنت خلالها من سرقة 700 دولار، وعلى الرغم من أنه لم يكن المبلغ الذي رغبت في جمعه إلا أنه كافياً نوعاً ما للشرع بالجزء التالي من الخطبة.

بات الانتقام همها الوحيد، وأن تنفي هذا المجرم مرارة خطيئة غيرت مسارها، هل القدر من فعل بها هذا؟! هل حقاً خلقت لتكون حياتها بهذا الشكل؟!

تناقضات كثيرة تدور في عقلها الصغير الذي لم يستطع استيعاب كل هذه الصدمات، فأصبح الانتقام ملاذها الوحيد.

لم يعد حياتها طعم بعد أن وجدت نفسها محاطة بالحزن وشاشة حاسوبها التي لا تبادرها الإحساس، عينٌ تدمع وأصابع ترتجف قهراً، قلبٌ منكسر وعقلٌ صغير لم يستوعب معنى الوحيدة والفقد والموت، أما الشاشة فلم تحرك ساكناً وهي تنتظر أن تعرف أناملها لحناً مشفرًا.

توقف الدموع وحل ضجيج لوحة المفاتيح، ها هي تانياً تقوم بما لم تفعله من قبل، تخاطر بجرأة كبيرة وتضغط على الأمر الأخير الذي سيغير الكثير من الأحداث، ربما ليس في عالمها لكن في حياة الآخرين.

غفت تانياً على لوحة المفاتيح التي باتت صديقتها الوحيدة.

استفاقت تانياً ببطء على صوت منبه ذو رنة ضعيفة تبدو ملائمة لطرازه القديم، وبعينين نصف مغمضتين نظرت حولها لتجد نفسها نائمة في غرفة أبيها محتضنة وسادته التي تحمل رائحة عطره، نظرت إلى الساعة لتجدها الثامنة صباحاً فنهضت تغسل وتغير ثيابها السوداء بثياب أكثر بهجة لتبدو جميلة.

"لأن هذا اليوم مهم بالنسبة لي".

وأضافت: أقف الآن بالقرب من حلمك يا أبي.. "شركة جميل الجزائري للتصميم". عند دخولي أحسست بأنني خارج البلاد، إذا كانت هذه مجرد شركة فكيف ستكون الجنة! السقف مرتفع جداً، أما الأرض فلامعة لدرجة تمكنتني من رؤية انعكاس وجهي الشاحب وعييني اللتان أحاطتهما هالتان سوداوان، لم أنه من وصفه بعد، يجب أن ترى هنا بعينيك إنه لا يصدق بيديوكالحلم!

يوجد مركز تجاري كبير مزين بأدوات زينة لم أمر مثيلاً لها في حياتي، تحف جنباته المطاعم الفخمة ومحال الملابس الفاخرة، تجولت قليلاً محاولة عدم جذب الانتباه ولكنني لم أستطع اكتشافه أكثر لأن الوقت لم يكن

لصالحي، وكان قد قارب نصف يومي على الانتهاء ووجب علي إكمال مهمتي، كان هدفي خداع أحد الموظفين للحصول على معلومات مهمة عن الشركة، أو الحسابات الإلكترونية لعملائها لكي أستخدمها ضدهم، لأنّمك من القضاء على الشركة بأكملها! لكن الموظف الغبي كان حريصاً جدًا بحيث لم أستطع أن أظفر بكلمة واحدة تفيضني !!

خرجت مسرعة من الشركة والعصبية الشديدة تتملكها، ثم توقفت لحظة وأخذت تحدث نفسها: " يجب ألا أفقد الأمل، إنها محاولتي الأولى فقط، لا يزال لدى العديد من الطرق ".

لم تكمل كلامها حتى رأت مجموعة من الموظفين أمام مدخل الشركة، وفي المقدمة منهم رجل قصير ذو لحية بيضاء يوجه الموظفين بيديه كقائد فرقة موسيقية، كان يرتدي طقمًا مميزًا جعله يبدو كقططان سفينة، وما إن انتهى من توجيه الموظفين البسطاء حتى توقفت سيارة فارهة فأدركت أن مسؤولاً كبيراً قد جاء للتسوق.

ترجل السائق من السيارة بط矜مه المرتب ليفتح الباب، كانت نظرات الموظفين وأنا معهم مرتكزة نحو السيارة، وهم ينتظرون نزوله للترحيب به، وضع رجله اليمنى على الأرض فرأيت حذاءه اللامع، وما إن وقف حتى لفت نظري رجل يرتدي بدلة فاخرة، ينظر إلى ساعته بملل، وكأنه لا يرى أمامه أحداً، تقدم "القططان" نحوه والابتسامة المصطنعة بحرفية تكسو وجهه.

" إنه هو ! جميل "

تحمّدت في مكانها، لم تستطع تحريك أي شيء، أحسّت وكأن روحها تلاشت، لم تستطع أن تشيح نظرها بعيداً عنه، كيف ذلك وهو الوحش الذي قتلها وقتل أمّها وملا قلب أبيها حزنًا؟! سيطرت على عقلها فكرة واحدة وحسب.

"أستطيع أن أذهب إليه وأقتله الآن بيدي وأنهي كل شيء! لكن لا؛ لن أفعل!
لأن خطتي ستفشل هكذا، سأغذّيه ببطء ليموت على نار هادئة، مهلاً ما
هذا؟ لم ينظر نحوّي؟ يا ترى هل سمع ضجيج أفكارِي؟ ألهذا السبب ينظر
ناحيتي؟ إذا استطعت أن تقرأ أفكارِي فأريديك أن تعلم أن نهايتك ستكون
على يدي، أوه لا، هل شعرت فجأة بأن ابنتك البيولوجية تقف مباشرة
نحوّك!!"

بسط يديه عالياً ناحية ثانية وعلت وجهه ابتسامة عريضة تدعو للاحضان،
وكانه يخبرها بابتسامته أنه يريد معاونتها، "لكن ما به، لم فعل هكذا، ما الذي
يحدث بحق الجحيم؟"

تساؤلات كثيرة هبت على رأسها كالرياح في ثوان قليلة فقط، حتى مر من
 أمامها شاب لم تتمكن من رؤية وجهه، فقد ذهب راكضاً إلى جميل معانقاً إياها
 بسعادة قائلًا بأعلى صوته: "أبي اشتقت إليك!"

أخ!، لدى آخر؟!

وصلت إلى المنزل الساعة الرابعة والنصف مساء وقد تورمت قدميها من
ارتداء الحذاء العالي الذي لم تعتد ارتداءه فترة طويلة، ألقت حقيبتها على
أقرب مقعد، وتوجهت إلى غرفتها وألقت جسدها على سريرها فشعرت براحة
شديدة، كان البيت بارداً للغاية مع أن الجو معتدل، قالت في نفسها: ربما كان

الفراغ هو الموت، لذلك بات البيت دون حياة، مظلماً مع أن أنواره مضاءة، بارداً مع أن الجو دافئ، حتى الوجود فيه يشعرني بعدم الاستقرار وكأني لم أعش هنا يوماً، الأسوأ من كل الذي يحدث حينما يمر شريط ذكرياتي الجميلة التي قضيتها هنا وقد باتت الآن مجرد ذكريات حزينة. فالذكريات مؤلمة وإن كانت سعيدة.

ثم توقفت فجأة ورفعت رأسها إلى السماء: شكر لك يا الله لأنك تنصرت إلي، فلام يعد لدى أحد غيرك.

فجأة جاء المنقذ من مكان لا يخطر على بال.

أيقظتني عصافير بطنى الصارخة جوعاً، فراح عقلي يفكر في طريقة لاسكاتها، لم يتبق لي مال كاف لأشتري به الطعام، الدولارات التي جمعتها صرفتها على الأداة اللعينة التي اشتريتها من "الدبي ويب" لكن خطتي لم تنجح بسبب ذاك الموظف الغبي!! جسدي مرهق وعاليق في تلك اللحظة التي رأيت فيها أخي، هل فعلًا يستحق كلمة أخي؟ يا ترى هل يشبهبني؟ هل هو شرير مثل والده أم هو طيب مثل؟ أنا طيبة أليس كذلك؟ يبدو أنني أصبت بالجنون، دعيك من كل هذه التفاهات يا تانيا لا يجب إلا نفكري كالبشر، اقتلني مشارعك، ربما أستطيع أن أقتل مشاعري الحزينة لكن شعوري بالجوع لا يموت، يا إلهي كم أنا جائعة.

كان الجوع طيباً فقد أنقذها من دوامة التفكير التي غرفت فيها، أخذت تبحث بين بقايا الطعام حتى وجدت ما يسد رمقها.

جلست على كرسيها الوثير الذي اختارته خصيصاً لمهمتها فلم ترد أن يؤخر خطتها أي شيء حتى لو كانت جلسة غير مرحبة، لأن مهمتها الآتية قد تتطلب

وقدّا طويلاً، قامت بإعادة تزويد جهازها بالأنظمة التي تبقى الشرطة المعلوماتية بعيدة عن تفكي عنوان "الجهاز اللاسلكي" الخاص بها، وراحت تشاهد مقاطع الرعب الحقيقة داخل الغرفة الحمراء الدموية التي تعد من أخطر الواقع الموجودة في الإنترت المظلم الذي يعد الجزء الكبير من الإنترت العميق حيث تكمن الحقيقة، من إحدى مميزاته أنه لا يظهر في محرّكات البحث التقليدية، كونه يحتاج لبرمجيات خاصة للدخول إليه والمهمة منها التي تستخدم لإخفاء الهوية، وهو المكان الأنسب لجميع أنواع التفوس المريضة وما أكثرها.

استيقظت في صباح اليوم التالي بصعوبة، وفتحت عينيها بتकاسل شديد، وأخذت تتأوه بسبب التشنّج الذي أصاب ظهرها، ذهبت لتغسل بماء ينعش روحها ثم ارتدت ملابس جديدة، سرّحت شعرها الطويل ورفعته ثم ثبّته ببابيس، جلست على الأريكة في غرفة المعيشة ممسكة برأسها بين يديها، حتى ذهب تفكيرها فجأة في اتجاه آخر، قامت من مكانها بكمال سرعتها وأخذت حقيبة يدها الصفراء معها إلى مغامرتها التالية.

بينما الجميع منشغلون بأشيائهم الخاصة في هذه الشركة الكبيرة كانت تانياً تسعى لتحقيق انتقامها، جالسة في صالة الاستقبال متّنظرة دورها للدخول إلى تلك الغرفة التي ستكون جزءاً كبيراً من انتقامتها، سافرت بها التصورات والخيالات لتشكل في عقلها أفكاراً سلبيةً جعلتها متوتّرة، أرادت أن تجمع شتات أفكارها لتركز على المرحلة القادمة، فتنهدت بعمق وقالت محدثة نفسها:

"أنت قوية يمكنك فعلها".

لم تكمل حديثها المشجع، فإذاً بها ترى السكريتيرة قادمة نحوها وبيدها دفتر صغير تنظر خلاله وتنادي على اسمها المدون عليه قائلة:

"الإنسنة تانيا، أنت التالية".

ها أنا ذا ثانية في هذه الشركة التي قدر الله أن أزورها مجدداً وقد تكون زيارتي لها هذه المرة طويلة.

هل لديك خبرة في التنظيف؟

ادركت تانيا خطورة السؤال بعد أن تذكرت الطابور الذي ينتظر دوره في الخارج، فقررت قول الحقيقة كما قال الشهير محمد علي كلاي "إن أسلوبى في المزاح هو أن أقول الحقيقة فهي أطرف نكتة في العالم".

كلا، أنا هنا في مهمة سرية خطيرة، في الحقيقة سأعمل هنا حتى أستولي على الشركة وأصبح رئيستها.

تسمرت مديرية الموظفين بعد سماعها الإجابة وعلت وجهها ملامح الجدية. قبل أن تصاحك وهي تقول بحماسة:

لقد أعجبت بخفة دمك يا فتاة!

وأضافت بنبرة مفعمة بالشك:

يا إلهي على أساس أنك توقعت مني تصديقها !!

ردت تانياً بثقة: في الحقيقة هذه أول مرة سأعمل بها لكتني أعدك أن أكون جيدة في التنظيف، فمنزلي بعد وفاة والدائي يقع كله على عاتقي.

رمقتها مديرة الموظفين "فاطمة" بنظرة شفقة، ثم ردت عليها بابتسامة تعلو وجهها البشوش: آه منك يا ابني، أتعلمين أنك تشبهين ابنة أختي كثيراً، صريحة، جميلة، ووتحة أيضاً.

ابتسمت دون أن تتبس ببنت شفة، فهي لا تعرف كيف تجيب على الإطراء.

حسناً إذن، مبارك، ستباشرين عملك غداً.

غداً؟ حقاً!

ردت فاطمة بمزاح ممزوج بالقليل من بهارات التهديد: نعم عزيزتي، إلا إذا كنت تريدين مني استبدالك بشخص آخر!

توترت تانياً فأردفت قائلة بسرعة كبيرة: سأكون موجودة صباحاً، أنا حقاًأشكرك.

همت بمعادرة الغرفة، ثم توقفت:

سيدة فاطمة، ليس لدى شيء لأفعله اليوم هل يمكنني البقاء الآن؟

نظرت إليها فاطمة من أسفل نظارتها الطبية وهي تقول: لم أر يوماً شخصاً متھمساً للتنظيف، على برکة الله إذن، تعالى معي ساريك الطريق.

أخذتها فاطمة لتريها المكان، ومن ثم أعطتها طقماً جميلاً كالذى ترتديه الخدمات، مع ربطه عنق صغيرة أضافت إليه لمسة لطيفة.

تعرفت في يومي الأول على فتاة بدت مرحة لكنها ثرثارة جداً، اسمها "شيماء" خديها منفخان كالبطيخ، سألتني العديد من الأسئلة إلا أنني لم أجيبها على أي منها، كل ما قفت به هو الإيماء برأسى، لم أرد أن تقترب مني كثيراً فالاحتياط واجب.

لم يحدث أي جديد سوى أننى عملت كثيراً حتى أصبحت بالإرهاق، قبل خروجي من الشركة اضطررت لسؤال زميلاتي "شيماء" عن الراتب لأنى نسيت هذا الأمر كلّياً، لو لا حاجتي له لما سألتها، فيكتفيت القرب خطوة من انتقامي الكبير، فوجتها فرصة لطرح المزيد من الأسئلة المتطلفة، إلا أننى استغللت ذكائي بتوجيهها إلى موضوع آخر.

عدت إلى منزل لأنفاجا بجارتنا "حكيمة" تقف عند باب البيت ممسكة بقدر صغير فربت على كتفها: أهلاً حالتي "حكيمة" خيراً ما الذي أتى بك؟

استدارت الجارة وقد اكتسى وجهها بعلامات الارتياح قائلة: أخيراً أتتني يا ابنتي، لقد خشيت أن يكون قد أصاباكِ مكروره.

علت وجهها ابتسامة دافئة وأضافت: كما أنني أحضرت لكِ بعض الشورية، هي أمسيكي بسرعة إنها ساخنة.

مدت تانياً يدها بتردد يمتص بالخجل: حَقّا، لا أعرف كيف أشكرك! صدقوا
الجيران عندما قالوا عنك دواء لكل داء.

في الصباح الباكر دقّت تانياً باب الجارة التي فتحته بابتسامة بشوّشة، فبادرتها
تانياً بابتسامة مماثلة ثم أعطتها القدر الفارغ مضيافة إليه كيساً من الكعك
الطازج، كما درجت العادة في الجزائر.

لا شيء جديداً أو مميّزاً يستحق الذكر اليوم، لم يأت "جميل" للشركة ولا حتى
ابنه الغريب الذي لم أر وجهه حتى، "استمتع جيداً فأيامك الممتعة على
وشك الانتهاء". هذا ما قالته بينها وبين نفسها.

أوّما أحد الزبائن بإشارة من رأسه مناديًّا إياها، لكنها لم تنتبه إليه فانهماكها
في العمل أفقدتها تركيزها. أكملت حديثها بينها وبين نفسها شاردة لأنها
نسترجع ذكرى بعيدة، وفي آخر لحظة أيقظها صوتًا عاليًا ليجنّبها من قاع
الشroud الذي كانت تعرّق فيه، فذهبت مسرعة نحوه مليبة طلبه قبل أن ينتبه
المدير ويوبخها فهو مشهور بطبعه الحادة.

اجتهدت بالعمل كما لم يفعل أحد من قبل حتى استنفذت طاقتها خوفًا من أن
يتم طردّها قبل أن تنفذ خطتها، واستغلّت الترثّارة شيماء كي تغطي عنها بينما
تذهب للتعرّف إلى زوايا الشركة لعلها تجد ثغرة تمكنها من تنفيذ خطتها
بطريقة مختصرة.

تخطو خطواتها الواسعة بحذر وكلها ثقة بنجاح مخططها، تراقب الأجراء
كالأسد الذي يراقب فريسته قبل الانقضاض عليهما، يخنقها ازدحام الموظفين

وطاقاتهم السلبية المنتشرة في المكان التي اختلطت بالهواء، فتهرب بكل سرعتها نحو أول منعطف لتجد نفسها تقف عند باب المركز التجاري، تتوقف بر هرة ل تستنشق بعض الهواء النقي لعل أزيز بطنها يهدأ، ثلث تهيدات كانت كفيلة بتحقيق أمنيتها ل يجعلها تجعلها حقيقة.

وأخيراً وجدته !!

أنهيت دوامي وتوجهت إلى البيت مستمتعة بقطرات المطر الصافية التي كانت تطرق كتفي قطرة قطرة، جالبة معها جميع روانح الطبيعة التي أحبتها، التراب والأزهار، كم أحب المطر عندما لا يكون متوقعاً وممزوجاً بغروب الشمس ليزيد من جمال غروبها، الهدوء الذي سيطر على الشارع ساعدني على فرز أفكاري، بالطبع كيف لم يخطر بيالي "الصراف الآلي"، فمن الطبيعي وجوده مع توافر المركز التجارية داخل الشركة، إنه ورقة حظي !! يمكنني استخراج معلومات الموظفين لعلي أجد ثغرة تساعدي في الاستيلاء على الشركة مثل حساب البنك الخاص بالشركة، لكن لا أظنهم بهذا الغباء حتى يدخلوا معلومات مهمة بهذه إلى الصراف الآلي، ومع ذلك لا مانع من المحاولة! لكن لازال تنقصني الأداة التي ستمكنني من استخراج المعلومات التي بداخله فمن دونها لا يسعني فعل شيء.

أسرعت إلى المنزل فور أن لمعت في ذهني فكرة بدت لي معقوله، دخلت منهكة القوى أكاد لا أقوى على تغيير ملابسي ولم تكن لدى رغبة في الأكل، توجهت مباشرة لغرفتي فجلست أمام صديقي الوحيد الذي يفهمني أكثر مما أفهم نفسي، انتظرت اشتعال ابتسامته الزرقاء، ومن ثم دخلت إلى نظامي

المفضل "الكالي لينكس" ثم دخلت إلى متصفح الـ "tor" بعدها طبعت كلمة السر، بعدها جلبت روابط الديب ويب للدردشة كي أبحث عندي تلك الأداة، فالتفاوض هو الحل الوحيد الذي تبقى لي، ولم أكن بحاجة إلى دعوة من أحد الدخول إلى هناك لأنني امتلكت معظم كلمات المرور للموقع السري والمحمولة بعدها نجحت في تحديد قديم تحت اسمي المستعار "سيكادا".

لطالما كنت من محبي حشرة السيكادا التي يخشاها الكل، فرغم صغر حجمها فإنها ذات عقل انتقامي خطير وتمتلك من الصبر ما لا يملكه راشد، بوسعها التخطيط لسنوات طويلة دون كلل، وفي اللحظة التي تجدها مناسبة تنقض على عدوها دون شفقة.

أدخل إلى الديب ويب وأتعمق أكثر، هذا الموقع ذو الواجهة الصفراء كتابته تشير إلى أنه روسي، لطالما أثارت إعجابي الحماية القوية التي يتمتع بها، ولن أقول أنني شعرت بالحزن من أجل مالكيه عندما تم اخترافه، فلا بد من أن المفترق أذكي من الذي صممته وجعله بهذه الحماية، حاولت التحدث مع أربعة أشخاص، لكن لم يفهم منهم أحد ما قلتة، فهم لا يجيدون إلا اللغة الروسية، ولحسن الحظ أو "سونه" اسم الأداة وحده كان كفيلاً بأن أحصل على إجابة واحدة "no!".

لا بأس لن أستسلم، فخروجي من موقع واحد خالية الوفاض لا يعني أنني فشلت، سأواصل البحث حتى أجدها فطالما آمنت بمقولة أبي رحمة الله "ولأن أردت من الزمان مراتعًا، فاعمل على ضد الشواغل كلها"

مرت ساعة كاملة دون أي نتيجة، تطرق بأصابعها فوق الطاولة وتنهد بعمق مغمضة عينيها، موقع آخر وفرصة أخرى، متأكدة من أنه سيكون السبب في إيصالها للأداة لكن ليس قبل أيام بحجمه الكبير، أخذت تشرب الماء عليها تبعد عنها الفكرة التي واتتها لكن دون فائدة، فقد اتخذت قرارها منذ الوهلة الأولى التي وقعت بها عيناها على واجهة الموقع.

لم تمر نصف ساعة حتى وصلتها رسالة في الخاص من مجھول الهوية، لكن تغلب عليها النوم وجرها معه إلى ظلامه.

استفاقت تانيا لتجد نفسها نائمة على الكرسي كعادتها، اعتدلت في جلوسها بصعوبة مع بعض الشعور بالألم في الظهر حتى وجدت حاسوبها مضاء فتذكرت أنها نسيت إطفاءه، فركت عينيها لكي تصحو من النوم ثم مدت يديها نحو الحاسوب لإطفائه قبل ذهابها للعمل حتى لمحت الرسالة التي وصلتها ليلة أمس من ذلك المجھول الذي كان اسمه المستعار "казانوفا" فلعلت أنها بخصوص الأداة، فرحت كثيراً لأن الفكرة التي خطرت ببالها ليلة أمس لم تخيب ظنها فقد حثتها على اختراق الموقع وتغيير عنوانه إلى اسم الأداة مع اسمها المستعار، قاصدة بهذا أن كل من يمتلكها يحادثها فوراً، وهذا قد حدث ما تمنته حدوثه.

دون وعي منها طبعت على لوحة المفاتيح كلمة "hi" مرحبة به وراجية أن يكون متلقاً للإنجليزية، لم تمر دقيقةان حتى رد عليها متسائلاً باللغة نفسها:
"هل تبحث للأداة؟"

فطارت فرحة بفهمه اللغة دون اضطرارها للجوء إلى الترجمة فأجابه:

"yeah i need it"

"الأداة معى.. لكن لا يوجد شيء دون مقابل".

أحذا يتحدىان مباشرة بدون رسميات وكأنه هو الآخر كان ينتظر أحداً ما كي يستغله لمصلحته.

ردت عليه قائلة: حالياً لا أمتلك المال الكافي لأدفعه لك خصوصاً أنها باهظة الثمن، لكن بإمكاني أن أخترق لك أي موقع أو أي شيء تريده مهما كانت صعوبته.

يبدو أننا سنتفق لأنني لست بحاجة لنقودك صديقي! أريد منك مقابل آخر.

ابتسمت ابتسامة تشى بالحماس ثم كتبت له باستغراب: إذن ما الذي تحتاجه مقابلها؟!

أريدك أن تدخلني للغرفة الحمراء.

ستون ثانية مرت دون أن تجيبه بكلمة، راحت تفكّر في طلبه الغريب والخطر، فكرت قليلاً واحتارت كثيراً ثم ردت: هذا مستحيل، ما تطلبه مستحيل!!

وأخيراً أجبت! ظننتك قمت بحظري.

اطلب شيئاً آخر.

لقد قلت طلبي، لن تحصل على الأداة إن لم توافق عليه.

أجنبت؟! هل ت يريد من تلك العصابة أن تعلمني فتاة خائنة؟ ثم ماذا؟! يقومون بإطلاق رصاصه وسط رأسى مثلما يفعلون مع كل خائن؟

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

فتاة خائنة؟ مهلا لحظة هل أنت فتاة؟

مالت زاوية فمها بضحكة ساخرة ثم كتبت: لا أظن أن هناك شيئاً يطلق على
نفسه اسم "سيكادا"

رد ضاحكاً: ولا أعتقد أبداً أن هناك أنثى تسمى نفسها تيمناً بحشرة.

لا يهمني ظنك، وليست هنا لأدردش معك في خصوصياتي، كل ما أحتج إليه
هو تلك الأداة التي بحوزتك وسأدفع مقابلها بعد أيام قليلة، أو حتى يمكنني أن
أخترق لك أي شيء تريده كما قلت لك سابقاً.

شبكت يديها ثم تنهدت وتمنت أن يوافق على طلبهما وتنتهي هذه اللعبة، مرت
ثوان فكان رده: لا.

انسي الأمر لن أعطيك أي شيء، عندما تقررين إدخالي للغرفة الحمراء يمكنك
محادثتي، وداعاً.

توجهت للعمل متخلية عن عقلها مع طلبه الصعب حدوثه، شاردة الذهن طيلة
الاليوم مفكرة في عرض "казانوفا" غير مكترثة بالعمل ولا مدير العمل، لمحت
الثرثارة "شيءاء" علامات الشرود التي بدت على وجهها فاستغلت الفرصة
لفتح حديث معها بقولها: ما الخطيب يا تانيلا؟ هل تشعرين بالمرض؟

استفاقت تانيلا من شرودها وردت دون مشاعر: أهلاً، لا أبداً أنا بخير حال،
شكراً على سؤالك.

لا تعاندي يا فتاة، اسمعي، إذا كنت تشعرين بالمرض سأقوم بالتحطيم عليك
ويمكنك الذهاب إلى المنزل لترتاحي.

عادت تانيا إلى بيتها منهكة من التعب، سخنت عشاءها ثم توجهت إلى غرفتها
ووضعت الصحن فوق طاولة حاسوبها لتأكل رفقة صديقها الوحيد، راحت
تحادثه كعادتها "هل أقبل عرضه يا تري؟"

تنهدت وراحت تردد وراء كل لقمة تأكلها "نعم، لا.. نعم.. لا.." حتى أنهت
طعمها وتوصلت إلى الحل الذي لا يوجد حل آخر غيره.

فتحت غرفة الدرشة الخاصة به، تنظر إليها صامتة وألف كلمة تجول بخلدها
لكنها لم تكن مفيدة لكتابة جملة تعبر عما يخطر ببالها، وفجأة ظهرت النقاط
الثلاث التي تبين أنه يكتب رسالة، فأقللت الغرفة بسرعة قبل أن يلاحظ أنها
كانت تنتظر منه أن يرسلها.

هل فكرت بعرضي يا جميلة؟

تضمنت أظفارها ثم جلست باعتدال وراحت تكتب: أجل لقد فكرت جيداً وما
زلت مصورة على قراري، فلتطلب شيئاً آخر!

حسناً إِذَا، لا داعي لأن يضيع أحد منا وقت الآخر، دمت سالمة.

لعنـته داخـل قلـبها ثـم كـتـبت بـسـرـعـة: اـنتـظـرـ، رـجـاءـ لـاـ تـعـادـ!!

انظري لا داعي للخوف، صدقيني لن يتمكنوا من إينائك، كل ما عليك فعله
هو إدخالي هناك وأقسم لك أنني لن أذكر اسمك، كل ما سأقوم به هو
استخراج بعض المعلومات التي أحتاجها.

كان الشك يدب داخلها تجاهه وعلى الرغم من ذلك جعلها كلامه تتردد فيما إذا كانت ستثق به وتعطيه مراده، أم تتبعه وتختسر الأداة وانتقامها معها!

هل أبدي لك غيبة كي أثق بشخص تحديث معه بضع كلمات فقط؟ ثم لماذا
أنت متأكد من أنهم لن يستطيعوا إينادئي مثلما فعلو مع الآخرين؟

فلنكن صريحين، لا يوجد لديك حل آخر غيري لذا فتحن متساویان، كما أنني
لست مجتنوًّا كي أشي بك بعد أن تساعدني على الدخول إلى هناك، هيا
أعطيك فرصة كي أجعلك تتفقين بي!

هل أنت جاسوس متحفِّظ أم تاجر مخدرات؟ وبالمناسبة كسب ثقتي ليست بالامر السهل.

فکر فی طلب آخر غیره رجاء.

لقد أخبرتني، البالغة أنك تستطيعين اختراق أي نظام.

هذا صحيح، لماذا؟!

إذا هُل تستطعُن، اخْتِرَاقَ بَنْكٍ يَقْعُدُ بِالْجَزَائِيرِ مِنْ أَحْلَمِ؟

أصابها الذهول من طلبه، فتوقفت عن طباعة الأحرف ببرهه، لم تتشك للحظة
 بأنه عربي، فطيلة الوقت كانا يتحدثان باللغة الإنجليزية، غيرت اللغة من ثم
 طبعت بالأحرف العربية قائلة: أنت عربي؟؟

فسألها بالعربية: يا لمواهب المتميزة، أتحدثين العربية أيضًا !!

لم تجبني بعد، هل أنت عربي؟ جزائري صحيح؟

مع الأسف هذا صحيح، ماذا عنك؟

فركت جبينها ثم كتبت بسخرية:

إن أخبرتك هل ستعطييني تلك الأداة؟

أجابها صاححًا: هل أبدو أحمق لهنؤه الدرجة؟ أنت تحلمين !!

وأنا جزائرية مثلك، كما أنني أفتخر بأصلي على عكسك.

سعيد لسماع هذا، أقصد لقراءة هذا.

استقرني كلام الأحمق المدعو "каз انوفا"، سأخترقه على الرغم من أنني
 مر هقة، لكن هذا سيوضع سخريته عند حدتها.

حاولت استخراج البروتوكول الخاص به، لكنني لم أستطع فحمايته كانت قوية،
 رحت أفكر في كيفية تمكنه من حمايته بهذا الشكل العقري "ربما يكون محترفًا
 أكثر مني وقد تكون متساوياً في عقريتنا" لم تكمل حديثها حتى وصل إشعار
 الأمان إلى جهازها منذرًا بأن أحدًا ما حاول اختراقها لكنه لم ينجح.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

توجهت مسرعة لغرفة الدردشة الخاصة به وكتبت بسرعة: ما الذي تحاول فعله يا ذكي!

ماذا؟! كيف علمتِ؟!

دعك من المحاولة، فهذا صعب عليك يا طفل الاختراق!!

حسناً لن أعتذر إليك لأن هذا ما نفعله أصلاً، أليس كذلك؟ وحتى أكون صريحاً معك، بدأت أشعر بالخوف منك، هل أنت حقاً فتاة؟!

أجل إن كنت تقصد "فتاة بمئة رجل" سأكون صريحة معك أيضاً، أستطيع اخترافك في ثوان معلومة لكنني لن أضيع وقتى الثمين.

صحيح وكأنني سأصدق هذا، لو كنت حقاً تستطيعين اخترافي كما تدعين لفعلت ذلك البارحة وأخذت الأداة بنفسك.

هذا مدهش، لم أكن أعلم أنك تفكراً أو أنك تمتلك عقلاً من الأساس!

أنت حقاً....

قطبت حاجبيها منتظرة بشوق قراءة التتمة، فتعجب الشوق على صبرها فكتبت:

مختلفة؟؟

كنت سأقول وقحة لكنك مختلفة أيضاً!

"لم الجميع ينتبه بالحقيقة هذه الفترة هل انتهت كلمات المدح من قواميسهم؟" فكرت مطولاً ووجدت أن أنساب حل هو خداعه بالتقرب منه وأخذ حاجتها لأنه أحمق ويسهل خداعه كما أنه مسلٍ قليلاً.

شكراً على إطرائك، هل بإمكانني أن أسألك عن حاجتك إلى الغرفة الحمراء بهذه الشدة؟

لا يمكنني إخبارك، فأنا أيضاً لا أثق بك.

زفرت زفة طويلة وبلغت غيظها، فوصلتها رسالته: كيف أصبحت مخترقه؟ ولماذا؟ ومن الذي قام بتدميرسك؟

ابتسمت فرحة بأسئلته ووجّتها فرصة لقتل مرادها، فردت قائلة: قواعد اللعبة لا تسير هكذا يا عزيزي؟ سؤال مقابل سؤال ما رأيك؟!

حسناً آنسة "مستغلة الفرص" بشرط ألا أجيبك على السؤال الذي طرحته علي.

أثارت رسالته حماسها فهي محبة للألغاز، فرقعت أصابعها استعداداً للعبة وطبعت أول سؤال خطر ببالها:

أول سؤال لك هو، كم عمرك الحقيقي؟

قد يبدو سؤالها عادياً لكنه كان سؤالاً ذكيّاً، فأول مدخل للتغلغل في عقل إنسان هو تحديد فتّه العمرية.

تعلمين أن المعلومات الشخصية غير مسموح البوح بها هنا.

زمت شفتيها وكأنها تناولت جرعة من الخل، لكن حلّت مكان الإحباط فرحة عندما رأت رسالته التالية: لكن مع ذلك سأجيبك لأنك تبدين لطيفة "قليلًا" عمري يتراوح بين العشرين والثلاثين.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

أجابته مازحة: ممممممممممم حقا! اعتقدت في الأربعينيات لأنك ممل، إنه دورك.

ما الذي ستفعلينه بتلك الأداة؟

سؤالك جعل حماقتك تختفي وجعلك تبدو جنآباً "قليلًا" ، رغم أنك قلت لا مزيد من الكلام عن الأداة لكنني لست جبانة مثلك، لذا سأجيبك، فلنعقل إنني سأقوم بتسوية حسابات قديمة، ولا يمكنني البوح أكثر من هذا فقد قلت الكثير.

تقصددين جنآباً لدرجة أنه يمكنك ممارسة الحب مع؟

يا لك من وجد وقح!! من بين كل ما قلته ركزت على تلك الكلمة المزيفة !!
سأخلد للنوم، لا وداع لك.

ضحك كاز انوفا قائلًا: هذا صحيح، اهرب يا سندريلا على أساس أنك لست
جبانة.

استمرت تلعنه بينها وبين نفسها، من ثم ارتدت بيجامتها وارتمت فوق سريرها المريح حتى رأت نفسها في مرآة الخزانة المجاورة لها، فأخذت تتحسس خديها المحمرتين خجلًا ثم شردت بخيالها لحظة، ثم هزت رأسها يمينًا وشمالًا مغمضة عينيها بقوة قائلة موبخة نفسها: ما بكِ يا تانيلا! لا تكوني غبية وتفكري في مثل هذه الأشياء، أستغفر الله.

مرت الأيام بسرعة وانتهى أسبوع كامل ولم يتغير شيء في حياة تانيا، سوى أن التفكير بات يسيطر على عقلها، لذا وأخيراً سلمت أمرها لله.

لقد قررت، هنيئاً لك انتصرت على عقلي!

طبعت تلك الكلمات متحسسة لوحه المفاتيح بالحرف الواحد ثم فركت جبينها،
كان داء الشقيقة سيدهمها وضغطت على زر الإرسال.

انظروا من عاد، مهلاً! ما الذي تقصدينه بكلامك؟

سوف أعطيك موقع الدخول للغرفة الحمراء.

حقاً؟! هل أنت جدية؟! أم تحاولين خداعي؟

أنا جدية لا يوجد خداع بالموضوع، أقسم لك.

ما الذي جعلك تغييرين رأيك فجأة؟

لا شيء، فقط ليس لدي وقت كاف.

حسناً، من يبدأ أولاً؟

تنفست بعمق حتى توزع الأوكسجين في كامل جسدها ثم كتبت له:

سأبدأ أولاً، وإن فكرت للحظة بخداعي سأقوم بالإعلان عن أمرك في الحال
ولن يهمني ما الذي سيحدث لك لاحقاً، فهمت؟

أعلم أنني غبي لكن ليس إلى تلك الدرجة، لذا لا تقلقي.

ضحك على الرغم من أن الضحك فارقها منذ زمن، وواصلت النظر لرسائلهما، نسخت روابط الموقع ثم قامت بتصفحها في مربع الدردشة وأغلقت عينيها قائلة "فليكن ما يكون" ثم ضغطت على زر الإرسال، وفي اللحظة نفسها تحصلت على الأداة بنجاح.

كاز انوفا: أشكرك حًقا وأتمنى ألا تفعل شيئاً يؤذيك أو يؤذى غيرك بتلك الأداة.

ضحك باستهزاء ثم قالت: لا تقلق سأفعل بها شيئاً جيداً، جيداً جداً.

نقلت الأداة إلى قرص تخزين إلكترونني أسود ثم خباته في حقيبتها وتأكدت من إغلاق الحاسوب، وتوجهت إلى عملها مبهجة مع حقيبتها الأنثقة.

استمرت بالعمل ومراقبة الصرف الآلي وتلبيبة طلبات الزبائن في آن واحد كي لا ينكشف أمرها، حتى مضت الساعات وذهبت الشمس لتحل معها غيموم العشية، غادر الجميع وبقيت رئيسة الخدم، فانتظرت خروجها إلا أنها استوقفتني منادية إياها بنبرة تملأها الحيرة:

تانياً؟ لماذا لا تزالين هنا؟ هل حدثت مشكلة بالعمل؟

لا أبداً سيدتي، أردت أن أبقى للدואم إضافي كي أستغل وقتي جيداً لا أكثر.

يا للروعـة! لو كانت شركتنا تمتلك اثننتين منك لتضاعفت الأرباح بسرعة، سأقوم بتوصية الحراس ألا يقفلوا الشركة إلى أن يتأكـدوا من خروجك، كـي لا تضطـري للنوم فوق الطاولات.

ضحك تانيا لا التي نادرًا ما تضحك ثم ودعتها بابتسامة.

تبعتها بنظراتي حتى تأكدت من خروجها وتأكدت أيضًا من أن لا أحد هناك غير حارسين كانا يمازحان صديقهما الشرطي الذي كان يتباھي بشارته، وكأنهم في مسرح كوميدي علت أصوات ضحكاتهم كلما تردد صداؤها في الأجواء.

رميت المنشفة من يدي ودخلت مسرعة للغرفة الخاصة بمقنطيات الموظفين الشخصية، جلبت حقيبتي الصغيرة وتمشيت بكل حرص في رواق الشركة متوجهة نحو الصراف الآلي وعيناي تتفحصان كاميرات المراقبة المنتشرة، ولوسوء حظي كانت الكاميرات من النوع الفاخر الذي يحوي عدسات رؤية الليلية، خطوت خطواتي بهدوء تام ورأسي يدور يمينًا ويسارًا كالروبوت كي لا تلتقطني الكاميرات، فتخيلت نفسي كـ"جيمس بوند" تماماً لكن أكثر جاذبية منه.

وقفت تانيا أمام الصراف الآلي ثم تلامسته وراحـت ترمـقـه بـإمـعـانـ، وبـسـرـعـةـ البرـقـ قبلـ أنـ تـدورـ الكـامـيرـاـ نـاحـيـتهاـ جـثـتـ علىـ رـكـبـتـيـهاـ مـسـنـدـةـ ظـهـرـهـاـ إـلـىـ الجـدارـ بـحـذـرـ شـدـيدـ، وـبـدـأـتـ تـنـفـذـ خـطـطـهاـ بـأـنـ فـتـحـتـ حـقـيـبـتـهاـ وـهـيـ تـرـتـعـدـ خـشـيـةـ أـنـ يـرـاهـاـ أـحـدـ الـحرـاسـ!!ـ اـسـتـخـرـتـ قـرـصـ التـخـزـينـ الصـغـيرـ وـرـاحـتـ تـدـخـلـهـ فيـ ثـقـبـ الـآـلـةـ، مـسـحـتـ بـأـصـابـعـهاـ قـطـرـاتـ العـرـقـ الـمـتـصـبـبـ منـ جـبـينـهاـ، ثـمـ فـكـتـ الشـيـفـرـةـ بـالـأـدـاءـ الـذـكـيـةـ وـمـنـ بـعـدـهاـ نـقـلـتـ الـمـعـلـومـاتـ إـلـىـ الـقـرـصـ، عـجـبـاـ رـغـمـ

حجمه الصغير غير أنه يستطيع تخزين كمية هائلة من المعلومات "سرعي
قليلًا رجاء لأمتك الكثير من الوقت"

راحت تحدث الآلة بهمسات تكاد تكون غير مسموعة لأنها وبتوتر شديد
وضعت يدها على قلبها الذي كان يخفق بعنف وأحسست بهدوء مخيف كالهدوء
الذي يسبق العاصفة، وباستغراق شديد سمعت صوتًا بالقرب منها لزجاج
يتكسر فتجمد الدم في عروقها ليأخذها إلى ذكريات لم يكن وقتها المناسب
للحضور «استفيقي!!».

نزلت دموعة على خدّها وبنزولها عادت إلى وعيها وكأنها استفاقت من غيبوبة
طويلة الأمد، ازدادت ضربات قلبها وتتسارع معها أنفاسها، راحت تنظر في
جميع زوايا المكان وقد قاربت عملية التحميل على الانتهاء، سبعون بالمائة..
ثمانون بالمائة.. تسعون.. وجاءه..

وسط كل ذلك الرعب أحاطت خاصرتها يدان كبيرتان منعتها من الحركة،
ولما أوشكت على الصراخ غطت اليد المجهولة فمهما، فتوسعت حدقتا عينيها
وكاد قلبه يتوقف.

شعرت به، بيديه القويتين وبأنفاسه في عنقي، عندما احتضنني بتلك الطريقة
العنيفة، آه كم كنت بحاجة لعناق لكن ليس مثل هذا! ليس هنا وليس الآن
وبالتأكيد ليس منك!

لاتتحركي، ابقي ثابتة!

بقيت ساكنة دون حراك، لم أستطع التحرك ولم أنطق ببنت شفة فيه الضخمة
منعتنى من الكلام، حتى دفعني نحو الأرض وذهب راكضاً وهو يصرخ قائلاً:
توقف مكانك الشرطة!

انصرف وتركني في بحر من الحيرة والدهشة، لم أفهم في تلك اللحظة ما
الذي حدث، فقبل ثوانٍ قليلة كان يستخرج الأصفاد من جيبي لي Kelvin بها، والآن
غادر فجأة وكأنه لم يحدث شيء، "يا رب؛ القرص أين هو؟"

نهضت بسرعة من على الأرض بعدما دفعني ذلك الغبي، ثم توجهت بسرعة
نحو الآلة أبحث عن القرص بكمال نشاطي، ولكنني لم أجده هناك، أتذكر أني
كنت أمسك بها قبل أن يمس肯ني ذلك الأبله، حاولت البحث لكن لم يكن لدي
وقت كاف للبحث، فخطوات الحراس تقترب مني كلما ارتطمت أحذيتهم على
الأرض، انتهت خططي وانتهى حلمي معها.

تقىم الحارس نحو ي بهدوء قائلاً: هل أنت بخير يا آنسة؟

تجاهلت حديثه رغمَّ عنِي بعدهما رأيت شيئاً مريعاً خلفه، كان الحارس الآخر
ممكلاً بشخص تبدو عليه صفات الإجرام أكثر من صفات بشرية، يرتدِي
فناعاً أسود اللون، ومكملاً بالأصفاد التي ظننتها ستكون زينتي اليوم.

أعتذر إليك بالنيابة عن صديقي الذي يبدو أنه قد أخافك.

حرك رأسه ببطء وحركه إلى الأمام مشيراً إلى الشخص المكبل وأكمل قائلاً:
لكنه كان يحاول حمايتك من اللص، فقد كان خلفك مباشرة ولو لم يصل
خالد في الوقت المناسب لوقع شيئاً سيئاً لك لا سمح الله.

نزلت رأسي للأرض محاولة استيعاب ما قاله لأنني لم أركز معه فكل ما كان يشغل بالي ذلك القرص، وفجأة رأيت شيئاً صغيراً تحت حذائه مباشرة، ففرت فمي غير مصدقة ما تراه عيناي، إنه تحت قدمه مباشرة ولن أتمكن من جلبها الآن؛ لقد انتهت خطتي، ضاعت جهودي في الهواء.

ابتسم بود قائلًا: تفضلي معي آنستي كي أرافقك للخارج بأمان.

قلت في نفسي: "لماذا ترافقني للخارج الآن وفي هذه اللحظة؟ مستحيل!
أرجوك لا تفسد خطتي"

يا آنسة؟

تنبهت إلى صوته فرفعت رأسي ثم أجبته بنبرة تشكي بالاستسلام: حسناً
سيدي.

عادت تانيا إلى المنزل محبطة بعد فشلها الذريع، رمت حقيبتها فوق الكرسي المجاور للباب وصعدت إلى السلالم متوجهة لغرفة والدها، أمسكت بإطار صورته وأخذت تواسيه بنبرة متآلمة دامعة: سامحني يا والدي لقد حاولت بأقصى جهدي، اعتذر، لأنني لم أكن مفيدة لك.

ارتمت فوق سريره باكية بحرقة على حالها والوضع الذي باتت عليه، لم تطلب الكثير، كل ما أرادته هو استرجاع حق والدها أيمكن للحق أن يكون خطيبه!

ركضت مباشرة إلى غرفتها غير مكترثة بعشاوة الدموع، ثم شغلت حاسوبها وتوجهت إلى "كازانوفا" معلنة عليه الحرب: "تبأ لك ولآداتك السخيفه، اللعنة على تلك اللحظة التي قبليت بها عرضك السخيف، تبأ لك ولهذا العالم الظالم مثلك".

مسحت دموعها بيديها محاولة البث عن الأحرف كي تطفئ نار قلبها، لكنها لم تستطع كبت بكائها، وكأنما كلما مسحت عينيها زاد تدفق الدموع على خديها أكثر.

"بالطبع لست هنا، فبالتأكيد تستمتع بأعمالك المشبوهة التي تقوم بتنفيذها بعد ما أعطيتك الروابط كالحمقاء، ليست عندي كلامة ولست رجلاً".

استمرت بإرسال العديد من الرسائل المختلفة بالشتائم حتى كاد صوت لوحة المفاتيح يصل الشارع، وعلى الرغم من أنها تعلم أنه لن يجيبها لأنه لم يكن موجوداً إلا أنها لم تستطع كبح جماح غضبها، انهارت مجدداً من البكاء، فنامت وهي تضع رأسها فوق لوحة المفاتيح من دون أن تشعر بذلك، وبعد ساعتين، نهضت بعد سمعها إشعارات الدردشة غير واعية لما يجري، ففتحت عينيها ببطء فتذكرت نسيانها إطفاء الجهاز حتى لمحت ردوداً منه: "خيراً ما الذي حدث؟" "ولماذا كل هذا الكلام الجارح؟" "ما الذي حدث يا سيكادا؟!"

الأمر لا يخصك، اهتم بشؤونك الخاصة ولا تحاول التحدث معي ثانية وإلا سأفعل شيئاً لن يعجبك !!

ماذا؟؟ انتظري رجاء لا تذهبـيـ حـلـثـيـيـ، ماـذـاـ حـدـثـ؟ـ وـلـمـاـذـاـ كـلـ هـذـاـ الغـضـبـ
الـذـيـ تصـبـيـنـهـ عـلـيـ؟ـ صـلـقـيـيـ أـنـاـ لـمـ أـقـرـفـ أـيـ خطـأـ.

الأداة اللعينة التي أعطيني إياها، لماذا لم تقل لي إنها بطيئة؟ لماذا لم تقل إنها ليست النسخة الجديدة!! لقد خلعتني، أنت السبب في كل ما حدث، لولا رب الستار الذي أنقذني لكنت مسجونة الآن بسببك.

ما الذي تقولينه؟ السجن! هل فعلت بها شيئاً مخالفًا للقانون؟

تبأ لك وللقوانين.

اسمعي، أنا آسف، أعتذر إليك، حُقُّا أنا آسف، لم أكن أدرى أنك تريدين النسخة الجديدة، وأنت تعلمين بأنها غير متاحة لجميع الدول، لا تقلي، مهما كان الذي حدث سجد حلاً معًا.

معًا؟ أنت أصلًا من تكون كي تتدخل في حياتي الخاصة !! أنا أحذرك هذه المرة الأخيرة التي تتحدث فيها معى!

أطفأت حاسوبها والغضب يتطاير من عينيها ثم استلقت على سريرها وراحت تفك في خطوطها التالية، وإن كانت ستستمر بالذهب للعمل أم تستقيل وتهرب كالجبانة.

"يجدر بي الذهاب كي لا يشكوا بأمرني وأيضاً كي أجلب ذلك القرص اللعين إن لم يكتشفوا أمره" حَكَّ رأسها وأمالت رقبتها وراحت تفك "يا ترى هل قسوت على كازانوفا؟ فلينذهب للجحيم تبأ له ولغبائه، ولغباء ضميري الذي دائمًا ما يقف ضدي".

في الصباح الباكر استيقظت تانيا مسرعة من دون أن تغتسل حتى إنها لم تغير الملابس التي كانت ترتديها البارحة.

أعترف بأنني كنت خائفة من العودة إلى لشركة في ذلك اليوم، وازداد خوفي عندما رأيت دورتي شرطة أمام مدخل الشركة، أسرعت إلى الداخل مدعية أن صداعاً قد أصابني فقط كي أقوم بتغطية وجهي، لا أعلم لماذا فعلت ذلك! ربما لأنني ارتعبت من فكرة أنهم اكتشافوا أمر الفرص. مررت من أمام الكاميرات بمنتهى الهدوء والحذر دون أن يشك أحد بأمرني، فوجئت برؤية الرواق الذي يوجد داخله الصراف الآلي محاصراً بشرط أصفر اللون مكتوب عليه "ممنوع المرور المنطقة محظورة".

علمت في تلك اللحظة أنه لا يوجد لدى خيار آخر لأنسكت به فضولي سوى شيء.

صباح الخير.

أهلاً تانياً، صباح النور كيف حالك عزيزتي؟

ارتسمت على وجهها ابتسامة مصطنعة وقالت: بخير، الحمد لله.

لكن في قلبها كانت تقول "من يراك لا يعرف الخير".

تنهدت بعمق ثم قالت بهدوء: لاحظت وجود الكثير من رجال الشرطة على مدخل الشركة وقد استغربت كثيراً صراحة، ما الذي حدث بالضبط؟

أخذت شيء تقهقه بصوت عالي قبل أن تقول: كم أنت طريفة يا تانياً! لقد أضحكتكني التعبير الطريفة التي على وجهك، سأدخل مباشرة في الموضوع لقد وقعت جريمة ليلة أمس فقد دخل لصوص هنا لسرقة مستندات مهمة.

عقدت تانيا لـ ذراعيها فوق صدرها ثم قاطعتها قائلة: **مهلاً ماذا قلت؟**
مستندات مهمة؟!

أحسست شيماء بمعنعة باللغة، وشعرت أنها تمارس هوايتها المفضلة، الوشاية:
نعم، مستندات مهمة جدًا من مكتب مدير الشركة وفق ما سمعت، لقد ألقى
القبض على أحدهم واعترف بأنه لم يكن وحده، لهذا السبب حاصرت
الشرطة المنطقة حتى ي Finchها البحث الجنائي محاولين البحث عن بصمات
أو دليل لمعرفة هوية اللص الثاني.

دخلت تانيا في دوامة عميقة من الشروق الذي يصعب الصحو منه، وراحت
الأفكار تدور لتركز على شيء واحد، نهايتها قريبة لا محالة، فلا يوجد أسوأ
من أن يقع ذلك القرص بالأيدي الخطأ، خصوصاً أنها لا تتذكر إن كان يوجد
بها معلومات تكشف عن شخصيتها. فشلت كل محاولاتها في طرد تلك الفكرة
التي استولت على عقلها، فقررت إسكات الصوت الذي يحثها على تنفيذها
بتتفيد لها.

أخذت تانيا ممسحة ومنتشرة ثم توجهت لساحة الجريمة وحرست على الا
يراهما أحد من زملائها في العمل وبالخصوص "شيماء" خطت خطواتها بحذر
وتركيزها منصب على الشرطة وكاميرات المراقبة.

"لا أعلم إن كانوا سيصلقون تنظيفي للأرضية فعلى ما يبدو أنها أجمل من
 وجهي المتعب".

لم تكن تانيا مضطرة لرفع الشريط فجسدها الرشيق ساعدتها على المرور من
تحته بسهولة، راحت تبحث عن القرص بعينين ثاقبتين، تمارس دورها ببراعة

ولو رآها أحد المخرجين لقال إنها تستحق أن تثال جائزة الأوسكار، وفجأة كبرت حدقتا عينيها أمام القرص الذي رأته بالقرب من نبتة صبار.

تقدمت نحوها بحذر شديد وقد جف ريقها، مالت بجسمها نحو الأسفل وأخذت تممسح أوراق النبتة، ثم مدّت يدها الأخرى نحو القرص محاولة التقاطه من على الأرض حتى انتقض جسدها على صوت يقول:

"ما الذي تفعلينه هنا؟!"

تسمرت في مكانها وتتسارع دقات قلبها، أدارت جسدها ببطء وحاولت قدر المستطاع الإجابة دون تلثيم.

لقد.. طلبت مني السيدة فاطمة أن أقوم بالتنظيف.. هنا.

رفع حاجبيه المكتظين وراحت عيناه تتفحصانها بتمعن ولحسن الحظ أنه شاهد كل جزء في جسدها إلا التوتر الرهيب الذي انتابها.

"أعتذر على تعطيلك، أعنالك الله"

انصرف وذهب توتي معه والحمد لله أنه كان صاحب أحد المتاجر، فلو كان من الشرطة لاكتشف خوفي وتواتري على الفور، في الوقت نفسه تمكنت من سماع الشرطي الذي كان بالقرب من الرواق بعدما وصله خبر على اللاسلكي الخاص به عن وصول البحث الجنائي لفحص المكان!

التقطت القرص من على الأرض بسرعة البرق بعدما ذهب صاحب الحاجبين الغليظين، من ثم مررت المنشفة على الصراف الآلي بكل خفة آملة أن يمسح تنظيفي جميع البصمات التي عليه ومن بينهم بصماتي، وجهت نظري على

الكاميرات لرؤيتها عندما تدور نحوه كي أغير مكانني قبل أن تلتقطني، وأشكر رشاقتى على مساعدتى في القفز من مكان لمكان كالقردة، أخرجت من جبى الكيس الأسود الذى أحضرته ولبسه فى كلتا قدمائى بسرعة فائقة كي أكمل تنظيف الأرضية من آثار حذائى.

نظفتها بسرعة كبيرة وخرجت مباشرة بعد مراقبتى المكان وفور ابعادى عن الشريط بخطوات سمعت أصوات خطوات قريبة فهرعت إلى عملى قبل أن يلاحظ أحد وجودى، توجهت مباشرة إلى مكان عملى، وبينما كنت أعمل سمعت حديث الموظفين عن الشرطة التي غادرت محطة بعدها لم تتمكن من إيجاد الدلائل الكافية للقبض على المجرم، فغمزنى شعور بالراحة، أخذ مني تعب اليوم كل مأخذ، فذهبت بعدها لرئيسة الخدم طالبة الإذن بالخروج مبكراً، وسمحت لي تلك السيدة ذات القلب الرقيق بذلك.

ابتعت قارورة من المياه وورداً من النوع الذي تحبه أمى، من ثم ذهبت حيث يسكن والدai الآن، ومن ثم قسمت الورود بينهما مناصفة.

"أنا مشتاقة، مشتاقة للكماكثير، لقد تركتما فراغاً كبيراً في حياتي، لماذا تركتماني وحيدة؟".

اتجهت إلى المنزل وأعدت أسرع وجبة، من ثم توجهت إلى حاسوبى لأشاهد الأنمي المفضل لدى "Death Note"، لطالما أحببت هذا الأنمي، تمنيت لو كانت لدي مذكرة حقيقة للموت، وكلما كتبت اسم شخص ما فيها والوقت والطريقة التي يموت بها يتحقق ذلك، وأنخلص من عدوى دون داع للتفكير بالشرطة وإخفاء الجثة.

استخرجت القرص من حقيتي ورحت أتحسّسها، وفجأة خطر لي خاطر: "يا ترى هل كازانوفا غاضب مني بعدهما حدث؟ هل أتحدث معه أم لا أبالي به؟! لالن أفعل. ربما يكون الآن غاضبًا مني بسبب ما قلته، لا أعلم هل سيتفهمني أم لا! لا يهم سأرسل له رسالة وليرد ما يحدث!!"

سلام، أردت أن أعتذر إليك عن كل ما قلته بالأمس، سلام.

راحت تانياً تقضم أظفارها مفكراً فيما ستكون عليه ردة فعله وقد تسمّرت عيناهَا على غرفة الدرشة، وفجأة لمحت النقاط التي تشير إلى مجئه، فازداد ارتباكها وذهب تركيزها حتى وصلتها رسالته:

وعليكم السلام، قبول اعتذارك لن يكون سهلاً دون مقابل يا آنسة.

رفعت حاجبيها عندما قرأت رسالته وأصدرت نفساً عميقاً، ثم طبعت قائلة: إذن كيف أستحق غفرانك أيها الغريب!

عبر إجابتك عن السؤال الآتي.

حكت رأسها محاولة التنبؤ بما سيكون عليه سؤاله المفاجئ لكن دون جدوى، وراحت ترقب بفضول ما يوشك على طباعته: ماذَا يعني لك الشعور بالغضب؟

ضحكـت باستهزاء من سؤـالـه وشعرـت بـراحةـ كبيرةـ، فيـعـدـ أنـ ظـنـنـتـ أنهـ سـيفـجرـ سـؤـالـاـ وـاعـرـاـ، هـاـ هوـ ذـاـ يـنـفـوهـ بـالـحـمـاقـاتـ، اـعـدـلـتـ فـيـ جـلـسـتـهاـ وـرـاحـتـ تـكـتـبـ بـابـتسـامـةـ وـاثـقـةـ: الشـعـورـ بـالـغـضـبـ يـعـنيـ..

تسمرت مكانها فجأة بعدما هربت الكلمات من عقلاها، كانت الصدمة قوية حينما اكتشفت أنها لم تجد إجابة لسؤاله، وبعد دقائق صمت أرسل لها رسالة: هناك أشياء السؤال عنها يكون سهلاً وبسيطاً، لكن الإجابة عنها أصعب مما تخيلين.

بقيت تانيا مشدوهة من كلامه ودون أن تكتب حرفاً واحداً ظلت صامتة تراقب رسائله بتأمل وكأنه يروي لها أحديث شيقة.

"الغضب مشاعر مكبوبة غير متحكم بها، تصخمت وكبرت جراء الهروب المتواصل من نقاط الضعف، وبقيت تتضخم حتى باتت هذه المشاعر تتغذى على أحاسيسنا".

إذن هل تقول إن شعوري بالغضب يتآمر ضدي؟ لكن ماذا يستفيد من فعلته؟

هدفه السيطرة على عقلك للتحكم بأفعالك، والتلذذ بالسيطرة عليك، ومع مرور الوقت يصبح التحكم بغضبك أمراً صعب المنال.

لكن اختفاء الغضب أمر غريب للإنسان! سيكون البشر من دونه كالروبوت!

أصبت في كلامك، بالنسبة للإنسان الطبيعي أمر غريب، لكن الحياة في عصرنا كلها غريبة، على أي حال، هل تحبين أن تتحكمي في غضبك أم تحبين أن تتحكم غضبك بك!

أخذت تقرأ وتهرز رأسها بالموافقة وكأنها كلما هزته فهمت أكثر، وقبل أن ترد على كلامه سألت نفسها معاذبة: لماذا لم تفك في هذا الموضوع من قبل.

إذن، ماذا تقترح كحل نهائي لما يحدث يا سيد؟

..... صمت سيكادا عائشة بشارب

التقبيل، هو المفتاح لحل جميع المشكلات، تقبل اختلافنا، فليست جميع الأذواق متشابهة مواجهة مخاوفنا والتصالح مع أنفسنا.

أسندت ظهرها إلى الكرسي بأريحية بعدهما قرأت إجابته وارتسمت ابتسامة دافئة على وجهها ثم كتبت قائلة: أعتذر إليك بصدق عما تفوهت به سابقاً لم أكن أعنيه، يبدو أنك أكثر شخص يعرف ماذا يمكن للغضب أن يفعل بالإنسان.

لا تهتمي فلستِ أول من يجرح قلبي بكلام قاسٍ، قلبي الحنون قرر مسامحتك.

أضحكتها رسالته واستقرتها في الوقت نفسه: حسناً، لا تبالغ في ردة فعلك كالأطفال!

لم أكن أعتقد أن فتاة قوية مثلك تعذر بهذه السهولة.

أوّلاً لم أقل لك كلمة "آسفة" لأنني لن أقولها لأحد، وثانيةً يمكنك استغلال الفرصة فيأخذ لقطة للشاشة كي تتركها كذكرى تحتفظ بها من الحين الآخر، وثالثاً.... لا يوجد ثالثاً.

حسناً آنسة سيكادا، لا داعي لانفعالك، أحس بأن مزاجك جيد اليوم.

تقصد ممتاز!

واااوووووووووو لهذه الدرجة ! هيا أخبريني ما الذي غير مزاجك هكذا.

حسناً سأقول لك؛ لقد استرجعت شيئاً مما جدّا كان ضائعاً مني.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب

مدحش، أصلًا أنت ذكية، لو كنت مكانك لما انزعجت، فبدلًا كneath يسهل
عليك كل شيء.

احمرت وجنتها خجلًا من مدحه وحاولت جاهدة محو ابتسامتها "الحمقاء"
كما تصفها، ومع ذلك واصلت الحديث حتى إنها نسيت أن ذلك الموضع
الاقتراضي ليس موقع تواصل اجتماعي.

كازا.. يمكنني مناداتك بـ "كازا" صبح؟

مممممممممم اختيارة جميل يا سندريلا، أجدده يليق بوسيم مثلي.

احذر! فلست ممن يحبون المغرورين بأنفسهم.

لا أعتقد أن هناك من يحبهم، ولماذا أغتر بنفسي أصلًا! إن كان على وسامتي
فجسدي ليس ملكا لي كل ما أمتلكه هو تفكيري، لذا فلتتحكمي على فكري
فقط.

على الرغم من ذكائها لم تعرف كيف تجيبه، فقد أثار إعجابها ووجدت
شخصيتها شبيهة بروحها.

حسناً يا متفلسف، أخبرني قليلاً عن نفسك! مثلاً، هل لديك هدف، حلم
ربما؟

سؤال عميق نوعاً ما، ويصعب الإجابة عنه لكن سأحاول.

رفعت حاجبها الأيسر مستغربة وقاطعت إجابته قبل أن تبدأ: انتظر! هذا أسهل
سؤال يمكنني طرحه عليك.

بالطبع، ففي بلد كهذا كل شيء سهل على الفتاة.

تراجع ظهرها وهي تتساءل إن كان يسخر أم يمزح مزحة لم تفهمها فكتبت:
ماذا تقصد؟ وما علاقة البلاد بسؤالي؟

لا شيء أمنح فقط، والآن توقيفي عن النزرة كي أتمكن من إجابتك!!

ضحك ساخرة وأضافت: حسناً، الساحة لك.

حلمي بسيط، أريد توفير الراحة للناس الذين أحبابهم والأبراء ورعايتهم قدر
المستطاع.

جعلها كلامه تفكير في كيف أنهم متشابهان، فكل منهمما يضحى بحياته من
أجل من يحب.

رائع، لا يسعني القول أكثر من أنك غريب الأطوار، وحلمك أغرب منك!

لماذا؟ هل ظننت أن تجار المخدرات ليس لديهم قلب ولا مشاعر؟!

ضحك تانياً ضحكة مجلجة من ضحكاتها النادرة بعدما قرأت رسالته ثم
أجابته قائلة: لم أقصد هذا يا ذكي!

ماذا عنك، ما هو حلمك؟

شردت بذهنها بعدما قرأت رسالته وهي تفكير في أبيها رحمه الله ثم كتبت: لم
أحلم سابقاً لأن الأحلام تبدو كشيء خيالي يستحيل تحقيقه، لذا تعودت على
التحخطيط والتنفيذ، هنا كل ما يسعني قوله.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب

كم يعجبني غموضك يا سندريلا، أخبريني قليلاً عن نفسك، أو صفي لي
شكلك على الأقل!

مهلاً، هل أنت ممن يهتمون كثيراً بالظاهر الخارجي؟ ألا تؤمن بمقولة
"الجمال جمال الروح"؟.

لأكون صريحاً لا هنا ولا ذاك، جمال الروح دافع أما جمال المظاهر فمهم.

ها هي ثانية لا تعرف لماذا تجيب سوي أنها تطبع الأحرف فتهرب منها
الكلمات وتضطر لمحو ما طبعته، فقررت أخيراً أن تخرج نفسها من الموقف
الغريب الذي باتت فيه.

"بشرتي بيضاء اللون، وعيناي عسليتان كالقهوة عندما تمتزج بالحليب، أما
شعري فطويل وأنفني مستدير، ولطالما أخبرتني أمي رحمها الله أنها تحب
رمoshi الكثيفة".

يؤسفني معرفة ذلك، رحم الله والدتك وجميع من هم تحت التراب.

ـ أمين.

تبدين جذابة من وصفك لنفسك لكن..

ـ لكن، ماذ؟

ـ قلت إن أنفك مستدير الشكل.

ـ هذا صحيح، كحبة الزيتون تماماً!

ـ إذن لابد من أنك بشعة "قليلاً".

استفر ها کلامه فقرت کبح غضبها کي لا تتفوه باشيء لا تعنيها قد تندم عليها لاحقا.

صدق أو لا تصدق لا يهمني الجمال، لست سطحية مثلك، كما أن الأخلاق هي من تستحق أن تقام لها المسابقات لا ملكات الجمال.

أجابها مازحاً: انظروا من الذي يتحدث عن الأخلاق، مجرمة تخترق
خصوصيات الناس!»

هل تعتقدين أنني ممل؟ على العكس تماماً، شخصيتي مرحة، حتى أن رفافي يدعونني للشهر كأرفة عنهم ولطالما أخبروني أنني أجعلهم يضحكون بشدة.

احم صدقتك يا "حوجو" صحيح ما نوع عملك؟

مررت دقيقة كاملة دون أن تلتقي إجابة منه، بعدها كانت إجاباته السابقة أسرع من طيران الذبابة:

هل نسيت؟ لقد قلنا ممنوع البوح بخصوصياتنا.

ارتسمت تعابير التشاوم على وجهها تلقائياً ثم كتبت له بغيظ:

أوه، اعتقدت أننا أصبحنا صديقين.

هل هذا هو مفهومك عن الصدقة؟ من الواضح أنك لا تملكون الكثير من الأصدقاء أليس كذلك؟

تحمد عقلها وشردت بخيالها كأنها تسترجع ذكري بعيدة، ثم رمشت عينها
ليعود رشدتها إليها: حتى أكون صريحة.. لا أعرف معنى الصداقة، لأنني لم
أحظ بأصدقاء منذ أن كنت صغيرة.

حقًا؟ أم أن هذه مزحة تمارسنيها علي!!

ليست مزحة، ولا أحب الغرباء، ولأكون أكثر وضوحاً أشمئز من الاقتراب
منهم.

وتقولين عني غريب الأطوار!

شعرت بدفء يغمرها، إحساس جديد يدخل قلبها، لم تستطع معرفة ما هيته إن
كان الأمان أم الراحة! لكنه أدخل السعادة لقلبها وجعلها تشعر بالحياة من جديد.

إذن ما الذي تجيدينه غير الاختراق وسرقة أموال الناس! هل أنت طباخة
ماهرة مثلاً؟

بل أمهر من ماهرة، لماذا تسأل؟ هل تبحث عن عروس جيدة في الطبخ؟

أضحكـتـ كلماتهاـ كازـانـوفـاـ لـيرـدـ عـلـيـهاـ بـمـزـاحـهـ الـذـيـ اـعـتـرـتـهـ "ـثـقـيلـ الدـمـ"ـ قـائـلاـ:
هـذـاـ صـحـيـحـ،ـ أـرـيدـ مـنـ زـوـجـتـيـ أـنـ تـكـونـ قـرـصـانـهـ كـيـ نـقـوـسـ بـالـسـطـوـ عـلـىـ بـنـوـكـ
الـعـالـمـ وـنـعـيـشـ فـيـ السـجـنـ وـيـحـكـمـ عـلـيـنـاـ بـالـ...ـ

لمـعـتـ عـيـنـاهـاـ فـجـأـةـ كـأـنـهـ تـذـكـرـتـ أـمـرـاـ خـطـيرـاـ لـلـنـوـ،ـ فـقـاطـعـتـ حـدـيـثـهـ قـائـلاـ:
الـطـبـخـ!ـ ذـكـرـتـيـ بـالـشـعـرـيـةـ سـرـيـعـةـ التـحـضـيرـ!!ـ لـحظـةـ لأـطـفـعـ النـارـ وـأـعـودـ،ـ قـبـلـ
أـنـ يـطـفـئـهـ رـجـالـ الإـطـفـاءـ بـدـلـاـ مـنـيـ.

غرق كازانوفا بالضحك حتى نزلت دموعه ثم قال لها ساخراً منها: آه! بطني تؤلمي من شدة الضحك، وتقولين إنك جيدة في الطبخ!! هذا دليل قطعي على أنك طباخة ماهرة بالفعل، على فكرة، لقد غيرت رأيي لن أتزوجك.

وصلت تانيا متأخرة إلى العمل بسبب سهرها ليلة البارحة، ولحسن حظها لم ينتبه إليها مدير المطعم، قررت الاستمرار بالعمل داخل الشركة كي تكمل خطتها التي فشلت بها المرة السابقة، وقررت أن تعيد الكرة مرة أخرى ففي الإعادة دائمًا إفادة، وهذا المرة كانت مصرة على ألا تدع مجالاً للفشل هذه المرة.

شردت بخيالها داخل متأهة لامتناهية من المشاعر التي اجتاحتها بعدما تذكرت حديث "كازانوفا"، فارتسمت على وجهها ابتسامة ظريفة، وازداد عرض ابتسامتها عندما تذكرت قوله "طبختِ الشعرية فأوشكت على حرق المنزل، لو قمت بطبع الحساء لفرقت الكوة الأرضية بأكمالها" ، ثم تمنت سرًا قائلة: "كيف ستكون ردة فعلك لو علمت أنني عملت في مطعم! الشكر لله أنني مجرد نادلة وإلا سُجنت بتهمة تسميم الزبائن بسبب طبخي".

في تلك اللحظة أحست بشيء بارد يلامس مؤخرتها، فلما استفاقت من شرودهااكتشفت أنها يد مدير المطعم الذي تعمل به، وكانت المفاجأة أنه وبكامل وقادته كان على وشك أن يضع يده الأخرى، وبحركة لا إرادية دفعته بكامل قوتها وبيدو أن الغضب الكامن في جسدها الصغير مكنها من دفعه إلى الدرجة التي وقع فيها أرضاً، ومع وقوعه أحست بأنها على وشك الاستفراج فركضت إلى

المرحاض وبالكاد تمكنت من إفراغ كل ما في بطئها ومشهد ابتسامته
الشهوانية لا يكاد يفارق مخيلتها!

في الطريق إلى الانتقام، تتعثرين بالكثير من الحشرات التي تحتاج إلى دوس
تحت حذائك، لكن الانتقام يجبرك على الصبر، الصبر اللذيد.

جمعت شتات نفسي والأفكار التي انتابتي لحظتها، فلو لم يكن لدى عقل لقتله
على الفور وخسرت فرصتي بالانتقام، خرجت من الحمام فرأي رئيس الطهاة
وأمرني حينها برمي كيس القمامنة كي لا تفوح رائحته بداخل المطبخ، فحملته
مستغيرة من عدم تقززي من رائحتها، كيف يعقل أن تكون أخلاق الإنسان
أقذر من رائحة القمامنة؟!

رميت كيس القمامنة في سلة المهملات، استدررت متوجهة لإتمام عملى فاثاره
انتباхи مشهد مقرف، فقمت ببني وبين نفسي متسائلة: "هل هذا هو اليوم
العالمي للقرف؟" كان صاحب متجر الملابس المجاور للمطعم يخرج برفقة
عاهرة من الباب الخلفي للمحل وهي ترتدي فستاناً شفافاً يظهر جسدها أكثر
 مما يغطيه، أعطته قبلة تبعتها ضحكات بينت مدى احترافها في مجالها، رفعت
قدمي لأخطو داخل المطعم غير مكترثة بما رأته عيناي، لكن معنى من ذلك
مشهد آخر لامرأة نحيلة الجسد مرهفة العينين والروح، تمسك بين ذراعيها
طفلًا صغيرًا بالكاد يرى من اللحمة الأولى، فقد كان مغطى بالشال الذي
ترتديه كأنها بذلك تحميء داخل محيطها الآمن، أدركت حينها أن المسكينة
زوجته، وفقت بكل ثقتها أمام ذاك الرجل وراحت تعانبه قائلة: ما الذي كنت

تفعله معها! ابنك مريض وهو بحاجة إليك يا حمنة، نحن بحاجة إليك وأنت هنا تزني مع العاهرات كعادتك!

فاجأني بروده لدرجة أتنى لم أنتبه إلى تتصني لخصوصيات الغير:

لم تك تكمل كلامها حتى قام بالإشارة للحارس وأمره بطردتها من الشركة، وكانت عيني الحارس تأسفان على حال المسكينة وطفلها.

أكملت تانيا لعملها، وقبل مغادرتها المنزل غيرت ملابسها لزي عاملة النظافة من ثم توجهت إلى الصراف الآلي مباشرة وهي تدعى تنظيف محيطه، استخرجت القرص وأدخلته، ابتعدت بضع خطوات وراحت تسحب الأرضية بكل هدوء متتظرة إياها أن تحمل المعلومات التي فشلت في تحميلاها سابقاً، دون توتر ولا خوف، بعد دقيقتين سمعت صوت النجاح الذي يشير إلى اكتمال عملية التحميل فأخذت القرص الخاص بها بكل رشاقة، ثم أسرعت لتغيير ملابسها ثانية وتخرج مسرعة إلى منزلها بكل سعادة وحماس.

دخلت المنزل وتوجهت مباشرة إلى غرفتها، أغلقت الباب خلفها وجلست على المقعد بالقرب من حاسوبها، أخرجت القرص من حقيبتها وراحت تحاول توصيله بالجهاز الخاص بها، بعد مرور ثوان اكتمل الاتصال وبانت جميع المعلومات بحوزتها، ارتسمت الفرحة على وجهها، وهي ترى جميع المعلومات الحساسة والخاصة كالحسابات الإلكترونية، وكلمات المرور، والحسابات البنكية للموظفين والذباين، بإمكانها الآن السيطرة عليها والتلاعب بها كيما تشاء دون أن يكتشف أحد بذلك، إلا أن الملف الأكثر أهمية من بين

جميع تلك المعلومات لا يفتح !! "لماذا ! ما الذي يعطاني عن الدخول إليه" الملف
الخاص بـ "جميل" وممتلكاته لا يفتح .

انشغل بالها بالتفكير في حل تلجاً إليه عليه يخرجها من هذه الحفرة التي وقعت
فيها للتو، تنهدت ثم طردت جميع الأفكار التي خطرت ببالها، فبدلاً من أن
يساعدها عقلها زادها تشويشاً، مدت يدها نحو لوحة المفاتيح وراحت تبحث
بين المعلومات التي بيدها عليها تجد حلاً يساعدها، مرت ساعة، ساعتان وهي
على حالها دون جديد، وفي اللحظة التي أوشكت فيها على الاستسلام وجدت
 شيئاً مهمًا جدًا

"لقد أمسكت بكما !!".

أوضحت مذكرة موجهة إلى مستخدمي شركة جميل الجزائري للأزياء مقرونة
بالوثائق والأدلة، أنه جرى ضبط علاء في الشركة بسرقة تصاميم الأزياء
ويعانون نسجها وبيعها مرة أخرى باسم الشركة، وأشارت إلى أنه بعد بحث
وتحري جرى الكشف أن المتهم "حمزة سليماني" كان متورطاً في هذه القضية،
 وأنه قد قام بأعمال مشبوهة كبيع المخدرات لبعض العمالء داخل الشركة،
منهم مدبرون مطاعم، وتجار كبار.

والغريب في الأمر أن من سرب تلك المعلومات إلى وسائل الإعلام لم تعرف
هوبيته.

صرح "جميل الجزائري" في وقت لاحق بأن "المتورطين في القضية لم يفقدوا وظائفهم فحسب، بل قد يواجهون صعوبة بالغة في الخروج من السجن والحصول على عمل في مكان آخر بعد أن شوهدوا سمعة الشركة".

هناك من يستغل اختلافه وهناك من يستغل اختلافه، تماماً كالذين يخلقون في هذا العالم بأشياء يعتبرونها "ناقصة" إلا أنهم لا يعلمون أنها تسمى "اختلافاً" وبهذا الاختلاف تتبدل أقدارهم وهم المسؤولون عنها، فقراراتهم وتفكيرهم وحبهم لنفسهم أو كرههم لها يخلقون مصيرهم.

بات الوضع نظيفاً داخل الشركة بعد أن قامت تانيا بتنظيفها من أوساخ الأوغراد والحثالة، بذنبات عقلها الذكية تمكنت من ضرب عصوفرين بحجر واحد إلا أنها لم تصب اليومة الكبيرة!

لم تحرز تقدماً كبيراً إلا أنها سعدت كثيراً بفعلتها فقد تمكنت من إفساد إجازة جميل، وجعلته يعود إلى الشركة غصباً عنه بعد أن كشفت عن المعلومات وبدأ معظم شركائه ينسحبون من الشركة، حتى لم يبق فيها سوى أمثاله!

وشوشت وهمسات تدور بين الموظفين، نظرات الشك والريبة تدور بين الزبائن الذين يمكن عدهم على الأصابع على غير العادة، قيل إن القطبي يحتاج من يرعاه ويقوده، ولم أفهم إلى حد الآن لماذا يعد البشر أنفسهم قطعاً ودوماً ما يبحثون عن يقودهم، أيعقل أن يشبه أحدهم نفسه بالقطبي؟ صدقأً لم أر في حياتي كلها محباً للعبودية كالإنسان.

جاء المدير الجديد الذي لم يبدِ مختلِّاً عمن كان قبله وجاء معه نفاق العالم وسمومه، دخل مطبخ المطعم منادياً علينا بفرقة من إصبعيه فأخذ الموظفون يتواذدون وتبعتهم عندما نفذت طلبات الزبائن، اصطفنا أمامه وراح يحاذثنا دون أن تختلج عضلة في وجهه: بما أنني جديـد عليـکم لـن أـلوـمـکـم عـنـ الـفـوـضـيـ التي أـرـأـهـاـ تـعـمـ الـمـكـانـ.

وأشار بيده نحو الصحن المتسخة التي عادة ما يجمعها العامل كي ينظفها جمـيعـهـاـ دـفـعـةـ وـاحـدـةـ،ـ ثـمـ تـنـحـنـجـ وـأـكـلـ فـائـلـاـ:ـ كـيـ أـكـوـنـ وـاضـحـاـ مـعـكـمـ،ـ لـنـ تـكـوـنـ هـنـاكـ تـحـذـيرـاتـ بـعـدـ الـيـوـمـ.ـ خـطـأـ وـاحـدـ فـقـطـ وـتـجـدـونـ أـنـفـسـكـمـ خـارـجـ الشـرـكـةـ لا أـرـيدـ أـحـادـيـثـ جـانـبـيـةـ أوـ تـبـاطـئـاـ لـأـرـيدـ شـيـئـاـ غـيرـ الـعـمـلـ،ـ مـفـهـومـ !!

تنازلت الرؤوس نحو الأرض وتحول الهدوء إلى توتر منتشر، إلا أن تانياً لم تعبأ بكلامه الذي بدا لها تافهاً من حشرة جديدة ليس الوقت مناسباً لدوسها.

قبل أن تنصرفوا إلى العمل أـرـيدـ منـ الجـمـيعـ أـنـ يـرـكـزـ عـلـىـ وـظـيـفـتـهـ،ـ فـالـسـيـدـ "جمـيلـ"ـ سـيـزـورـنـاـ الـيـوـمـ بـعـدـ عـودـتـهـ مـنـ السـفـرـ،ـ لـمـ يـرـهـقـ نـفـسـهـ فـيـ تـقـدـيمـ وـشـرحـ مـنـ يـكـوـنـ هـنـاكـ السـيـدـ،ـ فـقـدـ كـانـ الجـمـيعـ يـعـرـفـهـ.ـ ثـمـ أـضـافـ بـعـدـماـ وـجـهـ إـصـبـعـهـ مـشـيرـاـ نـحـونـاـ عـلـىـ شـكـلـ مـسـدـسـ "ـتـذـكـرـواـ جـيـداـ،ـ لـأـرـيدـ أـيـ أـخـطـاءـ".ـ

تـبـهـتـ تـانـيـلاـ إـلـىـ كـلـمـاتـهـ فـرـفـعـتـ رـأـسـهـ لـتـخـرـجـ عـقـلـهـ مـنـ زـحـمةـ الـأـفـكـارـ التـيـ طـغـتـ عـلـيـهـ خـيـالـاتـهـ وـتـصـورـاتـهـ "ـأـيـعـقـلـ أـنـ مـاـ سـمـعـتـهـ صـحـيـحـ؟ـ هـلـ حـقـاـ ذـلـكـ الـذـيـ لـاـ يـسـمـىـ قـادـمـ إـلـىـ هـنـاـ!ـ وـمـاـذـاـ إـنـ رـأـيـ؟ـ هـلـ يـجـبـ أـخـتـبـ؟ـ وـلـمـ أـخـتـبـ فـهـوـ حـتـىـ لـاـ يـعـرـفـ أـنـيـ عـلـىـ قـيـدـ الـحـيـاـةـ!".ـ

مرـتـ رـبـعـ سـاعـةـ مـنـ الـهـدـوـءـ وـالـشـرـودـ لـيـأـتـيـ بـعـدـهـ جـمـيلـ وـيـجلـبـ مـعـهـ الـضـوـضـاءـ التـيـ سـيـطـرـتـ عـلـىـ الشـرـكـةـ بـأـكـلـهـاـ،ـ اـصـطـفـ الـمـوـظـفـونـ وـاحـدـاـ أـمـامـ

الآخر متربفين دخوله بكل ارتباك، خطى خطواته الواقفة داخل المطعم وراح يتفحصه بعينيه والغرور يرافقه، توجه المدير إليه مرحباً كما يرحب الكلب المطبي بصاحبه، تقدم نحونا دون أن يرهق نفسه بالنظر إلينا فقد بدونا له كالعبد.

عندما أتذكر أنه أبي البيولوجي أر غب بتصفية دمي من دمه الفذر. توقف برها وراح يمرر نظره في زوايا المطعم كلما دارت عيناه تذكرت كامييرات المراقبة التي كنت أهرب منها حينما أنجذبت تلك المهمة الصعبة، تفحص المكان بدقة عالية وأطلقت شفتها نصف ابتسامة تشير إلى الرضا، ثم استدار متوجهاً للخارج وفجأة توقف لأنه رأى شيئاً أثار انتباذه، لقد كانت "سمية" عاملة النظافة التي تراوح عمرها بين الخمسينات والستينات، تفحصها من رأسها حتى أسفل قدميها مخدولاً ثم أشار بإصبعه نحوها وكأنه يتهمها بابهامه على جريمة ما، ثم نظر إلى المدير وقال بنبرة جدية: ما هذا؟!

احتار المدير ولم يعرف ما الذي يتوجب عليه فعله! يضحك، أم يبكي، أم يكون جدياً؟ لكن دون جدوى فقد خان عرقه توتره وفضحه، وراح يفرك يدّاً بيده وكان فركهما يزيد فرصته في النجاة من هذا الموقف، فرد متحنحاً: ما.. ماذا؟ تقصد؟

ضحك جميل ببرود قاتل، وراح يمرر لسانه داخل فمه، وأخذ ذيده ينتفخان وكانهما سينفجران:

هل هذا مطعم أم دار عجزة؟

ازدادت نبرته جدية وأضاف:

أريد منك أن تصرفها اليوم، بل الآن وحالاً !! أعطها مرتب الشهر الذي عملته
أو ضعفه لا يهمني.

لم يكمل كلامه حتى باتت تبكي وترجوه ألا يطردتها، فمسكت يده وراحت
تتوسل إليه أن يعطيها فرصة لثبت أنها على قدر المسؤولية، أو عليه يعطيها
عملاً في مكان آخر يليق بعمرها، فكانت ردة فعله أن دفعها دون أدنى تغيير
في تعبير وجهه القاسي، فواصل كلامه قائلاً:

أريد منك أن توظف مكانها شخصاً أكثر شباباً فلا مكان للعجزة هنا!

ازدلت كرهاً وحقداً عليه، أما قلبي فقد انفطر على تلك المسكينة التي زاد من
شفقتي عليها أنها مخلصة في عملها إلى أبعد حد، توجهت إليها، فلم تكن شفقتي
قادرة على التغلب على حقدى، أمسكت بيدها وهدأت من روتها وعدتها أن
أبذل كل جهدي في البحث لها عن عمل بعد أن أخذت عنوان مسكنها، وأنا
أسر في نفسي أن أرسل لها جزءاً من راتبي إلى أن أجد حلّاً.

إحساسها بصدق مشاعري نحوها دفعها إلى أن تحضنني، ويا له من دفء
فقدته منذ زمن.

اختبأت الشمس خلف الجبال وحل المساء وهذا المكان من ضجيج الزبائن
وطلباتهم اللا متناهية، تألم جسدي طلباً الراحة، فجلست مسترحة فوق
الكرسي، لم أك أنتهد حتى جاء المدير موبخاً بنبرته المخيفة: هل تظنين
نفسك في عطلة ؟!

عدلت جلستي وفور أن فتحت فمي لأدفع عن نفسي ازدادت نبرته حدة وأضاف قائلاً: لا أعرف من تظنن نفسك! لكن إن أردت الاستمرار بالعمل هنا قومي فوراً وأكملي عملك !!

فجأة أصابتني إهانة بنوبة ضحك داخلية، قمت من فوري بعدها تنهدت، وقلت له: إنه لا يوجد زيان بالمطعم لأننا في فترة الظهيرة، لكنه تركني أتحدث إلى الهواء وجلب إسفنجية مبللة ثم أمرني بمسح زجاج أبواب المطعم بإهانة أكثر، لأن التنظيف لم يعد ضمن عملي، ولو لم يغادر لضررته بالكريسي وطردت!

أدخلت سيراعات الأذن ورحت أستمع إلى الأغاني التي أخذت تتكرر وتصبح مملة، وعلى الرغم من ذلك فقد ساعدتني على التنظيف دون إحساس بالتعب، لست مولعة بالأغاني غير تلك التي أتمكن من الشعور فيها بإحساس حقيقي، وبما أن ذوقى صعباً، فلا أمتلك الكثير منها على قائمة التشغيل كما أنى أؤمن بأن كلمات الأغنية التي تتردد في ذهن كل شخص تصف الأشياء التي عاشها المستمع، ما الذي يمكن أن يكون أسوأ من التنظيف سوى أن تقع المنشفة على الأرض وتتسخ وكأن هذا ما كان ينقصنى! ملت نحو الأمام لانتقاطها فإذا بشاب يلقطها. تنهدت وعلت وجهي ابتسامة شكر، وما إن هممت بشكره حتى كانت الصدمة أقوى من جميع الصدمات التي تلقينها في حياتي!

نطق بابتسامة باردة قائلاً:

ها قد التقينا ثانية، مرت السنوات سريعاً!

"يمر الحزن على الجميع والقوى هو من ينقد نفسه من براثنه، لكن الصدمات تترك في أرواحنا جروحًا عميقه تكبر وتكبر، بدلاً من أن تلائم كما تلائم جروح الجسد."

شهقت وكدت أفقد وعيي، بعد أن تملكتني نوبة خوف عنيفة!

لماذا كل هذا الشرود أنا لست شبحًا! تتحنح قائلًا.

أجلاني حديثه وجعل لساني ينعقد، فهربت الكلمات مني عندئذ أدركت أنى أصبحت في وضع خطير: لا، حاشا، لم أقل إنك شبح.

ولم تقولي شيئاً أيضًا!

قلت مدافعة عن نفسي: صحيح، لأنني لم أكن أتوقع رؤيتك هنا!

خشيت أن تكون نبرتي المرتفعة قد فضحتني.

ولا أنا توقعت ذلك! لم نلتقي منذ ساعدمي ذاك اليوم، كثييرًا ما بحثت عنك كي أشكرك.

تحرك جسدي بطريقة توحى بمقاطعته، لكنه قطع الطريق على مقاطعتي: لطالما قال جدي إن الشعور بالامتنان أقوى من الشعور بالحب، وظننت أنني كنت أفهم قصدده، لكن بعدما تعرفت عليك فهمت معنى كلامه.

قلت لنفسي لطالما ظننت أن الدفء مصدره النار، وها أنا أدرك معنى دفء كلام المرء، تتتنوع الكلمات وتتغير معانيها لكن أعمق الكلام هو ما يخاطب أحاسيسك حتى الأحساس الذي نسيتها.

لم يكن هناك داع لشكري، فلم أفعل شيئاً يستحق الشكر، كل ما فعلته أنني
دفعتك قليلاً نحو الأمام لأنك استحققت ذلك.

ابتسم بلطف فائلاً: سيكون من الغباء إن سألك عن نتيجتك في البكالوريا لأنني
نحوت بمساعدتك طبعاً، صحيح هل تعملين هنا؟

ارتبتكت من كلامه ورحت أضحك مخفية توترني ثم أجبته: هذا صحيح، لكن
ليس منذ وقت طويل.

أضفت بسرعة مغيرة الموضوع:

أين تقيم؟ أفي هذه المنطقة؟

تنهد تنهيدة تائهة تشي بنجاحها في تغييرها الموضوع بسلام، وقال مبتسمًا:
منزلي ليس بعيد، جئت في زيارة للشركة بناء على طلب والدي.

رفعت تانيا لاحجيبيها باستغراب، وقالت متسائلة:

عفواً، لكن لم أفهم هل والدك يعمل هنا؟

هذا صحيح مع الأسف.

تمتّمت تانيا: المسكين..

هـ؟

صراحة أشعر بالشفقة على معظم الموظفين هنا، فقد ابتلاهم الله بصاحب
شركة حقير، أتمنى الخلاص لأبيك من هنا.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

أطلق الشاب ضحكة تكاد تكون جنونية وراح يحاول جاهداً كتم ضحكته ثم
قال: لم أضحك هكذا منذ زمن.. أوه يا رب؛

لماذا تضحك؟ هل قلت شيئاً مضحكاً؟

زفر زفرة طويلة ثم قال: لا، أبداً أنت على صواب، ويسعني إعلامك أن ذلك
"الحقيير" هو أبي.

ارتبتكت تانيالا ومالت إلى الخلف وفي نيتها الابتعاد إلا أن ساقيها خانتها، لم
تدر بما ترد أو ماذا تفعل! فاكتفت بالصمت، لم يستوعب عقلها الصدمة فلم
بيق أمامها من خيار سوى أن تطأطئ رأسها لكنها لم تستطع، لأنه أمسكها من
ذراعها ثم رفع حاجبه وسألها قائلاً: ما بك؟ هل أنت بخير؟

توقف عن الكلام ليرى تلك الدهشة قد ازدادت بعينيها، وهنا فقدت تانيالا
وعيها.

حملها بين ذراعيه بفزع وتوجه بها إلى أقرب أريكة برفق، وراح ينادي بأعلى
صوته:

"فليأتني أحدكم بالماء بسرعة!!"

وما هي إلا لحظات حتى استردى وعيها، وعندما فتحت عينيها نظرت حولها
فوجدت نفسها محاطة بوجوه وأصوات متداخلة، كان رأسها يؤلمها بشكل غير
محتمل، فقالت بصوت ضعيف: ماذا حدث؟

قال الشاب والفرح يطغى عليه لأنها استرجعت وعيها:

لقد أغمي عليك فجأة، كيف تشعرين؟ هل أنت بخير؟

جلست تانياً بلا بصعوبة وراحت تطمئنها بابتسامة مصطنعة: أشعر بأنني أفضل حالاً.

لا بد أنه أغمي عليك بسبب التعب.

أمسك يدها بكلتا يديه ثم سألاها قائلاً:

أخبريني رجاء، هل عملت بجهد كبير؟

وفي هذه اللحظة تقدم المدير من بين الموظفين الذين كانوا مجتمعين حولهما وقال مبتسماً: لا تقلق سيد "سامي"، الفتاة بخير، لكن النظارات الباردة التي رمقة بها أعادته إلى صمته.

تمتمت تانياً: اسمك سامي إدا.

نهض سامي وجر معه المدير إلى المطبخ حيث اخترى به:

صحيح أنني لا أعرفك جيداً، إلا أنني أعرف أمثالك الذين يتطاولون على الموظفين ويعاملونهم كالعبد.

صغرت عينا المدير ثم أصبحتا كبيرتين وقلقتين، ولم يعرف ماذا يفعل، أيرد أم يدفن نفسه تحت أرضية المطبخ!

أحذر لك المرة الأولى والأخيرة، إن رأيت حالة مشابهة للتي حدثت معها.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

وأشار بيده نحو تانياً ثم تابع: ستنتم على الأيام التي درست فيها وتخريجت
وفكرت بالعمل في هذه الشركة!

أنزل المدير رأسه كناعمة تغرس رأسها في الرمال، ثم أجاب بتلائم واضح:
أمرك، أمرك سيد سامي.

ربما صمت الموظفين من التمتعة، ولكن أعينهم بقيت طيلة الوقت مسمرة
على تانياً، بالخصوص عيناً شيماء اللتان أوشكنا على الخروج من
محريهما.

شكراً لك سيد سامي.

على ماذا؟ أتشكريني لأنني رششتكم بالماء كي تستفيقي؟ أم تشكرينني لأنني
صفعتكم على خدكم بقوة كبيرة استعدت وعيك بعدها؟

نظرت إليه بحيرة واستغراب ثم وضع يدها على خدتها، فانفجر ضاحكا
بقوّة.

أوووووووووو يا بطني، لا أصدق أن الحيلة انطلت عليك.

نتهت ثم عدت ذراعيها بحزم تحت صدرها مراقبة بذهول حركاته الصبيانية
فال: لو ترين، لو ترين تعابير وجهك لضحكك أنت أيضاً.

لا إرادياً وجدت تانياً نفسها تضحك كطفلة صغيرة.

صحيح لم تخبريني حتى الآن عن اسمك.

أنت محق، تريدي معرفة اسمي بشدة؟

..... صمت سيكادا عائشة بشارب

هز رأسه بالموافقة، والابتسامة لم تفارق وجهه.

حسناً؛ كم تدفع؟

ألا تكفي الصفعة التي أعطيتك إياها هل تريدين واحدة إضافية؟

راح تضحك على جوابه ثم ابتسمت بلطف وقالت:

تانياً؛ أسمى تانياً.

الألم يعلمنا الكلام حتى لو كانت أفواهنا مغلقة، لا أدرى ما الذي اعتراني
بعدما عاملني بكل لطف ورقه! للحظة من الزمن غصت في أعمق حلم لم
أتجرأ على حلمه من قبل، أن تعطيني الحياة فجأة أحـا يحميني من شرورها
بعدما سلبت مني كل ما ملكته، مضى وقت طويل على شعوري بالأمان بعـدما
فقدته! لا تعطني مبتغاـي فمهما كان خيط الأمل رقيـعا سأتشبث به.

هل أنت كثيرة الشروـد يا تانياً؟

أفاقت من شروـدها على صوت سامي: تانياً اسم جميل، ما معناه؟ هل هو
عربي الأصل؟

ابتسمت تانياًـلا بخـث ثم قالت له بـسخرـية: هذه المرة حـقا عليك أن تدفع وإـلا
لن أجـيبـك.

أنت مصـرة إـذا!

نعم!

إذًا، سأدفع بطريقتي الخاصة.

تنهد بعد صمت لم يدم طويلاً وبدون أي مقدمات قال: ما رأيك في ترقية؟

سمرت نظراتها نحوه إلا أنها لم تكن نظرات استغراب فقد كان متوقعاً منه التصرف بشهامة، بل كانت نظرات تدل على خوفها من اكتشاف سرها الدفين.

هزت رأسها كمن يبدي إعجابه بتحفة فنية، وقالت بشيء من السخرية: لطالما آمنت أننا في تطور دائم، لكن أن تعرض الترقية على من يفقد وعيه بالعمل أوه هذا شيء يفوق التطور، ألم أنه تباہٌ من ابن صاحب الشركة؟

لكنه لم ينطق بكلمة أو بالأحرى انقطع نفسه فلم يعرف بم يجيب أو كيف يتصرف، إلا أن تانياً تتحنحت وقالت باستعداد كمن يلقي محاضرة مهمة على طلابه: كما ترى سيد سامي....

بدون ألقاب من فضلك.

قاطعها بكلماته، فنظرت إليه نظرة توبیخ فقد بدا كتميذ جامح يقاطع كلام أستاذته وبرغم ذلك استمر قائلاً: فقط سامي.

أغمضت عينيها لتربّي الكلمات التي اوشكت على نسيانها بفضل قلة صبره وفور ما جهزتها قالت:

ستكون هذه مرتك الأولى والأختيرة التي تعرض فيها على شيء كهذا، ففي عالمي لا يوجد ما يسمى بـ "الواسطة" فلا فرق بينها وبين الرشوة والريا

وغيره، صحيح أن المسميات كثيرة إلا أن المعنى واحد لا يختلف، أشكر لطفك لكنه أوشك على جرح كبرائي، فقط لأنه منك لم اعتبره كإهانة وبدون الإطالة أرجو منك مرة ثانية ألا يتذكر هنا.

بعدما جفت شفتيه، وأحرمت وجنتاه، بلع ريقه بصعوبة بالغة فقد أخذ توبixa
سيدوم أثره لفترة من الزمن.

حسناً، كان هنا ثقليلاً بعض الشيء لكنه من حركك، هل يمكنني استبدال السؤال؟

هل أنت دائماً كثير الأسئلة؟

حسناً سأغيّر السؤال، بل سأحوله لطلب.

هذا مثير للاهتمام سيد سامي، يا ترى ما هو طلبك المهم الذي استبدلته السؤال به؟

أريد رقم هاتفك للاطمئنان عليك لاحقاً، وأرجو ألا تسيئي فهمي.

وفي لحظة إنتهاء كلماته انصرفت تانياً من فورها وتركته واقفاً مع الإحباط الذي أشعّلته فيه، فراح يلعن لسانه سراً بسبب ما تفوه به، وفي رمشة عين عادت وفي يدها هاتفها المحمول، فانتبهت لدھشته وراحت تسأله عن سببها، فقال: إنه ظنها هربت منه بسبب طلبه فانفجرت ضاحكة بسخرية وغاص هو في خجله.

في صباح اليوم التالي استيقظت تانياً مبتهجة كما لم تكن من قبل، توجهت للعمل وراحت تعمل بكل طاقتها المرحة، إلا أن فتات الخبز الذي كان عالقاً فوق طاولة الزبائن غير مزاجها قليلاً، لكنها لم تبال فقاومت تعب ذاك اليوم، وفي وقت آخر من ذاك اليوم دخلت فتاة سمراء قصيرة القامة في العشرينات من عمرها تغطي جسدها ثياب رثة، وملامح وجهها البريئة تعطي انطباعاً جيداً لكل من يراها، التفت لتبتسم مع تانياً بخجل باد على وجنتيها الحمراوين، فقدمت نحو الأمام لتبادرها تانياً بالسؤال كما تفعل مع باقي الزبائن:

أهلاً بك سيدتي، هل تريدين حجز موعد أم ترغبين بانتظار أحد ما؟

أجبتها بابتسامة وازدادت وجنتها أحمراء:

أهلاً، لا داعي لذلك، شكرًا، لقد اتصلوا بي من هنا قائلين إنه قد تم قبول سيرتي الذاتية.

ثم صمتت قليلاً وأضافت: كي أقوم بالتنظيف.

تركث "قدس" الفتاة الجديدة مع تعليمات المدير الذي تغيرت معاملته مع الجميع خصوصاً معي، فقد بات مختلفاً تماماً في الأخلاف مما كان عليه قبل لقائي بسامي، حتى إن تصرفاته جعلت الجميع يحترمني، أو دعونا نقول إن الإشاعات التي أطلقها شيماء بأنني على علاقة مع السيد "سامي" هي التي غيرت تصرفات الجميع نحوه.

مر اليوم كسائر الأيام وعدت للبيت بعدما أتممت عملي بجهد أقل، ولحسن الحظ أتنى تذكرت ربي الأزهار التي لطالما اعتنى بها أبي رحمها الله في حديقتنا الصغيرة التي تقع خلف المنزل، ارتحت قليلاً وتعلمت على فراشي بشدة، فالتعود على العيش بشكل طبيعي بعد فقدانك أعز الناس عليك شيء

صعب، رحت أتأمل غرفتي الصغيرة التي نذكرت الآن أني لم أحذكم عنها بعد، لون جدارها بنفسجي غامق مائل للسواد، في الحقيقة كنت أتوبي صبغتها بالأسود كلّياً لكن والدتي قالت إن هذا سيجلب لي الحظ السيء، لكنني خالفتها الرأي فمن غير الممكن أن يكون الأسود نذير شؤم فهو كغيره من الألوان، لماذا لا يكون اللون الأصفر هو الذي يجذب الحظ السيئ مثلاً؟ لا يوجد بغرفتي تلفاز لأنني أشاهد كل الأشياء على حاسوبي كما أتنى قليلاً ما أشاهد أفلاماً أو مسلسلات، أمتنك طاولة خشبية صغيرة وفوقها الكثير من الكتب بعضها خيالية وبعضها روايات رعب لأنني غير مهتمة بالقصص الرومانسية، ستجدون الأمر مضحكاً أو غريباً لكنني أجد أن الروايات الرومانسية "خيالية" والكتب الخيالية "ممكنة"، فلا يوجد في قاموسي شيء مستحيل سوى "الحب". إحساس غريب يجتاح قلبي لا أستطيع تفسيره وكأنه ينقصني جزء مني ولا يمكنني معرفة ماهيته، أشعر كمن فقد ذاكرتها في منتصف بحثها عن أحد ما، وقد أكون ضائعة لمن يبحث عنِي!

طلت تلك المسكينة تحدث نفسها وتقول لماذا يجب على الطيبين مثلّي أن يعانون بصمت؟ لا يحق لهم الشكوى؟ هل هذه هي عدالة الحياة أن يحيا المجرم سعيداً ويعيش في نعيم دائم، أما المظلوم المسكين فعليه أن يعاني ويعاني، ويتعانى؟! صحيح أن الجميع لديهم أحزانهم ومشكلاتهم الخاصة لكن ما لا أعلم هو هل جميع الناس متساوون في درجة الألم على الرغم من اختلاف الجراح؟

شردت بذهنها بعيداً لنترسم على وجهها ابتسامة خفيفة، ثم قالت موبخة نفسها: هاه ما بك يا عقلي؟ ألم تجد شخصاً غيره لتفكر به؟ من بين جميع الذكريات التي تخزنها فكرت بказانوفا الآن؟ استوت جالسة بعدما دهمتها الأفكار التي لم تستطع طردها من عقلها ثم راحت تقول: "حسناً كما تريـد سـألـقـي نـظـرة

خطفه على حاسوبى لأرى إن كان ذاك الغبي موجوداً، ولعلماك لن أتحدث معه قبل أن يفعل ذلك".

انتقلت من سريرها لتجلس أمام حاسوبها وراحت تنتظر شاشة الترحيب ولكن سرعان ما ذهب حماسها سدى بعدها رأت أنه غير متصل "أبله! لست هنا بالطبع لأبد أنك تتحدث مع الحسنوات". ضحكت بسخرية مضيفة "لابد أنه يقوم بوشم ميزان العدالة على كتفه". ثم تنهدت بذهول وأضافت بنيرة تعجب: "لا لا مستحيل! هل يعقل أن يكون متزوجاً؟". أشاحت بعينيها وأخذت تضحك ثم قالت بسخرية "ومن المجنونة التي تقبل الزواج من أهبل منه!".

استمرت تانيا بالحديث مع نفسها حتى أشاحت بنظرها إلى طاولتها الصغيرة، كان فوقها مصباح صغير لونه بنفسجي وبه أربعة أدراج، اتجهت نحوها وأخذت كتابها المفضل وراحت تقرأه بكل حب وحرصت ألا تطفئ حاسوبها متظرة مجيئه حتى مرت نصف ساعة كاملة، نهضت تتوضأ بعدها سمعت أذان العشاء وهي تشتكى من الآلام التي أصابت رقبتها جراء انحنائها المتواصل خلال القراءة.

"يا رب ارحم أخي وأحببه في، أتمنى ألا يكرهني بعدهما يكتشف أنني أخته، آمين".

رفعت الخمار من على وجهها بعدها أنهت صلاتها ثم نهضت مسرعة لترد على هاتفها الذي رن فجأة، وكان هو! كان رقمه غير مسجل على هاتفها وعندما بدأت المكالمة تعرفت على صوته على الفور.

مساء الخير.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب

مساء النور.

كيف حالك يا زهرة البنفسج؟

لله الحمد، ماذا عنك؟

أنا رائع ما دمت رائعة يا زهرة البنفسج!

ضحك قائلة: ما حكاية زهرة البنفسج خاصتك؟

لن أخبرك إن لم تدفعي لي.

هكذا إذن؟

هذا صحيح يا آنسة لقد انقلب السحر على الساحر.

حسناً لا يهم، فلست فضولية مثلك!

ما بها نبرة صوتك تغيرت؟ لا تعبيسي سأخبرك.

قاطعته قائلة: انسالأمر لست مهتمة، بل أنا مسروقة باتصالك للطمئنان
علي.

ومن قال إنني اتصلت لأطمئن عليك؟ كنتأشعر بالملل، فقلت لماذا لا
أجرب الرقم الذي أعطته لي تلك المجنونة؟ لعله يكون رقمًا خطأً!

الله يسامحك.

استمرا بالضحك والحديث قليلاً حتى استأنذن بإغفال الخط.

غادر سامي مكتبه بعدما أنهى المكالمة وراح يتمشى بكل أناقه و هو يضع بدنه في جيب بذلته الأنثقة ويحمل بيده الأخرى حقيبته السوداء، ظل يتمشى في رواق الشركة وهو يصفر، كانت المحل مغلقة في ذلك الوقت المتأخر من الليل فراح يتأمل الفساتين الجميلة، فساتين أقل ما يقال إنها ساحرة بقماشها الفاخر و تصاميمها اللافتة، فساتين تعبر عليها الكثير من الخياطين والمصممين لتبدو كلوجة فنية، كان الضوء خافقاً، يبدو أن المكان يحتاج إلى بعض الشموع حتى يصبح رومانسيًا، غاص في شروده عميقاً باسترخاء خلق في ذاته شعوراً جميلاً، وفي لحظة من الزمن أحس بالماء يداعب قدميه وكان أحلامه سافرت به إلى شاطئ البحر، وفجأة استيقظ من شروده وأنزل رأسه ليجد أن قطرات الماء تلاعنه، فقفز قفزًّا عالية كالتنغر مبتعداً والدهشة تغمره، حتى سمع صوتاً يصرخ: ألا ترى أيها الأباء أنني أقوم بالتنظيف؟

رفعت الفتاة الجديدة يدها مشيرة إلى حيث يقف وأضافت: هل تعرف كم مرة نظفت تلك المنطقة؟ يا رياه ستتسخ الآن مجدداً بسبب حذائك！

تلاقت عيناه بعينيها الجميلتين، ظلت قدس تعاتبه وتصرخ لأنها لم تعرف من يكون وحتى لو عرفت أنه ابن رئيس الشركة فلن يهمها لأنها عنيدة خاصة عندما يجتاحها الغضب، أما سامي فقد سافر إلى عالم آخر وهو يغوص في ملامحها الجميلة، استولت عليه عيناه الجاذبات حتى أن صوتها قد تراءى له على شكل صدى ولم يركز في أي مما قالته! ارتسمت ابتسامة على وجهه زادته وسامية وتنهد تنھيدة هادئة، أما قدس فقد زاد صمته من غضبها:

يبدو أنك لا تفهم اللباقة، لذا في المرة القادمة، حاول أن تنظر إلى أين تقف
وإلا لن تجدها ملتصقة بجسدي!

ثم ابتعدت ودخلت إلى المطعم لتكمل التنظيف، ظل سامي واقفاً يتأملها، كان ي يريد أن يتحدث معها أو على الأقل أن يوقفها لكنه فضل السكوت ليتأمل وجهها وهو يقول في نفسه: "هل هذا هو الحب من أول نظرة يا سامي؟ هل هذا هو السبب في شعوري الجميل هذا؟". ثم تذكر عندما أهانته وراح يضحك بينما يقول في نفسه: "لقد أصبحت أهان من الحسنات أيضاً" قرر اللحاق بها داخل المطعم ليتحدث معها لكن صوت والده منعه.

"أراك لا تزال هنا يا سامي".

استدار لي رد عليه قائلاً: لا أعلم، ما رأيك؟

ضحك جميل مستهزئاً ثم قال:

أخبرني كيف كان يومك الأول بالشركة؟

رد سامي بتندر:

أنت تعلم مسبقاً رأيي.

آه يا سامي، أعلم أنك خائف من تحمل مسؤولية الشركة يا بني، وتشعر بأنك لا تزال صغيراً على ثقل كهذا، لكن ضع في رأسك أنني كنت مثلك قبل بدئي بالعمل وصدقني مع الوقت سوف تتأقلم و...

قاطعه سامي بنبرة حزينة وهو يخرج يده من جيبه بعصبية:

أبي !! أنت تعلم جيداً أنني لا أحب العمل في مجال التصميم لأنني أملك
أهدافي وأحلامي الخاصة، وأحبها على عكسك ! أنت أحبيب العمل هنا لأنه
حلمك منذ الصغر لكن حلمي مختلف عنه .

فاطعه جميل قائلًا: سامي، إذا كنت تنويني أن تفتح معى موضوع الفن مرة أخرى
فلا تتعب نفسك !! مكانك معى هنا في هذه الشركة اللعينة حتى يحين الوقت
وتصبح رجل أعمال مشهور كوالدك تماماً، فهمت!

تألف سامي وهو يشيح بنظره إلى الباب الأمامي للشركة محاولاً الهروب من
هنا بلا عودة ثم تنهى جميل، وابتسم وكأنه شخصاً مختلفاً عن الذي كان يصرخ
غاضباً: هيا يا بني لا تجعلوني أغضب منك أكثر.

نظر إليه سامي وعيشه تعكسان علامات الحزن، ثم ابتسم ابتسامة مكسورة
وغادر الشركة.

فجأة سمعت تانيا صوت الدردشة فركضت إلى حاسوبها وهي تحمل في يدها
رغيقاً محشوّا بالشاورما اشتترته من مطعم المجاور، جلست أمام حاسوبها
وراحت تلتهم الحروف بعينيها:

"احم، يا من لم تسألي عن حالي، هل أنت موجودة؟"

فرحت كثيراً بعدها قرأت رسالته وهي تلتهم الطعام، فقد كان الجوع قد عزف
سيمفونيتها في معدتها الخاوية حتى كادت تسقط الصلصة على لوحة المفاتيح،
مسحت يديها بورق جاف ثم كتبت: مرحباً أيها المخترق.

أوه، انظروا من رد على رسالتي! كيف حالك؟ ألم تشتفى لي؟

ضحك تانيا بخجل: ولماذا أشتاق إليك؟ كنت رائعة قبل روبي رسالتك.

أرسلت الرسالة ثم راحت تفكير فيما إذا كان سيعتبر كلماتها جارحة أم سيفهمها كمزحة كما قصدتها فكان رده: هكذا إذن أيتها الحشرة، حسناً سأغادر ولن أزعجك مرة ثانية!

انتظر رجاء.

ماذا تريدين؟

أنا لست حشرة!

آه، أعتذر لم أكن أدرى أن السيكادا عصفور جميل.

ضحك على تفاهته ثم كتبت:

"لست مصححاً!"

لماذا ضحكت إذن؟

ذهلت من رده لثوان، شعرت بعدم الراحة فقد دخلها الشك في أن يكون قد اخترق جهازها، مع أنها تعلم أن هذا شيء يستحيل حدوثه! لكنها ارتاحت بعدها قرأت رسالته التالية.

هل أصبت في تخميني؟

أحمدق، ماذا عنك؟

..... صمت سيكادا عائشة بشارب

ماذاعني؟

هل اشتقت؟!

قليلًا، كيف كان يومك؟

كان أروع يوم مر علىي منذ أشهر.

حَمَّاءٌ ماذا حدث هل تمت خطبتك؟

ضحك بسخرية: بل جمعتني الأقدار أخيراً بشخص لطالما تمنيت أن يكون حقيقياً.

من يكون هذا الشخص يا ترى؟ هل هو شخص أحبه قلبك مثلاً؟

لا ليس كذلك، يمكنك القول إنه سند لي.

هل هو جدك؟

كلام، بل شقيقتي.

وسط كل تلك السعادة التي كانت تغمرها نسيت أن مشاركة المعلومات الشخصية أمراً منوعاً، استمرا بالحديث وفي وقت لاحق قررا لعب لعبة مسلية للتعرف أكثر على بعضهما البعض.

ما رأيك أن نلعب لعبة سؤال مقابل سؤال شرط أن تكون الإجابات صادقة.

موافقة؟

كتبت تانيا لا بحماس وكأنها استلمت جائزه: حسناً، ابدأ أنت أولًا كي أفهم اللعبة أكثر.

أخبرتني من قبل أن والدتك متوفيه، رحمها الله.

هذا صحيح.

كم كان عمرك عندما توفيت؟

ذكرها سؤاله بأمها، لكنها قاومت دموعها التي كادت تقفز من عينيها، وأخذت تحك رأسها مستنجة بذكرياتها حتى تجيبه:

بصراحة لا أتذكر بالتحديد، ربما ثلاثة عشر سنة أو أقل من ذلك.

أعتذر إن كان سؤالي أزعجك، دورك.

فكلت لثوان في أي سؤال ستختاره وقررت طرح أبسطها: لماذا أصبحت مخترقاً؟

انظري سأصارحك بشيء! أنا أكره المخترقين وجميع من يعمل في هذا المجال.

استغربت تانيا من إجابته كثيراً ثم كتبت متسائلة: لماذا تكرههم وأنت واحد منهم؟ هل هنا يعني أنك تكره نفسك؟

المخترقون لا يمثلونني، كل شخص يمثل نفسه بأسلوبه وشخصيته، وأنا قمت بمصارحتك لا غير

ووجدت أن إجابته لم تمحو علامات الاستفهام التي أصابتها، فطبعت على اللوحة: حسناً لكن لماذا قلت..

فقطاعها قائلًا: حان دوري يا سندريلاء، أخبريني ما الذي فعلته بتلك الأداة؟!

ترددت تانيا بـالإجابة على سؤاله ثم قالت بـالإجاز: استخرجت بها معلومات مهمة كنت بـ الحاجة إليها.

لست أحمق! أعلم أنها أدأة لاستخراج المعلومات المهمة؛ لكن من أين قمت باستخراجها؟

من المركز الذي أعمل فيه ولا تسألني أكثر! الآن دوري.

همم.. أنت واعرة! حسناً.. تفضلي.

فكرت وفكت ثم ترددت بـطرح السؤال الذي خطر بـبالها بسبب شعورها بالخجل الذي واتها؛ ثم استجمعت جرأتها أخيراً وأقتعت نفسها بأن غرض هذا السؤال معرفة المزيد عن هذا الشخص الغامض الذي تحادثه: هل أحببت من قبل؟

أجل.

حًقا! هنا يعني أنك مرتبطة؟!

أعتقد أن دوري قد حان، ما هو اليوم المثالي في نظرك؟

أطلقت تانيا زفراً قوية معبرة عن غضبها من تجاهله لـسؤالها، ثم حدثت نفسها قائلة "من أين يأتي بهذه الأسئلة الملتبكة يا ترى؟"

فكرت قليلاً بالجواب ثم ردت:

عندما أجتمع مع أبي وأمي ثانية، وربما مع أخي، لكن للأسف هذا لن يحدث.

هل أفهم من كلامك أنك تعيشين بمفردك؟

حان دوري يا كازا الفضولي!

حسناً إليك الخط يا سندريلا.

هل افترقنا؟

صمنت قليلاً ثم أضافت: أعني.. أنت وحبيبة القلب!

لا، لم نفترق بل فرقتنا الحياة.

كيف ذلك! ماذا تعني؟

هل تريدين سمع قصة حقيقة لم يسمع عنها الكثير؟ لكن أنتيهك قد تكون
أكثر إيلاماً مما يتحمله قلبك!

اقتربيت تانياً من الشاشة أكثر بعدها غمرها الفضول ثم ارتشفت رشفة ماء
وراحت تقرأ رسالته:

"كان اسمها "زينة" ابنة خالي، أحبتها وأحبتني وعشنا قصة حب جميلة.

صمت قليلاً ثم أكمل:

استيقظت في يوم ظننته كسائر الأيام، لكنه كان يوماً من أحلال الأيام، لأجد صورها منتشرة أمام المنزل كصور دعائية، صور حبيبتي التي حفظت ملامحها أكثر من ملامح نفسي وهي عارية تماماً كطفل رضيع وكأنها نجمة أفلام إباحية، غضبت وشتمت ولعنت نفسي والفاعل! علمت لاحقاً أنها تعرضت للاختراق وتم نشر صور وفيديوهات لها محللة بالحياة على العديد من الواقع الإلكتروني، ورآها من يعرفها ومن يجهلها! لم أكن لأستطيع فعل شيء، شعرت بالضياع، اتصلت خالي لأساعد ابنتها المسكينة التي كانت توشك على الانتحار وكانت متيقنة من أن لا أحد يمكنه تهدئة حالتها المزرية غيري.

ذهبت مهرولاً بالسيارة وقللت بسرعة جعلت من بالطريق يظنني مجنوناً!
فعلت كل ما يوسعني لألحق بها لكن..

أكمل رجاء، ماذا حدث؟

لكن كان الأوان قد فات يا سيكادا. هذا صحيح طفلتي الصغيرة كما اعتدت أن أناديها انتحرت، كانت الصدمة قوية عليها وشخصيتها كانت أضعف من أن تحتمل مثل هذه الصدمة.

صمنت الشاشة فترة لتعود النقاط الثلاث مجدداً:

أصبحت ذاكرتي ضعيفة بسبب الآلام التي عشتها في حياتي حيث إن نصف ذكرياتي انمحت أو اختفت، لا أدرى! كل ما أتذكره جسدها الذي كان بلا روح.

لم تعرف كيف ترد أو ماذا تقول لتواسيه! يمر الحزن على الجميع، لكن الصدمات تترك في أرواحنا آثاراً أعمق من الجراح.

رحمها الله وصبر قلبك، أعتذر لأنني فتحت جروحك وذكريك بمصيبةتك؛ حقا
آسفه.

لا داعي للاعتذار فهذا ليس خطأك، لم يعد يؤلمني الأمر كالسابق فالزمن
وقوة الوعي كفيلان بدماءة الجروح وجعلها مصدر قوة، بلـأن تكون مصدر
ضعف.

سيفرجها الله، فقط قل يا رب.

إن شاء الله، ما زلت غير مصدق كيف أمكنها فعل هذا بي! كيف تمكنت من
تركـي بهذه سهولة! على الرغم من مرور ثلاثة سنوات على الحادثة! ولو مر
الدهر كله سيبقى هذا السؤال يراقبني.

لطالما قالت أمي إن الميت يأخذ معه سره، ألم تحاول البحث عن الشخص
الذي فعل هذا بها؟

بحثت جيداً ولم أجـدـ الكـثيرـ، فقط اسمـهـ المستـعارـ، ولمـ أـتمـكـنـ منـ إـيجـادـهـ إلىـ
الآنـ.

أزاحت الشمس بنورها الساطع غبار الكـابةـ فنهضـتـ تـانياـ منـ نـومـهاـ العمـيقـ
لتكتشفـ أنهاـ نـامـتـ ساعـاتـ قـليلـةـ عـلـىـ الكرـسيـ دونـ أنـ تـشـعـرـ، وأـصـابـهاـ
الارتـباـكـ عندـماـ أـدرـكـتـ أنهاـ تـأـخـرـتـ عنـ العـمـلـ فـسـارـعـتـ إـلـىـ اـرـتـداءـ قـميـصـهاـ
المـبـهـلـ، وـحـذـاءـهاـ الـذـيـ لـمـ عـتـ شـقـوقـهـ.

وصلت بعد نصف ساعة لتجد قدس تنظف مدخل المطعم، فراحت تسألاها بصوت خافت مشيرة بيدها إلى الداخل: صباح الخير عزيزتي، هل المدير بالداخل؟

أجل، لكن أحذرني من نار غضبه كي لا تحرقك!

ضحك تانيا ثم قالت: سأخاطر وأدخل قبل أن يراني، وإن رأني لا تنسى وضع الورود فوق قبري.

تبادلنا الضحكات حتى مدّت تانيا يدها لتصافح قدس معرفة بنفسها قائلة: سرت بمعرفتك، أسمى تانيا.

وأنا بالأكمي، أسمى قدس.

لماذا لست بالمدرسة؟

لأنني تركتها، لكنني لا أزال أدرس عن بعد، أبي بالمراسلة.

هل يمكنني أن أكون فضولية وأسألك عن السبب؟ إن لم تمانع بالطبع!

ابتسمت قدس بلطف ثم قالت:

أنا أقطن مع جلتى وهي كبيرة في السن والمسكينة مريضة، هي كل عائلتي، تحتاج إلى عملية جراحية باهظة الثمن خارج البلد، لهذا اضطررت للعمل هنا.

تعاطفت تانيا مع قدس بعدها عرفت قصتها وأحسست بالعجز والضيق لعدم تمكناها من مساعدتها، مر نصف اليوم وكان تفكيرها كلها منصبًا على البحث

عن طريقة تمكنها من دخول مكتب جميل، كانت قد تمسح الأرضية بجهد كبير ولاحظت تانيا إرهاقا فذهبت إليها وأخذت المكنسة من يدها ثم قالت لها: دعيني أكمل عنك الباقى واذهبى لترتاحى.

لا يمكن، أخاف أن يعود المديرون، وإن رأني جالسة يصب جام غضبه على.

لا تقلقي، سأغطي عليك، أساساً لم يتبق الكثير على استراحة الغداء، هيا.

تمكنت تانيا من إقناعها ثم أخذت الممسحة وتوجهت إلى المصعد بسرعة، ثم ذهبت للرواق الذي يوجد به مكتب "جميل"، لتسجل في ذاكرتها مختلف التفاصيل وعدد الكاميرات، لكن المشكلة لم تكن في كاميرات المراقبة فحسب وإنما في سكرتيرة المكتب الحمقاء.

مرحباً، أتيت لتنظيف المكاتب.

أجبتها السكرتيرة بعد أن أخفضت نظارتها وهي ترمي بنظرات الشك:

عذرًا، لا يمكنكم الدخول دون إذن السيد جميل، كما أنه في اجتماع مهم حالياً.

ابتسمت تانيا وهي تلعنها في سرها: حسناً، لا مشكلة سأعود لاحقاً.

جلست قدس لترتاح وهي تشعر بالطمأنينة لوجودها بمفردها، فالجميع ذهب لاستراحة الغداء، فإذا بها تفاجأ بما لم تكن تتوقعه على الإطلاق، ركض نحوها كلب صغير فرأوه ذهبي كأشعة الشمس الصباحية، راح يلعقها وهو يعوي فانحنت نحوه رغم تفاجئها وراح تلهمو معه بمرح كبير وتداعبه قائلة:

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

يا عمري، من تكون أبها الصغير وأين مالك؟ أخبرني أين والدك؟

والده هنا!

فوجئت من الصوت الذي رد عليهما، واستوت واقفة لتجد سامي يقف خلف الكلب وعلى وجهه ابتسامة حمقاء، فتساءلت ذهنتها: ما الذي تفعله هنا؟ أكنت تلاحقني؟!

أخذ سامي يضحك من سؤالها وبراءتها في الوقت نفسه، ثم قال:

كم أنت ذكية!! كيف عرفت يا ترى؟

رفعت يدها مشيرة بإصبعها إلى الباب، ثم قالت بعصبية:

رجاء انصرف قبل أن يراك المدير ويطردني!

ظل سامي يضحك غير مبال بما قالته، مما زادها غضباً: أنت مجنون؟؟ ألم تسمع ما قلته؟!

استمر سامي بالضحك كما لم يضحك من قبل، فنتهدت قدس متسائلة إن كانت أخطأت بشيء لتبتلى بهذه المصيبة، توجهت إلى المطبخ وأحضرت دلواً ملأته بالماء البارد وراحت تضحك سرّاً، وعند امتلائه حملته بكل ما أوتيت من قوة وألقته على سامي الذي تجمد مكانه وأصبح كالديك المبلل.

ما الذي فعلته يا مجنونة!!

نلت ما استحققته!

أضحكها شكله الجديد، لكن سرعان ما زالت ضحكتها بعد أن رأت المدير
قادماً نحو المطعم، عندئذ أدركت أنها أصبحت في وضع خطير

هيا! أسرع إنه قادم رجاء، اخرج من هنا وخذ كلبك معك!!

تسمر سامي في مكانه وراح يتتبع تحركاتها بعينيه ويضحك عليها وعلى
نفسه، ثم تقمت قدس نحوه وراحت تدفعه للأمام بكمال قوتها نحو الطاولة ثم
قالت له في رجاء:

انظر سأسامحك على تتبعك لي وعلى الفوضى التي سببتها لكن رجاء اجلس
هنا والنزم الصمت، لأن هذا العمل كل ما لدى ولا أريد خسارته.

عانق سامي كلبه دون أن يتوقف للحظة عن الضحك على نفسه وراح يقول
له:

لقد أصبحت أعاامل كالمحاجنين يا "سموكى".

ضربت الطاولة بقدمها وقالت هامسة:

هشاشش لقد دخل!

أهلاً بك سيدى..

قطعاها بنبرته الحادة:

ما الذي تفعلينه عندك! أليس لديك عمل تقومين به؟!

لقد أتممت عملي قبل قليل.

رد عليها باستهزاء:

إذن أخلقي عملاً جديداً !!

شعرت قدس بالإهانة لكنها كظمت غيظها وهي تقول بأدب:

حاضر سيدى، على الفور.

لم تكمل كلامها حتى رأته استقام في وقته، بينما كان ينظر خلفها ثم قال:

أهلاً أهلاً سيد سامي، بماذا ندين لك بهذه الزيارة السارة !

التفتت قدس إلى الوراء لتجد سامي يقف خلفها، فراحت بعض شفتها من الفزع، وهنا راح سامي يوبخ المدير قائلاً: من الواضح أنها جديدة في العمل،
لماذا توبخها بهذه القسوة؟ !

تقدمت قدس بسرعة كبيرة نحوه ثم وضعت يدها على فمه، وراحت تعذر
إلى المدير، وتقول:

هل جنتت إنه مدير؟! اعتذر منه فوراً!

أناها الرد من المدير الذي أسرع نحوها وأنزل يدها من على سامي قائلاً: ما
الذي تفعلينه؟ هل جنتت؟ ابتعدى عنه فوراً، إنه السيد سامي ابن رئيس
الشركة !!

دخلت قدس في دوامة من الخوف والحيرة جعلت قلبها يخفق بقوة، بينما سامي
يحدق فيها دون أن ينبس بكلمة.

راح المدير يحثها على الاعتذار إلى السيد سامي، تنهدت بعمق وبلغت ريقها
ثم قالت: أنا آسفة سيد..

فقططعها سامي قائلاً: بسيطة، لا داعي للاعتذار، أتمنى أن يكون هنا درسًا لك
حتى لا تتواضعين مع الغرباء مرة أخرى.

استنشاطت غضباً وراحت تلعنه في سرها؛ إلا أنه انصرف مباشرة وأخذ معه
كلبه اللطيف.

ذهب وتركها غارقة في خجلها حتى أنت تانياً وسألتها عن سبب توترها
قالتة: ما الخطأ؟ لماذا ترجفين هكذا؟

زفرت قدس ثم قالت وهي تهز كتفيها: لا شيء، مازا عنك لماذا تبددين غاضبة
هل حدث شيء؟؟

لا، لا شيء أيضاً.

توجهت تانياً لستريح قليلاً من الشقاء الذي عانته خلال التنظيف فإذا برسالة
من مجهول تصل إلى هاتفها، فوجئت من عدم وجود رقم المرسل، وفوجئت
أكثر من محتواها "بانتظارك عند مدخل الشركة ملاحظة: في سيارة سوداء".

تعجبت! وراحت التخيلات تبعث لعقلا صور كارثية، وتمتنت لو كان حاسوبها
بين يديها الآن، وكانت استخرجت اسم المرسل وجميع معلوماته الشخصية
الظاهرة منها والخفية، لكن للأسف لا الوقت يسمح لها باكتشافه ولا المكان،
ووضعت كل ما كان بين يديها من عمل وتوجهت إلى مدخل الشركة بينما كانت
ترافق الوجه، وقفزت برهة أمام الباب الخارجي وراحت تتفاوت يميناً ويساراً
حتى رأت سيارة سوداء فارهة زجاجها معتم فلم تستطع رؤية شيء، انتظرت

صمت سيكادا عائشة بشارب.....

ثواني معدودة وتجرأت أخيراً على النقدم نحوها، لكنها لم تفعل شيئاً سوى الوقوف أمامها فإذا بزجاج نافذة ينزل شيئاً فشيئاً وهنا ارتعبت تانيا، وازدادت دقات قلبها حتى رأت صاحب الرسالة بشحمه ودمه!

سامي !!

كان سامي يكاد لا يتتنفس من شدة ضحكه، أما تانيا فقد شعرت وكأن بركاناً من الجحيم يخرج من أذنيها، فراحت تشتمه بكل ما تعرفه من شتائم وعندما رأت أن هذا لم يوقف ضحكه، صعدت إلى السيارة وأخذت تضحك معه.

أنا.. أنا آسف حقاً، لكن لورأيت تعابير وجهك عندما فتحت الزجاج لقلت إن الأمر يستحق فعلاً!

عيّب، عيّب عليك، والله لو ترى الخوف الذي عيشتني فيه يا سامي!

أنت محقّة، لكن أخبرتك أنه استحق لأنّي أحضرت لك شيئاً سيجعلك تسامحيني على ما فعلته.

آه، ألهذا السبب تجرأت! يعني جهزت الاعتذار قبل المصيبة!

ضحك ثم رد عليها وهو يهز برأسه:

نعم هذا صحيح، ضعي حزام الأمان لننطلق!

معدرة؟ ننطلق إلى أين يا سامي؟ هل تنوّي دفني بعد أن قتلتني بسكتة قلبية!

سترين بنفسك.

انطلق سامي بتانيا إلى الوجهة التي أصر لا يخبرها عنها كي لا تزول المفاجأة، لكنها كانت متأكدة من أنه حتى لو أخبرها عن اسمها فلن تعرفها.

سارت السيارة إلى أن وصلا إلى منطقة تغص بالخضرة وقطعان الأغنام، حينها تذكرت أنها مرت بهذه الطريق من قبل مع والدها لكنها لم تكن تعرف أن بها منعطفات تؤدي إلى هذه الأماكن الجميلة، استمرت السيارة بالمضي قدماً قبل أن تتعطف مجدداً لتفق عند بداية جسر كبير، انبهرت تانيا من حجمه وجماله فقد كانت مناظره الخلابة توحى بالاطمئنان والإلهام، كان سامي أول من نزل من السيارة توجه إلى صندوقها الخافي واستخرج منه كيساً به بعض الحاجيات ومنظاراً طويلاً، نزلت هي الأخرى لتجد أمامها الكثير من الهدوء والسكينة تحيط بالمكان أما هواءه فقد أعدته دواء للنفوس.

إنه أنساب مكان للتخلص من الضغوط، هل أعجبك مكاني السري؟

ردت تانيا وهي تصرخ بسعادة كبيرة: نعم! إنه رائع!! لكن ما هنا المكان؟!

أخذ سامي يضحك وهو يقول:

كنت متأكداً من أنه سيعجبك بشدة، هذا الجسر يطل على سد بني "هارون" خذى المنظار لترى المكان جيداً.

أخذت تانيا المنظار من يديه بسرعة كبيرة واقتربت من حافة الجسر وراحت ترقب الجبال المكسوة بالخضرة الغاء وهي تعانق السحاب، وتمنت لحظتها لو كانت هدها لنطير وتتمكن من الاستمتاع بسحر المناظر وروعتها، دون أن تخفي الابتسامة من على وجهها قالت: هنا المكان يستحيل أن يكون في هذه الدنيا، إنها الجنة.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

هز سامي رأسه بالموافقة مبتسمًا؛ ثم أشار بيده وقال:

انظري إلى تلك الفرس! كم هي سعيدة مع ولدها غير مكتثة بمشاغل الحياة
وشعوباتها! وجل ما تفعله هو المرح واللهو مع ولدها.

ضيق عينيها باجتهاد بالغ لتراهما يلهوان معا ثم قالت مبتسمة:

يا لروعتهمما تشعر بالحرية تتدفق منهما، لكن كيف عرفت أنه ولدها وليس
ابنته؟

هز كتفه بغرور وقال:

بساطة، لا تحتاج إلى تفكير، لأنه وسيم مثلي!

أخذت تضحك من إجابته بينما فتحت يديها كجناحي عصفور يوشك على
الطيران، ثم أغمضت عينيها وراحت تستشعر نسمات الهواء وهو يداعب
شعرها فجعلت خصلاته تحلق عالياً.

التفكير بالأمر سهل لكن تنفيذه صعب!

فتحت عينيها ببطء ثم أزاحت شعرها عن وجهها وسألته باستغراب: التفكير
بماذا تقصد؟

أشار بعينيه نحو حافة الجسر وبابتسامة مكسورة قال: بالقفز من هناك.

أبعدت شعرها الذي كاد يأخذه نسيم الهواء معه، ثم ابتسمت وسألته قائلة:

وكيف علمت أنني فكرت بذلك، هل أنت ساحر؟

لو كان التفكير بالانتحار سحرًا لأصبح الجميع سحرة!

استدارت نحوه بكلم ثقها ثم قالت:

لا تقلق، لن ألقى بجسدي من هنا فلو كانت الكابة إنساناً وجاءت إلى هنا
المكان لأصبحت سعيدة.

غريب عالمنا، وغريبة صفات البشر، واحتلافهم، لطالما آمنت أن الجميع
متساوون، أو هذا ما جعلتني أمي أؤمن به، لكن بعدها كبرت أصبحت أرى
"الناس" على حقيقتهم.

فضلي غداًك قبل أن يبرد، أتمنى ألا تكوني نباتية لأنني أحضرت لك شاورما،
لم أعرف ماذا أجلب غيرها.

واو! أنت مليء بالمفاجآت سيد سامي، أحب الشاورما، والمكان سرق قلبي.

قضمت الرغيف متلذذة بمذاقه الطيب الذي كان إضافة جميلة للمكان وأضافت:
صحيح، تذكرت كيف تمكنت من إرسال تلك الرسالة رغم أن رقمك مسجل
على هاتفي؟

ضحك سامي وهو يتلذذ بالشاورما ثم قال: هذا تطبيق جديد سمعت أنه جيد
للمقابل، فقلت لماذا لا أجريه؟

فاطعنه قائلة: ثم سيد سامي، قلت لم لا أجريه على تانيا المسكنية وأصيبيها
بسكتة قلبية؟ أليس كذلك!

ضحك بشدة لدرجة أوشك فيها على التندق ثم قال: حاشا، هل تعلمين؟

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

ماذ؟

كلما ضاقت بي الدنيا أتيت إلى هذا المكان، أحياناً أجلس داخل السيارة وأفكـر في هدوء، وأحياناً كثيرة أصرخ لأنفسـ عن غضـيـ، هـا قد أصبحـت الآـن أولـ من يـعـرف مـلـجـأـيـ.

وضعـت تـانـيلاـ الرـغـيفـ جـانـبـاـ وـابـتـسـمـتـ، ثـمـ أـرـدـفـتـ قـائلـةـ: كـانـتـ والـدـيـ رـحـمـهـاـ اللـهـ تـقـولـ ليـ إـنـ ضـاقـتـ باـكـ الدـنـيـاـ لـاـ تـرـيـطـيـ نـفـسـكـ بـأـيـ أـحـدـ، لـأـنـ كـلـ النـاسـ زـائـلـوـنـ.

كلـامـهاـ جـمـيلـ، رـحـمـهـاـ اللـهـ.

آـمـينـ.

انتـهـىـ سـامـيـ مـنـ الطـعـامـ ثـمـ التـفـتـ نـحـوـ هـاـ مـتـسـائـلـاـ: مـاـ هـوـ حـلـمـكـ؟

ماـ مـنـاسـبـةـ سـؤـالـكـ يـاـ تـرـىـ؟ هـلـ سـتـتـحـولـ إـلـىـ مـصـبـاحـ عـلـاءـ الدـينـ وـتـحـقـقـ
أـحـلامـيـ مـثـلـ؟

تنـهـدـ بـحرـارـةـ وـقـالـ: يـاـ لـيـتـ، لـوـ اـسـتـطـعـتـ لـحـقـقـتـ أـحـلامـكـ وـأـحـلامـكـ!

أـوـهـ! لـمـاـذـاـ تـتـكـلـمـ وـكـانـ أـحـلامـكـ مـسـتـحـيـلـةـ؟

لـأـنـهـاـ كـنـدـلـكـ.

بـالـنـسـبـةـ لـيـ الـمـوـضـوـعـ بـسـيـطـ جـداـ، لـأـنـيـ لـأـمـتـلـكـ أـحـلامـاـ.

صـاحـ سـامـيـ: هـلـ أـنـتـ جـادـةـ؟

أو مأت برأسها بالموافقة غير مبالغة بردة فعله: لكن، لكن كيف؟ أنت غير معقوله لم أر شخص دون أحالم، نحن نحلم لنحيا!

مممممممم، لم أفك في الموضوع بهذه الطريقة، ولم يخطر بيالي أن أحلم.

صمتت برهة ثم أضافت:

ماذا عنك! ما هي أحلامك المستحيلة يا سيد الأحلام؟

ضحك بوجه مشرق وقال: حلمي يا تانيلا أن أغدو عازف بيانو شهيرًا يستمع الناس إلى الحانني.

حًقا! لم أنتظر هذا منك أبداً! هل هذا يعني أنك تجيد العزف على البيانو؟!

راح يفكر قليلاً ثم أجاب: لو كنت مدرِّسة بيانو لأعطيتني عشرة على عشرة.

ضحكت بسخرية وقالت: لم يعد هناك مدرسون يحسبون العالمة من عشرة، أنا أيضاً أجيد العزف ولكن على آلة أخرى.

حًقا! هل على الناي؟؟

كلاء، بل على الحاسوب!

هز رأسه بابتسامة دون أن يفهم قصدتها.

ما الذي جعل أحلامك مستحيلة؟ ولماذا لا تعيش حلمك الآن؟ لا أقصد أن أكون وقحة، لكن لا أراك تملك أي عقبات أمام تحقيقه لأنك...

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

صمنت قليلاً ثم أضافت بوجه عابس:

لأنك ابن السيد جميل!

أنت ذكية.

عفوا؟!

ذكية لأنك سألتني سؤالاً وأجبت عنه بنفسك، الشيء الذي يمنعني من تحقيقه هو أنني ابن "السيد جميل".

رأف قلب تانيا له وهي تقول في سرها "حتى ابنك الذي تحبه يا جميل، حتى هو يريد أن تحركه كالدمية وتحطم حياته كما فعلت معي"

لم تنشأ إز عاجه بطرح المزيد من الأسئلة حتى لا تعكر صفوه.

مر الوقت بسرعة وحل القمر المنير محل الشمس المشرقة، فعادا أدراجهما.

فتحت قدس باب المنزل بهدوء وخطت خطواتها بحذر نحو الداخل وفور أن دخلت سمعت أنين جدتها المريضة، فألقت الكيس الذي بيدها وجرت إلى غرفتها وراحت تقبلها على جبينها متفرحصة درجة حرارتها، وما إن وجدتها مرتقعة حتى أحضرت منشفة مبللة ووضعتها على جبينها بكل رفق وأخذت تعصرها بين الفينة والأخرى، حتى فتحت الجدة عينيها بصعوبة بالغة وراحت تققام نوبة السعال التي تقاطع أنفاسها قائلة:

عدت إلى البيت يا بنبيتي، لا تقلقي علي أنا بخير

رفعت قدس حاجبيها بكل أسى وهي تنظر إليها دون أن يكون بيدها حيلة، تمكّنها الشعور بالحزن والشفقة اتجاه جنتها التي تعاني أمام عينيها ولا تستطيع فعل شيء يساعد على إخراجها من حالتها المرضية، ثم فتحت فمها وقالت: رجاء لا ترهقني نفسك بالحديث.

نهضت قدس من على سرير جنتها وأحضرت كيس الدواء الذي جلبته معها وجعلتها تشرب منه حتى ساعدتها على الاسترخاء، وطرد الألم من جسدها.

ارتاحي قليلاً حبيبتي سأقيظك بعد نصف ساعة لتناول بقية الدواء،
تصبحين بخير حال بإذن الله.

أمسكت الجدة يد قدس بصعوبة وقالت متسائلة بصوت منخفض:

من أين لك المال الذي اشتريت به الدواء يا ابني؟

هل نسيت يا جلتني؟ أخبرتك أنتي أعمل في مكان راق جداً، وأعطيوني راتبي
اليوم.

سكتت قليلاً لأنها لم ترد أن تخبرها بحقيقة أنها تعمل عاملة نظافة.

أضافت مبتسمة: لا تقلقي قلبك الحنون يا حنونه، نامي الآن جيداً.

الله يرضي عليك يا قدس، حاوي المرة القادمة ألا تأتي إلى البيت في وقت متاخر، فأنت تعلمين أنني أخاف عليك، وكذلك تعلمين جيداً حديث الجيران الذي لا ينتهي.

أحابتها قدس مازحة: حاضر يا سيدة "ياسمين"، طلباتك أوامر.

كانت تانياً تدردش مع كازانوفا، جعلها تضحك كما لم تضحك من قبل، خصوصاً بعدما ألقى عليها بعض النكات عنه وعن أصدقائه الذين وصفهم بالحمقى.

أنت حقاً مختلفة.

مممممممم، ماذا تقصد بمختلفة؟

مممم، أقصد أنك مختلفة وفقط، بطريقة جيدة بالطبع.

تورد وجهها خجلاً ثم كتبت:

إذن، هنا يعني أنك محظوظ لأنك أحاديثك، فالآلاف غيرك يتمنون مجرد نظرة مني.. أحم.

ضحك قائلاً: تواضعني قليلاً جلاله الملكة.

لولم أكن متواضعة لما تحدثت معك بالأساس.

ضحكت بعفوية وأضافت:

أمنح، أمنح.

يا مهبلة! ما رأيك أن نلعب لعبة الحقيقة مرة أخرى؟

لأعلم لماذا تعشق هذه اللعبة إلى هذه الدرجة !!

فقط للاستمتاع لأكثر.

هناك العديد من الألعاب الممتعة كـ "بوجي" أو "كول أوف ديوتي" وغيرها،
أو يمكننا تغيير قوانين اللعبة !

هل جنت؟ لا يمكنك تغيير القوانين!

كتبت بغور: القوانين خلقت لتخترق!

أنت حَّقاً مختلفة وأحب اختلافك!

ارتسمت على وجهيابتسامة خفيفة؛ ثم طبعت على لوحة المفاتيح:

ما رأيك ب لعبة تحدي الجرأة؟ من يختاره يمكنه أن يسأل سؤالين مجاناً بشرط
أن يجيب الشخص الآخر بالحقيقة، لا شيء سوى الحقيقة، موافق؟

حسناً يا ذكية، السيدات أولاً!

ماذا اخترت؟ تحلي أم سؤال واحد عادي، وتجيب عنه بالحقيقة؟

أفضل أن تسأليني سؤالاً واحداً فقط!

ضحك بشدة وصاحت قائلة في سرها "علمت ذلك!" ثم كتبت: يا جبان، دعني
أفكر.

ثم أكملت: ما هو أكثر شيء مروع حدث لك في حياتك ولم تستطع نسيانه إلى حد الآن؟

أترى؟ علمت أنك ستسألين أسئلة ذكية، لهذا السبب اخترت سؤالاً واحداً.

ضحك برقـة ثم انتظـرت منه الانتـهـاء من الـكتـابـة حتى تـعـرـف جـوابـه.

"في ليلة ممطرة بينما كنت أقود السيارة متوجهـاً نحو البيت رأيت حادثـاً بين سيارة صغيرة وشاحنة ضخمة كانت تحمل قوارير الغاز، لم يثر دهشتـي تقلصـ السيـارـةـ وـاخـتفـاءـ مـلامـحـهاـ وـلمـ أـفـزـعـ بـسـبـبـ الأـشـلـاءـ المـلـقاـةـ عـلـىـ قـارـعـةـ الطـرـيقـ،ـ ماـ أـثـارـ روـعـيـ تـلـكـ الطـفـلـةـ ذاتـ الشـعـرـ الـذـهـبـيـ،ـ لمـ تـرـ منـ مـتـاعـ الدـنـيـ شيئاـ،ـ كانـ عـمـرـهـ بـيـنـ السـنـتـيـنـ وـالـسـنـوـاتـ الـثـلـاثـ.

صمت بـرهـةـ لـتـعـودـ النـقـاطـ الـثـلـاثـ تـقـاـفـ:ـ كـانـ الخـوفـ وـالـصـدـمـةـ يـخـيمـانـ عـلـىـ وجـهـهـاـ،ـ وـشـفـتـاهـاـ الـمـرـعـشـتـانـ لـاـ تـتوـقـفـانـ عـنـ الـحـرـكـةـ،ـ تـمـشـيـ وـسـطـ الـجـثـثـ،ـ باـحـثـةـ عـنـ أـمـهـاـ وـهـيـ تـنـادـيـ عـلـيـهـاـ بـصـوـتـ خـافـتـ،ـ وـيـاـ لـيـتـيـ لـمـ أـسـمـعـهـ،ـ فـقـدـ عـلـقـ فـيـ أـذـنـيـ كـالـحـلـقـ،ـ تـسـتـمـرـ بـالـنـظـرـ هـنـاـ وـهـنـاكـ عـلـهـاـ تـجـدـ شـالـ أـمـهـاـ الـمـزـخـرـفـ فـتـعـرـفـ إـلـيـهـاـ بـيـنـ الصـيـابـ،ـ الـمـسـكـيـنـةـ لـمـ يـفـدـهـاـ الـبـكـاءـ فـقـدـ صـعـدـتـ رـوـحـ أـمـهـاـ إـلـىـ السـمـاءـ،ـ شـعـرـتـ وـكـانـيـ كـنـتـ مـقـيـداـ بـالـسـيـارـةـ،ـ لـمـ أـسـتـطـعـ إـزـالـةـ حـزـامـ الـأـمـانـ بـسـهـولـةـ بـسـبـبـ اـرـتـعـاشـ جـسـديـ كـلـهـ مـنـ هـوـلـ ماـ رـأـيـتـهـ،ـ هـرـعـتـ رـاـكـضاـ نـحـوـهـاـ حـتـىـ أـنـقـدـهـاـ مـنـ بـشـاعـةـ الـمـنـظـرـ لـكـنـ وـيـلاـهـ!ـ قـدـ فـاتـ الـأـوـانـ قـبـلـ وـصـولـيـ عـنـدـهـاـ.

وـضـعـتـ تـانـيـلاـ يـدـهـاـ عـلـىـ قـلـبـهـاـ وـكـانـ الـحـزـنـ الـذـيـ فـيـ قـلـبـ كـازـانـوفـاـ اـنـقـلـ إـلـىـ قـلـبـهـاـ،ـ تـنـفـسـتـ بـصـعـوبـةـ وـاحـتـارـتـ مـاـ تـقـولـ!ـ لـكـنـهـاـ كـتـبـتـ بـبـطـءـ شـدـيدـ وـكـانـهـاـ خـافـةـ منـ مـعـرـفـةـ مـاـ سـيـقـولـهـ:

ماذا حدث بعدها يا كازا!

كانت سيارة أخرى في تلك اللحظة تحاول التوقف بعد ما فوجئ سائقها بالحادث، سمعت صوت المكابح ثم صوت ارتطام السيارة بجسدها الصغير، حدث كل شيء بسرعة ككاربوس مخيف.

أصيبيت تانياً بصدمة مما حكاه وكأنها كانت تجلس معه في السيارة:

هذا مروع! أعتذر لفتح أوجاعك.

لا داعي للاعتذار، فأوجاعي لم تُنسِّ أصلًا.

لا تلم نفسك لأنك لم يكن خطأك بل هو قضاء وقدر، وربما هنا أفضل لأنك لو عاشت فربما لن تكون سعيدة بفارق أمها.

لاأدرى يا سنديريلا، فوجهة نظري لا تتفق مع وجهة نظرك، انسى الأمر فقد حدث ما حدث وأعتقد أنه حان دورك في اللعبة، أخبريني من هو الشخص الذي تططلعينه على أسرارك؟

كتبت فورًا دون تفكير: لا يوجد.

أجبني عن سؤالي.

لقد أجبتك! حَقًا لا يوجد.

إذن من اليوم مُرحب بك، تستطيعين إخباري بجميع أسرارك.

أمالت رأسها على كتفها ثم زمت شفتيها وراحت تكتب بسرعة، وكان حروف لوحة التحكم على وشك الهرب منها: أتعلم يا كازا! أريد الاختفاء، أرغب بالهرب من هذه الأرض وكل ما تحويه، خصوصاً من البشر.

لماذا تقولين هذا؟ ما الذي يدعوك لتخميني مثل هذه الأمنية؟

خائفة من قرار قد أمضي على فعله وأندم بعدها، أشعر وكأن قلبي مسجونة داخل قبضة يد عملاق!

بعد ثوان من الصمت حاول كازانوفا كتابة شيء مناسب ليرد به، أخيراً قال: بصرأحة لم أعرف ماذا أكتب لك! فقد سرقت مخي كل الحروف.

ساد الصمت للحظات، حتى بدا كضيف ثقيل ينماز عهما غرفة الدردشة، تهدت وفكرت قليلاً لنطرح سؤالها: ما هو الشيء الذي يجعلك ترتعب؟

لم تختررين الأسئلة الصعبة! ماذا فعلت لك؟ يا شيرية.

ضحك من حديثه ثم أضاف قائلاً:

سأخبرك لكن عذيني ألا تصحكي أولاً!

لا يمكنني أن أعدك، فالضحك بات هوائي المفضلة. "أضافت مع رسالتها القصيرة ذاك الوجه الأصفر الذي يحتوي على غمزة ولسان أحمر اللون"

رد عليها قائلاً: بصرأحة، أخاف من الدماء.

اعتدلت في جلستها منتظرة بحماس انتهاءه من الكتابة حتى تعرف السبب وراء ارتعاده من الدماء.

كما تعلمين بعد انتشار حبيبي، بُثّ أرى كواكب متواالية، لهذا السبب لم
أستطيع إنقاذ تلك الفتاة الصغيرة التي كانت وسط الدماء، أعتقد أنني مصاب
بها جس الدماء جراء ذلك.

شعرت تانيا وكأن رابطاً قوياً بات يجمعهما، أحسست بشعور غريب لم تستطع
فهمه، فكتبت بارتباط وثقة في الوقت ذاته: لا تدع مخاوفك تتغلب عليك،
ثق بأنك تستطيع التحكم فيها، فإن سيطرت عليها فلن تسيطر عليك ! وأنا
لدي هاجس من المرتفعات، لكن لا أفكر بها كثيراً كي لا تتغلب علي.

ما رأيك أن نتحدّي نواجه مخاوفنا! أي تقوين بي وأتقوى بوجودك، حاوي
مواجهة مخاوفك معى.

رفعت حاجبيها وقد ارتسمت عليهما عالمة استفهام: وكيف ذلك؟

فلنلتقي يوماً ما أنا وأنت ! نصعد فوق مكان عال ! نمسك بأيدي بعضنا
وقومين أنت بمساعدتي، أقصد بحري يدي كي أستطيع رؤية الدماء التي
تدفق لتشهد اللحظة التي نتخلص فيها من خوفنا، سأتحسسها بيدى
الأخرى حتى أبرهن لنفسي أنه يمكنني محوجم جميع الذكريات السيئة فقط
عندما نريد نحن ذلك.

ابتسمت وسافر عقلها إلى الفكرة وارتسمت الصور في عقلها، فكتبت له: ماذا
يحدث بعدها؟!

بعدها سنجري إلى حافة الهاوية ولن نسمح للجاذبية بالتقاطنا، في الوقت
نفسه سنكون بأمان "الشくる لمحترع المظللات" ستكتفي مظلة واحدة
لننجو، إلا إن كان وزنك ثقيلاً فهنا يتحول حديثنا إلى حديث آخر.

ضحك بصوت خافت، ورأت نفسها تطير معه بالظلمة في مكان جميل يخلو من البشر، على الرغم من عدم ذكره مكانته مهدداً، كم بدا المشهد حقيقياً! فجأة غمرها إحساس مفاجئ أعادها إلى الواقع المر الذي تتصارع معه وقالت في سرها "هذه الحياة ليست لأمثالنا" ثم كتبت له:

أنت مفعوم بالمرح يا كازا وذكي أيضاً "فليلاً" لكنني لن أخاطر بالمجيء معك، من يدري قد تقوم بدفعي من هناك وأموت، أعلم بأنك مجنون وتفعلها.

تعي دائماً ما دمت حياً لن تتأذى أبداً، يا حشرتي المجنونة!

استغربت تانياً من جوابه، وقد غمرها شعور ممزوج بالفرح والإحباط في الوقت ذاته، فهي لم تأذن للحب أن يطرق بابها من قبل، لم تتوقع أن يقال لها شيء بهذا الدفء.

أتمنى هذا!! حان دورك ولا تننس القوانين الجديدة للعبة.

صحيح، لقد نسيتها بالكامل، تحدي أم سؤال واحد؟

فكرت بهمهمة ثم تجرأت: تحدي!

ما هو الخطأ الفادح الذي فعلته في حياتك؟

فكرت عميقاً بسؤاله الذي فاجأها، ووجدت أنها فكرت به من قبل وبقيت الإجابة ذاتها: أحياناً أشعر بأنني لم أعبر بما يكفي لوالدي عن حبي لهم، وهذا يعد أكبر خطأً فعلته.

رحمهما الله، لا تفكري هكذا، يجب ألا تلومي نفسك على شيء لم تكوني تعلمين أنه سيحدث، فأنت إنسانة فقط ولست "امرأة خارقة".

ربما معك حق.

هل أنت جاهزة للسؤال التالي؟؟

جاهزة منذ يوم ولادتي.

بالتأكيد ارتكبت أشياء مخالفة للقوانين، أخبريني عن أخطر شيء فعلته مخالف للقانون.

تنهدت وفكرة فيما إذا كانت ستختبره وتخبره بما فعلته، فقالت في نفسها: إنه نفسه متورط في اختراق الناس وفعل أشياء ممنوعة أكثر منها، فتشجعت وكتبت عن بعض اختراقاتها.

استمرت باللعبة طوال ساعات دون الانتهاء لوقت كعادتها، حتى فاجأها بسؤال أربك قلبها: هل بحثت من قبل عن الحب؟

نعم، بحثت عن الحب في الكتب فقد قال لي والدي ذات مرة "من بحث عن الحب في الناس فقد أهلك قلبه" أن تحب حائطاً أو شجرة خير لك من حب إنسان لا توجد فيه إنسانية، لذا لا يوجد ما يؤمن وحدتي أفضل من الكتب.

أقنعني جوابك الذي لم أتوقعه! دورك.

ترددت في طرح سؤالها لكنها وجدتها فرصة مناسبة ما دام فتح معها موضوع "الحب" فسألته بشجاعة فائلة: إذا وجدت من تستحق فرصة للدخول إلى حياتك هل ستسمح لها بذلك؟

لا أعتقد أن القدر سيلاقيني بمن يجعل قلبي يخفق.

شعرت تانيا بوخزة في قلبها، وبضيق خفيف في صدرها، ثم تنهدت بهدوء حتى أكمل قائلًا: لكن من يدري! ربما إذا كانت طيبة وخلوقة وتحب الكتب! ربما.

ضحكـت من رسالتـه وشعرـت بارتـياـح كـبـير لم تـعـرـف سـبـبـه وربـما لأنـه قـصـدـها بكلـامـه!

سـنـدـرـيلـا! ما الـذـي يـجـدـرـي فـعـلـهـ كـي أـفـزـرـ بـثـقـتكـ؟

فـوجـئـتـ من سـؤـالـهـ الـذـي بدا غـرـيـبـاـ، وـسـرـتـ بـهـ فـي ذاتـ الـوقـتـ فـسـأـلـتهـ:

أـعـتـقـدـ أنـ هـذـاـ شـيـءـ يـسـتـحـيـلـ حدـوثـهـ، لـكـنـ لـمـاـ سـأـلـتـ؟

لـأـنـيـ أـرـيدـ صـدـاقـتكـ!

اختلطـتـ مشـاعـرـهاـ وـلـمـ تـعـرـفـ مـاـ تـجـبـ!ـ فـهـيـ لاـ تـعـرـفـ معـنىـ أنـ يـكـونـ لـدـيكـ صـدـيقـ،ـ لأنـهاـ لـمـ تـحـظـ بـصـدـيقـ منـ قـبـلـ،ـ هلـ هـكـذاـ تـبـداـ قـصـةـ الصـدـاقـةـ؟ـ وـكـيـفـ تكونـ؟ـ

كـثـيرـاـ ماـ قـرـأـتـ عنـ الصـدـاقـةـ،ـ لـكـنـ لـمـ أـجـرـيـهاـ بـيـوـقـاـ،ـ وـعـلـىـ حـسـبـ ماـ قـرـأـتـ وـجـدـتـهـ جـمـيـلـةـ وـمـخـيـفـةـ فـيـ الـوقـتـ ذاتـهـ.

الـصـدـاقـةـ جـمـيـلـةـ لـمـاـ تـقـولـينـ إنـهاـ مـخـيـفـةـ؟

لـأـنـ جـرـحـ الصـدـاقـةـ أـعـقـمـ منـ جـرـحـ الحـبـ،ـ فـمـشـاعـرـ الحـبـ تـزـوـلـ وـيـمـحـوـهاـ الـوقـتـ،ـ لـكـنـ الأـلـمـ الـذـيـ يـأـتـيـكـ مـنـ صـدـيقـكـ تـبـقـىـ نـدـبـتـهـ كـذـكـرـيـ لـمـعـاقـبـتكـ عـلـىـ مـنـحـكـ ثـقـتكـ لـمـنـ لـاـ يـسـتـحـقـ،ـ هـذـاـ مـاـ قـرـأـتـهـ.

حسناً، قد يكونون محقين لكن لا تنقي في كلام الكتاب لأن معظمهم يكتبون
أشياء لا يشعرون بها، قد تجدن الظالم يتحدث عن المظلوم، والغني
يتحدث عن أوجاع الفقير.

فكـر فـليـا ووـجـدـتـ أـنـ ماـ يـقـولـهـ صـحـيـحـ،ـ فـلـاـ يـعـقـلـ أـنـ تـحـدـثـ جـمـيعـ المـآـسـيـ
مـنـ أـنـوـاعـ مـخـتـلـفـةـ لـلـكـاتـبـ،ـ وـإـنـ حـدـثـ فـمـنـ غـيـرـ المـعـقـولـ أـنـ يـكـونـ مـظـلـومـاـ فـيـهـاـ
كـلـهـاـ.

الـمـهـمـ،ـ اـتـرـكـ ثـقـتيـ بـكـ لـلـوقـتـ،ـ أـلمـ يـقـولـواـ إـنـ الـوقـتـ يـجـعـلـ الـمـسـتـحـيـلـ مـمـكـنـاـ،ـ
فـلـنـجـرـبـ إـذـنـ!

طـلـبـاتـكـ أـوـامـرـ مـوـلـاتـيـ،ـ سـأـنـتـظـرـكـ إـلـىـ مـاـ لـاـ نـهـاـيـهـ.

أـخـذـاـ يـضـحـكـانـ مـعـاـ وـهـمـاـ يـتـأـمـلـانـ صـفـحةـ الـدـرـدـشـةـ بـإـعـجـابـ،ـ وـأـضـافـ:

سـأـحـاـوـلـ أـنـ أـكـوـنـ عـنـدـ حـسـنـ ظـنـكـ.

سـنـرـىـ،ـ لـكـنـيـ فـضـولـيـ بـخـصـوصـ شـيـءـ.

تـفـضـلـيـ.

لـمـاـ تـرـيدـ أـنـ تـكـوـنـ صـدـيقـيـ؟ـ أـلمـ يـكـفـكـ الـأـصـدـقـاءـ الـذـيـنـ سـرـدـتـ لـيـ قـصـصـاـ
عـنـهـمـ!

لـيـسـ كـنـدـلـكـ،ـ لـدـيـ إـحـسـاسـ بـداـخـلـيـ يـخـبـرـنـيـ باـسـتـمـارـ أـنـاـ سـنـكـونـ صـدـيقـينـ لـاـ
مـثـيـلاـ لـنـاـ،ـ وـرـبـماـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ!ـ كـمـاـ أـنـاـ نـمـتـلـكـ الـكـثـيـرـ مـنـ الـأـشـيـاءـ الـمـشـتـرـكـةـ.

أـنـتـ مـحـقـ،ـ لـكـنـ صـدـاقـتـنـاـ تـعـنـيـ الـبـحـ لـعـضـنـاـ الـبـعـضـ بـكـلـ الـأـسـرـارـ الـمـخـفـيـةـ.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

جريبيني بنفسك، يمكنك سؤالي عن أي شيء تريدين معرفته، اسمي أو شخصيتي أو حتى مكاني.

فكرت بابتسامة ووجدت أن طرح سؤال بسيط في الوقت الذي ينتظر منها سؤالاً خطيراً سيمتعها: أخبرني بصراحة، ما اسم فيلمك المفضل؟

ليس لدى فيلم مفضل، لا يمكنني إعطاء تقييم عال لفيلم لأنني أعرف أنه سيكون هناك أفضل منه مستقبلاً.

نالت إجابتها إعجابها فقد طرحت السؤال على نفسها من قبل، وأجبت بإجابتها وراحت تطرح عليه المزيد من الأسئلة فقد أعجبها أنه نسي قوانين اللعبة، وبدأت هي تقودها.

ماذا عن المسلسلات ماهي الأنواع التي تفضلها؟

سهل! التي يوجد فيها غموض وألغاز يصعب حلها والتي...

فوجئت أكثر من جوابه فقد كان الجواب الذي أجبت به نفسها فقاطعه قائلة: حسناً يكفي! أخبرني كيف تحب نهاياتها؟!

ثم قالت في سرها يستحيل أن تكون إجابته كالتى في بالي الان! وإن حدث وكانت كذلك فسأتجه غداً إلى طبيب نفسي، نعم هذا أفضل حل، قد يكون هذا المجهول من نسج خيالي.

أحب النهايات الحزينة لأنها تظل راسخة بعقل المشاهد.

الحمد لله، لأنني لا أحبها إطلاقاً!! أعيش النهايات السعيدة التي تنتهي دوماً بانتصار الخطط الناجحة.

نظرت تانيا إلى الساعة التي تشير إلى الرابعة صباحاً، وقالت دهشة:

يا الله!! لم أشعر بأن الوقت مر بهذه السرعة أخذ حديثنا عن الأفلام والحياة وقتاً طويلاً.

أنتِ محققة لم أشعر به أيضاً، وعلى الاستيقاظ باكراً.

استأنست منه وذهبت للنوم.

بينما كان سامي منغمساً في عمله انتبه إلى طرق السكرتيرة بابه وهي تستأنف الدنس في الدخول، وعلى الفور أشار إليها بالموافقة وهب وافقاً في انتظارها، دخلت متوترة فانتبهت إلى علامات الجدية على وجهه، وقبل أن تنطق بكلمة قال بنبرة تحمل الجدية والبرود في آن واحد: ما الذي أتي بك إلى هنا في هذا الوقت الباكر؟

شعرت بالتتوتر من نبرته وبدأت تقضم أظفارها خوفاً ثم قالت:

لقد أتيت لاعتذر إليك عما بدر مني.

فقطاعها قائلاً بنبرة حادة أكثر:

أجبيني على سؤالي القادم من دون أن تكتفي!

ارتجم قلبها خوفاً وهزت رأسها بالموافقة فقال: هل دائمًا تصرخين على الأشخاص الذين يدوسون الأرضية بعد أن تنظفيها؟!

ازداد شعورها بالخجل وتوردت وجنتها، ثم قالت وعيناها ذابلتان تتظران
نحو الأرض: أنا حَقًا آسفة.

رفعت رأسها وهي تنظر إليه ثم أكملت: تلك كانت آخر مرة أتصرف بها بغير
عقلانية يا سيد سامي، وأعدك إن لم تقم بطردي من هنا فسأكون عند حسن
ظنك.

أنزلت رأسها للأسفل مرة أخرى، وإذا بسامي يضحك من توترها، فقد بدت
كالأطفال بنظره.

لدي شرطًا واحدًا، إن نفذتهِ فلن أقوم بطردك.

رفعت قدس رأسها وحاجبيها في الوقت نفسه، ومال رأسها استغراً منه، ثم
سألته بنبرة حذرة: ما هو شرطك سيد سامي؟

إذا ذهبت معى هنا المساء في نزهة لكي...

جحظت عيناهَا وعقدت ذراعيهَا أمام صدرها، ثم قاطعته قائلة: هل أبدو لك
من الفتياں اللواتي يبعن أنفسهن من أجل العمل؟؟

زادت من حدة صوتها وأكملت بغضب أكثر: اسمعني جيداً أيتها الطفل
المدلل! إن كنت تعتقد أنني سهلة المنال فأنت مخطئ، أنا لست..

وضع يده على فمها ثم احتضنها بين ذراعيه ملصقاً إياها بالجدار.

نباللا النظرات، ثم أشاحت بنظرها عنه وهي تحاول الإفلات منه لكنها لم
 تستطع، وقال بنبرة جدية:

اهدئي!! لم أكن أقصد ذلك الشيء بكلامي! لماذا دمك حار هكذا؟!

طلت قدس تتكلّم بكلام غير مفهوم بسبب يده التي غطّت فمها مما جعل الوضع يضحك سامي، فقال وهو يحاول إمساك نفسه من الضحك:

سأقوم برفع يدي لكن إن حاولت الصراخ أقسم أنني ساضع الشريط اللاصق على فمك.

هرت قدس رأسها بالموافقة فرفع يده ببطء وهو ينظر إلى عينيها بعاطفة، ثم ردت بصوت خافت وهي تشعر بالخجل من موقفهما: إذن ما الذي قصدته سيد سامي؟

تنهد سامي بحنان وهو ينظر إلى وجه قدس الملائكي، ثم قال: لدى اجتماع مهم هنا المساء خارج الشركة، ولا أحب حضور الاجتماعات وحدي، لهذا أرحب بمراجعتك.

حسناً لم أعلم أن هذا قصدك، لكن لم لا تأخذ معك موظفتك فهذا هو عملها أليس كذلك؟ كما أعني لست موهوبة في هذا المجال ولا أعرف عنه شيئاً.

أجابها سامي وهو يقرص أنفها بطريقته المتّبعة: لو كنت صبوره ولم تقاطعي كلامي لفهمت قصدي، لا رغبة لي بمراجعة موظفي لأنها مملة، ولليست مضحكة مثلك!

شعرت قدس بالحرج وهي تحاول أن تهرب من عينيه قدر المستطاع، ثم قالت بثقة: دعني أفكّر بالأمر!

أجابها بابتسامة ماكرة:

لا داعي للتفكير بالأمر إن أردت الاستمرار بالعمل في الشركة، فتعالي على الساعة الثالثة مساء إلى العنوان الذي ستدونه لك موظفي بالخارج.

ثم ابتعد عنها وتوجه للجلوس على كرسيه بكل هدوء ليكمل عمله، نظرت إليه ثم تنهدت وقالت بصوت منخفض: صبرك يا الله.

مضت ثلاثة أسابيع بأكملها، واقتربت تانياً من كازانوفا أكثر بعدما أصبحت تحادثه يومياً فقد بات عادتها اليومية، أما بالنسبة لقدس فقد ذاب جبل الجليد الذي كان بينها وبين سامي منذ حادثة المكتب، وأصبحا يمضيان أغلب وقتهم معاً بعد ما أزدادت مواعيدهما.

يمكنك الذهاب إلى المنزل كي ترتاحي، أما أنت يا قدس فيجب عليك تنظيف متجر السيد مصطفى قبل ذهابك.

قال المدير مخاطباً تانياً وقدس، فشعرت تانياً بالشفقة على قدس، وقررت البقاء معها لتونس وحدتها.

هل يمكنني البقاء قليلاً بعد؟ فأنا أرغب بمساعدتها في تنظيف المتجر.

أو ما برأسه موافقاً ثم غادر.

توجهتا إلى المتجر وهو تحملان أدوات التنظيف، وبشرتنا تنظيف المتجر بهمة ونشاط، رأت تانياً أنه لا يوجد أفضل لقتل الوقت غير الدرشة، فراحت تحكي لها عن حبها لوالدها ومحامير اتها القليلة معه رحمة الله، لكن حينما ذكرت

هذا الموضوع أحسست أنها جرحت مشاعر قدس لسبب ما دون قصدتها، فقررت تغيير الموضوع بقولها: اسمك جميل للغاية من قام باختياره هل والدتك أم والدك؟

ابتسمت وردت عليها قائلة: أسمي يحمل حكاية لا تشبه أي حكاية.

اقترن تانياً منها ثم ربت على كتفها، وطلبت منها الاستراحة كي تبوح لها بما ينقل كاهلهما، فجلستا وأكملت قدس مسترسلة:

توفي والدي قبل مولادي وتبعته أمي، بعد ذلك لم تسنح لهما الفرصة حتى لتسميمي، ولحسن الحظ أن جدتي الحبيبة لم تتركني يوماً.

سألتها تانياً مستفهمة بحيرة:

لاأريد إحزانك أكثر لكن، ماذًا حدث لوالديك؟

تنهدت متصرفة وقالت:

دعوكِ مني فحكايتي طويلة، والحياة لم تكن عادلة معي يا صديقتي!

يا للأسى.. هكذا قالت تانياً وقد تأثرت، ثم حاولت أن تواسيها فقالت مضيفة: هكذا هي الحياة لم تعطتنا الحق في اختيار طريقة العيش، لكن اللوم لا يقع عليها بل علينا، أصبحنا في زمن تبحث الحياة المظلومة فيه عن العدالة بين البشر الظالمين.

دموعها التي تساقطت دون إرادتها دفعت تانيلا لمعانقتها، لكن العناق لم يدم طويلاً، فقد استجمعت قدس قوتها وحاربت الدموع بابتسامة لطيفة لتعود إلى العمل.

انتبهت قدس بينما كانت تنظف إلى أن تانيلا شردت في فستان أحمر اللون أشبه بفستان سندريلا الساحر، فقد استوحاه مصممه على الأغلب من فساتين أميرات ديزني الساحرة، ربّت على كتفها فشهقت تانيلا مرتعنة، ابتسمت قدس ثم قالت:

أعجبك بشدة، أليس كذلك؟

هـ؟!

أقصد الفستان.

ابتسمت تانيلا وهزت رأسها بالموافقة قائلة: وهل هناك فتاة طبيعية لن يعجبها مثل هذا الإبداع؟ إنه ساحر للغاية!

ارتجف صوت قدس من الحماس وهي تقول: إدأ، ما رأيك، أن تجربيه!!
فوجئت تانيلا، وأجابتها قائلة بصوت صارم: أجننتي! مستحيل هذا خطط،
ماذا إن رأنا أحد ما؟!

لا تكوني درامية، إنها الواحدة بعد منتصف الليل لا يوجد أحد غيرنا! هيا
رجاء لن يكتشف أمرنا أعدك.

ترددت تانيلا ثم قالت: لكني أخاف!

..... صمت سيكادا عائشة بشارب

ولكنه يستحق المجازفة !!

يستحق أليس كذلك ؟ !!

أومأت قدس بالموافقة ثم حملته وذهبنا بسرعة لغرفة تغيير الملابس،
وانتظرتها بالخارج بينما تجربه.

سأكون بانتظارك عزيزتي لكن أسرعى.

مضت دقائق عدة ولم تخرج تانياً بعد، فشعرت قدس بضجر قاس وقالت:
لماذا تأخرت كل هذا الوقت من يراك يظن أنك عروس يوم زفافها !

فردت عليها من الداخل قائلة:

اصبري قليلاً، إنه كبير للغاية وارتداوه صعب، أمهليني لحظات أخرى.

هل أدخل لأساعدك؟ اقسم أني لن استرق النظر حتى لو فعلت فلدينا
الأشياء نفسها.

لم تمض ثوان حتى خرجت تانياً بمنظر يخطب الألباب، فتحت قدس فمها
بدهشة فقد بدت وكأنها أميرة هاربة من قصة خيالية، بشعرها الطويل المجمع
كثراحت السباحين التي أضافت إليه بشرتها البيضاء جمالاً، كانت أقل ما يُقال
عنها إنها فتنة فوق الأرض.

من أين لك بهذا يا فتاة !!

ماذا تقصدين؟

كم تبدين جميلة يا تانيا! تبدين رائعة! بل فائقة الروعة!!

لاتبالغ!

أي مبالغة تعالى معي بسرعة.

أمسكت يدها وجرتها معها إلى غرفة المجوهرات حيث توجد مرآة كبيرة
وقالت: انظري لنفسك لتعلمِي أنِي لا أبالغ.

رأت تانياًلا تلك الليلة في المرأة فتاة لم ترها في حياتها من قبل، وسرها التعرف
عليها ووجدت أن المال حفّاً يشتري السعادة، لكنها سعادة سطحية وزانفة.

حقا، أنا أبدو جميلة!

لمحت قدس تاجاً مرصعاً بالألماس الفاخر، فتوجهت إليه ثم حملته بحرص
شديد ووضعته على رأس تانياًلا وقالت بسعادة: أجل هذا ما كان ينقص،
واكتملت صورة الأميرة!

أنا سعيدة للغاية يا قدس، لم أرتدي في حياتي فستانَا كهذا.

ضحكَت قدس بإعجاب وقالت مازحة: فليقعنِي أحدُ أنا في القرن الحادي
والعشرين، لا ينقصك الآن سوى الفارس وحصانه الأبيض!

نسيت الفتاتان نسيهما و هما تضحكان وتتبادلان الحديث، حتى قطع صوتَهما
خطوات تقترب من المتجر، فدب الرعب فيهما، وعلمتا أن هناك شيئاً خطيراً
قادماً من الظلام، وفجأة أطل الحارس بمصابحه اليدوي فرأتهما في تلك الحالة
الرهيبة.

قالت تانياً في سرها: إن أمر انتقامتها قد انتهى في هذه اللحظة، لكنه ظل صامتاً لا يعي ما يدور حوله وشد في جمال تانياً الذي أنساه وجوده، لولا صوت سامي الذي أفق الجميع ليقوا متجمدين حتى الصباح.

ماذا يجري يا "خالد"، من هناك؟

أجاب الحارس قائلاً: لم يحدث شيئاً يا سامي، اعتقدت أنني سمعت ضجة لكنني كنت مخطئاً.

أطل سامي من ورائه حتى رآهما وارتسمت على جبينه الكثير من علامات الاستفهام، المسكين لم يفهم شيئاً مما يحدث، لا تانياً التي تبدو كالأميرة، ولا قدس المرتبعة ولا حتى خالد الذي يوجه مصابحه نحوهما، غادر الحارس وتوجه سامي إليهما فرأى قدس أنه من الأفضل لو تكلمت هي الأولى قبل أن يقول شيئاً لا يسرهما فقالت:

ولاكمة رجاء ولا حتى كلمة صغيرة!

فراح يضحك من ارتباكتها وتصرفها الطفولي وقال: لا تقلي أميرتي الصغيرة، لن أبوج لأحد بما رأيته، بالمناسبة تبدين جميلة يا تانياً.

شعرت تانياً بحرج من النظر إلى عينيه، لكنه انصرف بعدما اطمئن إليهما وتركهما والإحراج يكاد يقتلهما.

توجهت تانياً إلى المنزل بعدما انتهت من العمل وتمددت على سريرها، بينما راحت تحادث كازانوفا عبر الهاتف كعادتها.

ما بها نبرة صوتك؟

..... صمت سيكادا عائشة بشارب

ما بيه؟!

لا أدرى! تبدو مختلفة! أخبريني ماذا حصل؟

تنهدت تانيا بملل ثم قالت:

لا تسائل رجاء، فقد حصلت لي شيئاً محرجاً اليوم لن أنساه طيلة حياتي.

ضحك قائلًا: لا تقلقي، سيمirs.

ماذا عنك؟ لماذا تبدو مبتهجاً ومتفائلاً على غير عادتك؟

مم، قابلت فتاة لم أر مثلها لجمالها يوماً.

قطعته بحدة قائلة: هل سأنتظر كثيراً لانتهاء وصلة الغزل تلك؟

أنا أسرد لك فقط.

صمنتُ بضيق ولم تجب، حتى قال هامساً: بالنسبة لي أنت أجمل فتيات العالم!

ضحك بسخرية ثم قالت: لا تكذب فأنت لم ترني بعد!

هذا صحيح لم أر جسدي، لكنني رأيت روحك لأنها لامست قلبي.

خجلت من كلامه، وابتسمت في سرها ثم قالت بحدة: لا تجن!

وأيضاً لو كان جمال الروح مهمًا لأقيمت مسابقة لجمال الروح وليس لجمال المظاهر.

وجهة نظرك معقولة، إذن ما رأيك لو أخبرتك أنني اختربت هاتفك ورأيت صورك!

ضحك بصوت مرتفع وراحت تسخر منه: لن يحدث حتى في أحلامك! أوًلا مكالمتنا ليست عن طريق شريحة الهاتف، وثانيةً هاتفي يخلو من الصور، وحتى لو كانت كذلك لما تمكنت من اختراقي،رأيتكم يستحيل الوصول إلي!

أنت حَقًا لا تعرفين الفرق بين الجدية والمزاح!

صحيح لا أعرفها معك! فدائماً أنت جدي وصارم.

ابتسم بمكر خبيث ثم قال: أنت محققة.

تنهد وأضاف: لست أدرى ماذا أصابني اليوم بعد رؤيتي تلك الفتنة.

زفرت وقالت متأففة: إن استمررت بمزاحك الثقيل فسأخلد للنوم وأتركك بمفردك!!

تعالت ضحكاته وراح يقول: كم تصبحين ظريفة عندما تغرين!

ردت وهي تلعب بخصلات شعرها المجمع: ومن قال لك إنني غرت! أنا لا أغاربل هن من يغرن مني يا عزيزي.

ثم أضافت متربدة: أصلًا أنا متأكدة من أنني أفضل منها!

أجل من دون شك.

هبت قدس واقفة وقد بدا الانزعاج في عينيها، وغممت: ماذما يضحكك؟

آسف لا أقصد أن الموضوع مضحك لكن، لم أتوقع أن تغاري علي من تانيا!

زفرت بأسى وتأنيب الضمير يلتهمها، فتانيا تكون صديقتها الوحيدة وشعورها بالغيرة يكاد يقتلها، على الرغم من الثقة الكبيرة التي بينهما.

لأعتقد أن هناك وصفاً لشعورني هذا، رؤيتي لكما معاً وأسئلتها المبتكرة عنك، كل هذه الأشياء تشعرني بعدم الاطمئنان ولست مستعدة لفقدان الأمان الذي وجده معك.

تنهد سامي بأريحية وراح يقول في أسلوب واضح النبرات: اطري هذه الأفكار من رأسك فلا وجود لغيرك في قلبي! كما أن تانيا صديقة مقربة لا أكثر ولا أقل، لذا كوني واثقة بأنني لن أتركك يوماً حتى لو توسلت لذلك.

ابتسمت قدس فرحة بعدها أزاح حديثه شعورها بالاختناق، وراح ترجو ضميرها أن يتوقف عن تأنيبها بعد إساءتها الظن بصديقتها.

استيقظت تانيا على الحادية عشر على غير المعتاد فاليلوم هو يوم إجازتها، نهضت لتنفس وسارعت إلى تجفيف شعرها، وضعفت الأواني المتسخة في آلة غسل الصحون ثم ضبطت إعدادات مكتسة الروبوت وتركتها تنظف البيت، وتوجهت لتعد قهوتها بكل هدوء وهي تندن، ثم توقفت للحظة وصارت تفكير إن كانت قد فعلت الصواب في شأن إخفاء حقيقة انتقامها عن شقيقها،

ووقالت في سرها: إن إخباره عن خططها قد يسبب نتائج كارثية! استفاقت من شرودها بعدما سمعت صافرة آلة القهوة، استعجلت بشربها، وغيرت ملابسها وهمت بالخروج من المنزل.

أما سامي فقد كان جالساً مع قدس في حديقة التجارب العلمية في قلب "الجزائر" العاصمة التي سميت بحديقة "الحامة"، والتي تعد متحفاً فعلياً للطبيعة بضمها أشجاراً نادرة، وبساتين خلابة.

ما رأيك بالمنظر هل أعجبك؟

إنه لا يصدق كالحلم تماماً، بل أجمل منه!

ابتسمت وأضافت: أتعلم! أكثر ما أعجبني أشجار الكافور، فحجمها الكبير كاف لإخفاء قبيله بأكملها تحت أغصانها الخشنة.

فرح لفرحتها بالمكان وتنهد قائلاً:

هل تعلمرين أنه يمكن تصنيع الذهب من أشجار الكافور؟

واو! حقاً!!

هز رأسه بالموافقة مبتسمًا ثم انتبه لابتسامة ماكرو، ارتسمت على وجهها بينما كانت تنظر إلى عينيه فسألتها قائلاً: ما الذي جال في ذهنك وخلق على وجهك ابتسامة خطيرة كتلك؟

ضحك بفتور وردت عليه بحماس كبير: لدى فكرة مدخلة ستجعلنا أغنياء !!

وأضافت: أعتذر نسيت أنك غني بالفعل!

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

ضحك ضحكة مجلجلة وقال: أخبريني بالمصيبة يا مصيبي الحلوة.

ما رأيك لو نعود ليلًا مع جرافة ونقتل جميع أشجار الكافور التي هنا ثم نصنع بها الكثير من الذهب !!

حسناً يا مجنونة، فلننقل إننا نفذنا خطتك.

ففزت من مكانها بحماس كبير فأكمم مقاطعاً حماسها: وهذا لا يعني أنني وافقت على فكرتك المجنونة! إن حدث ونفذناها فمن الذي سيحولها إلى ذهب! هذا يحتاج إلى خبرة ووقت طويل، وإلى أناس متخصصين في هذا المجال.

يا لك من قاتل للأحلام والمتعة! حسناً انسن الفكره.

اقترب منها ثم أمسك يدها وطبع قبلة على وجنتها ثم قال: أنتِ التي سرقتِ قلبي، وجعلته ينبض كما لم يفعل من قبل.

تنهد ثم واصل: هل تعلمين شيئاً! سأبوج لك بسري الصغير، ظننت أنني أحببت ولم اعرف معنى الحب قبلك.

نظرت إليه باستغراب وخجل في الوقت ذاته، ففتنته ملامحها البريئة التي زادتها حمرة خديها جمالاً، فقالت بهمس: ما الذي تقوله يا سامي.

نظر إليها وعيناه تشuan حباً:

لم أقل شيئاً سوى الحقيقة.

أدارت رأسها نحو الشجرة باستحياء وقالت متحاشية نظراته: رجاء لا تخجلني
أكثر، هذا ليس وقته.

وضع يديه على وجهها وأداره نحوه قائلاً: إذن متى وقته! أخبريني وأطفئي
النار التي بداخلي، فقلبي لم يعد يحتمل!

لم ترد عليه، وساد الصمت في الأجواء لدقائق غاصت فيها قدس في دوامة
من الشرود وهي تتظر إلى المارة الذين بدوا في غاية السعادة، حتى قال لها
بنبرة حنونة: ما بك حلوتي؟ أخبريني ما الذي يشغل بالك؟

استفاقت من شرودها ثم أجبته بنبرة يائسة: رجاء لا تشغلي بالك، أنا بخير
حال.

لا تخفي عنّي شيئاً يا قدس! أعرف ملامحك جيداً عندما تكونين حزينة.

لا تهتم.

رد عليها بنبرة رجاء: لا تخفي عنّي ما يؤلمك، ألم نتفق أن نكون سنداً
لبعضنا بعضاً ونتجاوز أحزاننا معًا؟!

هذا صحيح، لكن...

قاطعها بنبرة قاسية: لا يوجد لكن! أنت الآن تخفين عنّي شيئاً يثقل كاهلك،
وهذا يجعلني حزيناً حد الموت.

نظرت إلى عينيه ثم ردت بنبرة يملأها الأسى: لا تزال جدتي مريضة وحالتها
تزداد تدهوراً شيئاً فشيئاً.

صمنت قليلاً وهي تنتهد بحزن ثم أكملت: خائفة من خسارتها، هي كل ما تبقى من عائلتي، سأموت إن حدث لها مكروره يا سامي.

لا تقولي هذا، استجمعي قوتك وتفاءلي خيراً، ماذَا أفعل كي أساعدك، طلبت منك أخذ الشيك الذي حررته لكما سابقاً حتى تعالج به، لكنك عنيدة.

ردت متأففة: إن كانت لي مكانة صغيرة في قلبك، أغلق هذا الموضوع رجاءً، فأنت تعلم أنني لا أقبل أخذ النقود من أحد!

من أحد؟!

شعر سامي بالغضب، ثم قام من مقعده قائلاً بنبرة خشنة متتحنحة:

تأخر الوقت، انهضي لنذهب.

قامت من مقعدها وهي تتبعه، بينما كان يمشي أمامها بخطوتين أو ثلاثة حتى غادر الحديقة، فتح باب السيارة دون أن ينبع ببنـت شفة فصعدت وراقبته بعينيها من مرآة السيارة حتى صعد هو الآخر، ووضع يديه على مقدـد السيارة فوضعت يدها فوقهما وقالت بنبرة متأسفة:

لاتفعل هذا! لم يكن قصدي بإبعاد السعادة عنك.

сад الصمت بينهما حتى رمقته بابتسامة أطفأت نار غضبه ليفاجئها بقلة حارة على وجنتها كادت تلامس شفتيها! هالتها جرأته وتتجاهله التام لمبدأ الحذر! فقالت له وهي تعـرض شفتيها من الخجل: أعلم أنك غاضب مني، لكن هذا لا يعطيك الحق في فعل ما يحلول لك !!

ضحك متناسياً غضبه دون أن يرد عليها، وتركها تغوص عميقاً في خجلها
الذي جعلها محمرة الخدين والجسد.

نزلت تانيا من سيارة الأجرة، ثم وقفت أمام الباب الكبير لمركز "سيدي مجاهد"، ذلك المركز الذي ترعرعت فيه عندما كانت صغيرة، منتظرة من أحدهم أن يفتح الباب لها بعدها قرعت الجرس، فإذا برجل كبير السن يفتح الباب بكامل قوته من شدة حجمه الكبير مما جعله يشهق تعيناً وتقدمت خطوتين للداخل فرحب بها قائلاً: أهلا بك، كيف يمكنني مساعدتك؟

أجابته تانيا بلطف قائلة:

أهلا سيدي هل السيدة "سهيلا العربي بوعمران" هنا؟

أنزل رأسه إلى الأسفل من دون أن يجيبها فاستغربت من تصرفه، فقالت له مرة أخرى: هل أخذت إجازة؟

صمتت قليلاً وهي تنظر إليه بحيرة من دون أن يجيبها، ثم أكملت متهددة: إن لم تكن موجودة اليوم فهل بإمكانك إخباري بالأيام التي تعمل بها؟

رفع رأسه وهو ينظر مباشرة إلى عينيها نظرة أسى، ثم قال بنبرة هامسة:
أعتذر يا بنبيتي، لقد توفيت سهيلا منذ شهر.

قالت بتلعم: كيف! كيف حدث هذا؟!

أصابها مرض خطير لكنها لم تعلم بوجوده إلا في أيامها الأخيرة.

انهارت تانياً وهي تتمسّك بالحاطئ كي لا تقع أرضاً، فامسك بها وحزن على نظرة الأسى واليأس التي بدت عليها فقال موسى: إن كان هنا يواسيك فاعلمي أنها لم تتألم أبداً، بل ماتت سعيدة كما كانت دائماً، إنا لِهُ وإنا إلَيْهِ راجعون.

استمرت تانياً بالبكاء بحرقة، وكأن جميع من تمنى موته يبقى حياً وكأن والدها البيولوجي يقول لها أنا خالد كي يستمر شري بالنمو، وكل من تمنى لهم الخلود يرحلون باكرًا!

"يا رباه هنا اختبار قاس، تبكيت مرتين واحترق قلبي مليون مرة!"

نالوها كأساً من الماء البارد وهو يقول محاولاً تهدتها: لا تفعلي هذا بنفسك يا ابنتي، استغفرى الله فهو فهد سنته الحياة.

سألته بنبرة مرتجلة مكسورة: أين دفنت؟

دفنت في مقبرة قرية من هنا اسمها "سيدي شريف" أمام شجرة اللوز ذات الأغصان الكبيرة.

خرجت تانياً مسرعة نحو سيارة الأجراة التي كانت بانتظارها، فقد أعادها السائق للمقبرة، عند وصولها لم تر هنف نفسها بالبحث كثيراً لأن شجرة اللوز كانت بالقرب من مدخلها مما جعل إيجاد قبر "سهيلة" بسيهولة.

جلست المسكينة بالقرب منها وراحت تبكي متحسسة تراب قبرها، فقد تحطم قلبها مجدداً وتبعثر إلى أشلاء، ولم تقو على منع دموعها من النزول.

درستُ واجتهدت كي أجعلك تفتخررين بي حاولت القديوم اليك، فكترت فيك يومياً، كل ليلة قبل أن أخلد إلى النوم وفي كل مرة قلت فيها كلمة أمي كنت

تخترين ببالي، على الرغم من السنوات التي مرت إلا أنني ما زلت أتذكر
عناقك الدافع، وقصصك التي تؤنس وحدتي. سلمتني بنفسك إلى عائلة
اعتنت بي، وربتني كفرد منها، لكنها تركتني بعدما تعلقت بها أشد التعلق، وهذا
أنتِ ذا فعلت الشيء ذاته، بعدما كنت الجزء الوحيد المتبقى من طفولتي.

بينما كانت قدس تنظف الأرضية اهتز هاتفها فجافت يديها بمئزرها ثم أخرجته
لتكتشف أن جدتها هي المتصلة، عندها دب الذعر في قلبها:

الو، ماذا هناك يا جدتي؟ هل حدث شيء؟! هل أنت بخير؟

ردت جدتها مقهقة: لا يا بنتي، لا تقلقيني، أردت إعلامك أن ضيقاً مميراً عندنا.

استغربت قدس بحيرة مما قالته وردت عليها: ماذا تقولين؟ لم افهم شيئاً!

صمنت الجدة ولم تجب فازدادت حيرتها وراحت تقول: الـلو جدتي، هل
تسمعيني.

لم أثر مثيلاً للطفل جدتك يا أميرتي.

ذهبت قدس من سمعها صوت سامي فألقعت المنشفة أرضاً ثم قالت دهشة:
سامي؟! ما الذي تفعله عندك؟؟

اشتقت لجدتي وأتيت زائرًا لها ما شأنك أنتِ؟

لأنّي معك يا سامي، أنا أتحدث بجدية!

ردت جدتها قائلة:

لماذا لم تجعليني أتشرف بمعرفته من قبل يا بنبي؟! إنه شخص ممتع للغاية.

زفرت قدس بقوه ثم قالت بنبرة جادة: هل تمزحين يا جدتي أعطه الهاتف
رجاء، أريد أن أقول له شيئاً.

لم تكمل كلامها حتى أقفل الخط بوجهها، فأغضبتها ذلك وتركت كل ما بيدها
وهرولت إلى البيت.

دخلت تانيا إلى غرفة والدها مكسورة القلب، ألت جسدها المرهق على سريرها واستمرت بالنظر إلى السقف فترة طويلة، ثم قالت بينها وبين نفسها بصوت يرتجف، أصبحت وحيدة من جديد في عالم عميق وموحش، خوف كبير يسيطر على قلبي، أيعقل أن يكون طريق الألم طويلاً هكذا؟ حينما أقول إنه لم يتبق شيء لأتألم عليه، أجد نفسي في حفرة كبيرة من الأشياء التي تزيد من قتلي مراراً.

تراكمت عليها الأحزان ولم يتبق لها شيئاً سوى التفكير في خطوطها القادمة لتنفيذ خطتها الانتقامية، فقد دهمها الكثير من الوقت، أخذتها رائحة عطر والدها إلى الذكريات فاغرورقت عيناهما بالدموع، وانهارت متعبة من كل شيء. أمسكت بالهاتف واتصلت بملجئها وهي في حالة منهارة بأتم معنى الكلمة.

أنا بحاجة ماسة إليك.

رد عليها بصوت مرتعد: ما الخطب يا سيكادا! ماذا حل بك؟!

أشعر بأني سأموت، لماذا كل الذين أحببتهم رحلوا؟ أشعر وكأنني لعنة تصيب كل من يعرفها بالموت!

اهدئي رجاء واحكي لي ماذا حصل؟

هل تعلم ربما حبيبتك السابقة..

أكملت وهي ترتجف من البكاء:

أقصد زينة لم تنتحر لأنها أنانية ولم تفكربك بل على العكس، لقد انتحرت لأنها فكرت بك كثيراً. فكرت في كيفية إكمال حياتها وأنت تنظر إليها نظرة العاهرة التي رأى الجميع جسدها عارياً، لذلك انتحرت لقد أرهقها التفكير.

صمنت قليلاً ثم أضافت:

وأنا الآن أفكر كثيراً ياكازا، صدقني كثيراً! أعلم أنني وزينة لا تتشابه في شيء، ولكنني أعلم أنها قد وجدت حلاً يريحها وأنا أريد أن أرتاح بشدة، صدقني....

فاطعها كازانوفا وهو يصرخ بأعلى صوته المرتجف: إياك!! هل تسمعين إياكِ فعلها!

انفجر باكياً وأخذ يشهق كطفل صغير وهو يقول: زينة تلك! لا يوجد مبرر لفعلتها لقد حولت حياتي إلى جحيم بعدما تركتني أصارع شياطيني وحدني، أتعلمين كم صارت الوساوس التي أخبرتني مراها وتكراراً بأن أقتل نفسي! لقد

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

كان ذلك قاسيًا يا سندريلا، قاسيًا جدًا! لن أسمح لك بأن تجعليني أعيش
الأمور ذاتها مرة أخرى هل تسمعين؟ لن أسمح بذلك!

ردت عليه بصوت مخنوق يكاد يكون غير مفهوم: لكن الألم لا يتحمل يا كاز،
يكاد يقتلني!

اسمعني جيدًا، زينة لم تلتجأ إلى لوفعلت لما حدث أهي من ذاك الذي حدث!
ولكنك فعلت ولن أنتركك مهما حدث، أعدك!

ردت بنبرة مكسورة: من حُسن الحظ أني عرفتك.

هيا انهضي لتغتسلي واشربي قليلا من الماء كي تهدئي، ولا تقفلين الخط، ابقي
معي!

فعلت تانيلا ما أمرها به ثم عادت مكانها أفضل مما كانت عليه.

شكراً لوجودك يا كاز.

احكي لي الآن ما بك؟

حكت له تانيلا عن كل ما في قلبها وليس عن سهلة فحسب، وظل مستمعاً
لأنق التفاصيل التي حكتها.

لا تواصيني فأنا أكره الموسعة.

لا أفعل! أعلمكم أن قوية أيتها الحمقاء.

لست حمقاء.

من يفكر في الرحيل وترك شخص مثلي هو أحمق!

ضحكـت ضحـكة خـفـيفة ثـم قـال لـهـا:

أتعلـمين شـيـئـاً! أـريد اـحتـضـانـك وـانتـشـالـك مـن أحـزانـك لأنـك لا تستـحقـينـها.

تنـهـدت بـعـطـفـ ثم قـالـتـ: وهـل يـوجـدـ من يـسـتـحقـ أنـيـيـ حـزـنـ.

نعم بالـتأـكـيدـ! يـوجـدـ الـكـثـيرـ مـمـن يـسـتـحقـونـ أنـيـيـ حـزـنـواـ.

صـمـتـ فـلـيـلاـ ثـمـ أـضـافـ: رـجـاءـ عـدـيـنيـ أـلاـ تـرـكـيـنيـ.

لـأـسـتـطـيعـ، فالـوعـودـ الزـائـفـةـ تـلـتـهـمـ الأـرـوـاحـ الصـادـقـةـ، لـأـرـيدـ أـنـ عـطـيـكـ وـعـداـ
زـائـفـاـ لأنـ رـوحـكـ صـادـقـةـ ياـ كـازـ.

دخلـتـ قدـسـ إـلـىـ المـنـزـلـ فـوـجـدـتـ جـدـتهاـ جـالـسـةـ عـلـىـ كـرـسيـهاـ المـتـحـركـ وـهـيـ
تـشـاهـدـ التـلـفـازـ فـيـ غـرـفـةـ الـمـعـيـشـةـ، فـتـوـجـهـتـ إـلـيـهاـ وـقـبـلـتهاـ وـهـيـ تـقـولـ: أـوـهـ كـمـ
اشـتـقـتـ لـرـأـيـتكـ الطـيـبـةـ يـاـ جـدـتيـ الـحـبـيـبـةـ.

ابـتـسـمـتـ الجـدـةـ وـقـالـتـ مـشـيرـةـ بـعـصـاـهـاـ نـحـوـ الـأـرـيـكـةـ: قـبـلـ أـنـ تـقـومـيـ بـتـغـيـيرـ
مـلـابـسـكـ، اـجـلـسـيـ قـلـيـلاـ فـهـنـاكـ ماـ أـرـغـبـ فـيـ قـوـلـهـ لـكـ.

ارـتـبـكـتـ قدـسـ لـأـنـهـ تـعـرـفـ بـالـأـسـاسـ الشـيـءـ الـذـيـ تـرـيدـ التـحدـثـ بـشـأنـهـ، ثـمـ جـلـستـ
فـوـقـ الـأـرـيـكـةـ قـائـلـةـ: هـاـ خـيـرـ يـاـ سـيـدـةـ "يـاسـمـينـ" أـسـمـاعـكـ.

المـدـعـوـ سـامـيـ أـخـبـرـنـيـ أـنـهـ رـئـيـسـكـ فـيـ الـعـمـلـ هـلـ هـذـاـ صـحـيـحـ؟

ارتعبت قدس من أن يكون سامي قد أخبرها عن طبيعة عملها، ثم قالت لها وهي تبلغ ريقها: أجل هذا صحيح لماذا تسألين؟ ماذا قال لك؟؟؟

إنه حقا ابن عائلة محترمة، وشخص أصيل ومتزن...

فاطعتها قدس بغيظ التقيّت به نصف يوم وتقولين كل هذه الأشياء الجميلة عنه، وأنا التي عشت معك عمري كله لم تقولي عنِي كلمات كهند، لقد غرت!

قالت لها الجدة وهي تضحك وتهز رأسها: كفالك مزاًحاً، فانت تعلمين كم قيمتك عندي، لكنني لم أتعرف في حياتي كلها على شخص عرفني لنصف يوم وقام بمساعدتي بقدر ما ساعدناي به سامي.

قالت قدس باستغراب: ما الذي تقصدينه يا جدتي؟ صحيح لماذا أتى سامي إلى هنا من الأساس؟؟؟

ردت عليها الجدة وهي تهز أكتافها فاصدة بذلك جهلها لسؤالها:

والله لا اعلم لكنه قرر إرسالي إلى أفضل مستشفى من مستشفيات العالم، حيث قال إنه يوجد به أفضل الأطباء في العالم، وهو خارج البلد.

قفزت قدس واقفة ثم ردت عليها بنبرة غاضبة: لا تقولي إنه أعطاك النقود واستلمتها منه!!

هزت الجدة رأسها بالنفي قائلة:

عرض علي مبلغاً كبيراً من المال، لكنك تعرفيين طبعي لم أوفق عليه بالتأكد، لهذا قرر إرسالي إلى المشفى وقام بدفع تكاليف العلاج بنفسه بمكالمة هاتفية

..... صمت سيكادا عائشة بشارب

فقط، وأيضاً قد أخذ جواز سفر بالفعل كي يقوم بإجراءات السفر
المستعجلة و..

صمنت الجدة قليلاً وهي تنظر إلى قدس بحسرة، ثم أكملت: وسأسافر غداً إن
كنا من الأحياء.

اتسعت عينها وردت عليها بالنفي قائلة: لا! مستحيل يا جدتي!! لن أرسلك
خارج البلاد وحدك وأيضاً..

قاطعتها الجدة: أهدئي، لا تقلقي، لن أسافر وحدي لأنه عين مرفاقته خاصة
للاعتناء بي طيلة فترة العلاج.

اقتربت من جدتها ثم أمسكت بيدها وهي تقول بنبرة حزينة: إِذَا ستدْهُبَيْنَ
وَتَنْرَكِيْنِي وَحْدَيْ؟

ابتسمت الجدة ثم قالت لها وهي تضع يدها على خد قدس: لن أترككِ وحدكِ يا
حبيبي.

ابتسمت بمكر ثم أضافت: السيد سامي معك!

فردت قدس بنبرة معاشرة:

جدتي!

هيا، كفاك ثرثرة انهضي لإعداد العشاء فجئتك جائعة!

ابتسمت قدس ثم انحنى لها وقالت:

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

سمعاً وطاعة جلالة الملكة.

أحضرت قدس العشاء وجهزت حقيبة السفر ثم توجهت إلى غرفتها وتأكدت من إغلاق الباب جيداً كي لا تسمعها، وهي تتحدث عبر الهاتف، ثم اتصلت بسامي.

الو مرحبا.

أهلاً أهلاً، كيف حالك أميرتي؟

تلقت قدس ثم ردت فائلة: وبخير حال الحمد لله، أردت أنأشكرك على مساعدتك لجذتي، ولذلك لم تخبرها بخصوص عملي في التنظيف لأنني وبصراحة لم أخبرها بذلك بعد.

من فضلك لا تشكريني، لأنني لم أساعد جدتك بل ساعدت جذتي.

ضحكـت من كلامـه ثم أضافـ:

بالنسبة لعملـك لا يوجد ما يـدعـوـلـلـخـجلـ بشـأنـهـ فـحتـىـ سـنـدـرـيلـاـ كانتـ تـنظـفـ منـزلـ زـوـجـةـ أـبـيـهـاـ، وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـ هـذـاـ الشـبـهـ لـيـسـ مـطـابـقـاـ تـامـاـ إـلـاـ أـنـهـ ..
حسـناـ هـرـبـتـ مـنـ الـكـلـمـاتـ وـلـأـعـرـفـ مـاـ أـقـولـ!

راحـاـ يـضـحـكـانـ ثـمـ قـالـتـ لـهـ: أـنـتـ حـقاـ جـديـرـ بـالـثـقةـ.

رمـتـ نـفـسـهـ عـلـىـ سـرـيرـهـ وـهـيـ تـلـعـبـ بـخـصـلـاتـ شـعـرـهـ الـحرـيرـيـ بـيـنـماـ تـحـادـثـهـ.

بـالـمـنـاسـبـةـ أـوـدـ أـنـ أـشـكـرـكـ أـيـضاـ عـلـىـ نـزـهـةـ الـيـوـمـ، فـقـدـ جـعـلـتـيـ سـعـيـدةـ جـداـ.

تنهد قائلًا: سعادتي كانت أكبر، فنظراتك الحنونة أدخلت الدفء إلى قلبي
خصوصاً يدك الحانية عندما أمسكت بيدي، تمنيت لو دامت تلك اللحظة
إلى ما لا نهاية.

خجلت قدس من حديثه ثم ضحكت معه حتى قال: قد أدفع نصف عمري، بل
عمري كله مقابل ضحكتك الجميلة التي أجدها من أروع المعزوفات الفنية.

ضحكت مرة أخرى قائلة: لا تبالغ!

"يا له من شهم ورومانسي !!" هذا أول ما قالته تانيا لقدس بعدهما روت لها
أحداث اليوم الماضي.

بالفعل هو كذلك، وعلى الرغم من كل ما فعله فقد رافق جدتي للمطار، أردت
مرافقتها أيضاً لكنها أصرت على أن تودعني بالمنزل.

لا تقلقي عليها، فهي الآن بين أيدي أمينة.

ابتسمت قدس براحة ثم قالت: فعلاً أنت محققة !

ارتسمت نظرات الحزن على تانيا وقالت: هل ما زلت مصرة على قرارك؟

هذت رأسها بالموافقة قائلة:

أجل، فلم يعد هناك داع لجني المال.

أعلم أننا سنلتقي، لكن مع ذلك سأشتاق لوجودك الذي كان يؤنسني.

ردت قدس وهي تعانقها:

يا الله كم أكره لحظات الوداع! لا تودعني أرجوك لأننا سنتقى دائمًا، وسأتأتي
لأزورك هنا أيضًا ويمكننا محادثة بعضنا بعضاً على الهاتف في أي وقت
تشائين.

خرجت قدس من باب المطعم وهي تحمل حاجياتها بين يديها، حتى التقت
بسامي قادماً نحوها بحماس واضح: أميرتي عدت قبل قليل من المطار، أردت
أن أطمئنك إلى أن جدتنا قد طارت وستحصل عند وصولها.

ابتسمت قدس بفرحة حتى أضاف قائلاً باستغراب: ما هذا الذي بين يديك؟
إلى أين؟

أجابته وهي تنظر إلى حاجياتها وإليه: بما أنّ جدتي قد ذهبت ل تعالج فلم
يُعد هناك داعٍ كي أعمل بالتنظيف.

إذا هل تستقبلين؟

لقد استقلت بالفعل!

شد سامي للحظات حتى خطرت له فكرة وقال: إذن ما رأيك لو تعملين
لدي!!

لا تمنح سامي.

لأن منح بل لم أكن بهذه الجدية في حياتي من قبل !! يمكنك العمل موظفة
استقبال خاصة بي، وبهذا يمكننا رؤية بعضنا بعضًا يوميًّا.

لم يعطها الفرصة للتفكير حتى جثا على ركبتيه ثم تناول يدها وقبلها بكل حب،
شعرت بالخجل الشديد ثم قالت: مازاً تفعل يا مجنون الجميع ينظر إلينا !

لا يهمني أحد غيرك، إن لم توافقني على طلبي فسأقوم بحملك وأصرخ عالًّيا
بأنك أميرتي التي أحبها !!

لم تستطع كتم ضحكها التي دهمتها بعد رؤيتها تعابير وجهه فضحتك قائلة:
أعلم أنك مجنون وتفعلها !!

إذن وافقني رجاء!

حسناً أنا موافقة سيد سامي.

حَمَّا هَلْ أَنْتَ جَدِيدٌ؟!

هزلت رأسها بالموافقة، فحملها بين ذراعيه وراحت تحثه على أن ينزلها لكنه
لم يأبه لكلامها وراح يصرخ قائلًا: أنت رائعة !!

صعدت تانيا إلى الطابق الذي يتواصله مكتب جميل، وبيدها المنشفة والدلو
للتنظيف وراحت تمشي بخطوات حريرة كي لا تثير انتباھ الموظفين، ثم
راحت تنظف الرواق المجاور للمكتب حتى لا تراها الموظفة، بعدها مررت
ربع ساعة همت الموظفة بالمعاذرة بعد أن أتتها اتصال هاتفي، ففرحت تانيا
أشد فرحة وراحت تراقب المكان بحرص متقدمة بخطوات بطئية نحو المكتب

وصدرها يعلو ويهبط حتى وصلت إلى الباب ووضعت يدها على مقبضه، ثم استجمعت شجاعتها وانحنت قليلاً لترى من فجوة المفتاح إن كان جميل بالداخل، سينتهي كل شيء!

أين أنت أنها الوغد!!

شهقت تانيا مصدومة بعدها سمعت صوت صراخ يقترب منها، فهرعت تجري للاختباء في المكتب المجاور، وفي غضون ثوان ظهر صاحب الصوت أمامها، لقد كان "حمزة" المتحرش النذل الذي قامت بسجنه!! كان يحمل بيده سلاحاً ويسرخ بكل قوته مهدداً ومتوعداً: جميل اخرج أنها الحقير وقابلني!!

لم تمر دقائق حتى امتلا الرواق بالموظفين لكن لم يجرؤ أحد على الاقتراب منه، وبعد برهة قصيرة فتح الباب، وخرج جميل مرتعباً من مكتبه وجسده يرتعد وزاد ارتجافه بعدها رأى المسدس مصوبياً نحو رأسه، فابتلع ريقه دون أن ينبع ببنت شفة: لقد أخذت مني سمعتي! وخسرت حياتي بسببك أنها الحقير!!

بات "حمزة" يبكي وازداد صوته ارتفاعاً، وعند ذلك انضم ثلاثة من الحراس وكان واحد منهم مسلحاً، أما الاثنان فبديا بعضاطهما الضخمة وكأنهما ليسا بحاجة إلى أي سلاح.

"حان الوقت فقد أصبح الموت من نصيبك أنها الحثالة".

قال هذه الكلمات وضغط على الزناد وانطلق الرصاص في الأجواء، وما سمعته يمكنني القول إنها كانت ثلاث رصاصات، انتهت خطني التي اجتهدت في تنفيذها وسرق حمزة الحقير انتقامي مني وقتلها!

هذا كل ما خطر بيالي وقتها، لكن الحظ قد حالف جميل فأحد الحراس تمكّن من حمايته ونافى الرصاصة مكانه وأطلق هو الآخر رصاصتين على حمزة المسكين الذي استحق أربع رصاصات!

كان الحراس سريعاً لدرجة نجح فيها بإنقاذ جميل، لكن المؤسف أن الرصاصة اخترقت صدره ولم تمهله سوى دقيقة ليسقط على الأرض مستسلماً، مما أثار ذهول زميله الذي صرخ بأعلى صوته: خالد! نادوا الإسعاف أسرعوا!

كانت الفوضى سريعة جعلت الدهشة تخيم على الحاضرين بالأخص جميل، انحني "علاء" نحو صديقه المصاب وراح يبحث عن مكان الرصاصة كي يوقف النزيف، لكن أصابته الدهشة عندما لم يجد أي دماء! حينها فتح خالد عينيه ببطء ليلمح تانياولا واقفة خلف الموظفين تنظر إليه بدهشة مترجمة، فابتسم لصديقه وبجهد كبير كشف عن قميصه لتظهر الدرع الواقية من الرصاص ثم قال مطمئناً صديقه: أنا بخير لا تقلق.

نهض خالد بصعوبة من على الأرض فقد ألمته الرصاصة بشدة فالدرع الواقية تمنع اختراق الرصاص لكنها لا تحمي الجسد من قوة الصدمة، استند إلى كف صديقه نحو جميل مطمئناً عليه، فقام باحتضانه وشكّره شكرًا كثيراً.

توجه خالد لمركز الشرطة وقدم أقواله التي أضيفت إلى قضية حمزة، أكمل عمله، واستأند رئيسه للمغادرة، فوافق دون تردد بعدما نظر إليه بفخر.

فتحت تانياولا الدش وراحت تستقبل قطرات الماء بتنهيدة مريحة، كانت صورتها العارية تتحرك على المرأة بساقيها الرشيقيتين التي تنتهي باستدارة

مغربية تهتز مع كل حركة، تفجرت المياه الساخنة وهي تنفس بخارها الكثيف بقوة فغطى الماء جسدها الناعم، وقد تهدل شعرها على وجهها، ونزل على صدرها وانزلق على ظهرها بنعومة، كان الحمام بجدرانه المضلعة قد امتألاً بالبخار تماماً حتى اختفت معه المرأة الطويلة، ساعتها المياه الدافئة في انتشار همومها ومحو الأحداث التي جرت معها اليوم.

ارتدى ملابسها بعد الانتهاء من الاستحمام ثم جففت شعرها وسرحته بنعومة، ثم ذهبت لتشاهد مسلسلها المفضل لكنها لم تستمتع به كالمعتاد، بسبب اقتحام أفكار الانتقام رأسها.

القى خالد جسده المتعب على فراشه وأغمض عينيه، لكنه لم يستطع النوم وسط النهار، تناول هاتفه من فوق الطاولة ثم راح يتصل بتلك الغريبة التي أعادت النبض إلى قلبه.

فاجأها رنين الهاتف بسبب الاتصال الذي أتتها من كازانوفا فرددت عليه مسرعة دون تردد وكانت أولى كلماته: شتقت إليك.

تنهدت تانيا بشكل أريحية بعد سماعها صوته، ثم أغلاقت عينيها وراح تنفس بهدوء، ابتسمت في صمت، فهي تزداد المزيد من كلامه المعسول حتى قال لها: ما خطب قلبي! هل هو حزين يا ترى؟

ضحك تانيا وهزت رأسها مجيبة:

لا، لست حزينة، أنا منهكة فقط.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب

مممممممم، متشاربهان حتى في أوقات تعينا!

ممممم، أجل!

أسند رأسه بذراعه وهو مبتسمًا، ثم قال لها بهمسة: ما رأيك في أن تقومي بتديليك جسدي يا تؤمي؟

ردت عليه بسخرية: وكيف سأفعل هذا يا سيد كاز؟ عبرالبلوتوث مثلًا؟!

ضحك ثم قال: أنت دائمًا ما تبعثنين الراحة داخل روحي.

فقالت بنبرة ودودة: لا أعلم كيف حدث هذا يا كاز للكنك أصبحت مصدر قوتي.

أغضض عينيه، ثم اعتلت بسمة عريضة وجهه، ورد بصوته الحنون قائلًا: اسمعني.

تهدت ثم ردت: تفضل؟

ماذا يسمى وضعنا؟

ردت باستغراب على سؤاله:

ماذا تقصد؟

ماذا تسمى علاقتنا؟ هل نحن أصدقاء أم ماذ؟

ابتسمت بخجل ثم قالت: ربما أكثر من أصدقاء بقليل.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

هل هذا يعني أنك أصحت ثقيني؟

هذت رأسها بالموافقة وقالت: نعم.

ثم أضافت: سمع!

أنا أسمعك بقلبي قبل أذني، تفضل.

أردت أن أطلعك على سرلم أخبر به أحد من قبل، كي تتأكد من ثقتي بك.

إن كنت ستشعرين بالندم بعدما تخبريني به فلا تتبعي نفسك.

لماذا تقول هذا؟ هل ستفعل شيئا يجعلنيأشعر بالندم على ثقتي بك؟

رد عليها بجدية: ما الذي تقولينه أجنت!! أنت لا تعلمين بعد كم مكانتك
كبيرة في قلبي!

حسناً، إذن افتح أذنيك وأصفع إلى ما سأقوله جيداً.

تنهدت ثم أكملت فائلاً: سأنتقم انتقاماً مدوياً ستكون آثاره كبيرة على الكثير
من الناس.

رد عليها بنبرة حادة: تمزحين أليس كذلك!!

أحس خالد بجدية الموضوع ثم نهض من مكانه وأغلق باب غرفته بإحكام
وعاد إلى مكانه وقال بهمس: حسناً، أخبريني هل أطلعت أحداً غيري على هذا
السر؟؟

..... صمت سيكادا عائشة بوشارب

لام أفعل.

تنهد براحة كبيرة وراح يقول:

إياك أن تخبرني أحدا عنه.

صمت قليلا ثم تألف وأضاف: أنت حقاً مجنونة!

ردت عليه بلا مبالاة: أجل أعلم وهذا كله لا يهمني.

فاطعها وهو يصرخ قائلا:

أنا يهمني!! افهمي هذا جيدا، لن أتحمل أن يمسك الضرب.

تألف وزفر قوياً مضيقاً:

لاأفهم لماذا تكرهين نفسك إلى هذا الحد؟ لما تستهينين بها هكذا!! أنت
ظالمة لنفسك ولن اسمح لك بمعاملتها بهذا الإهمال مرة أخرى! هل
تسمعييني!!

ابتسمت مستمتعة بخوفه عليها فقال معتذراً بعدما لم يتلق أي رد منها:

لم تصمتين؟ أعتذر إن ضياءيك صرافي، لكنني أصبحت أخاف عليك افهمي
هذا أرجوك!

ردت تانيا بهدوء بارد: لم أتضيئ منك وقد سعدت حجاً بخوفك علي.

تقدمت تانيا نحو الطاولة المجاورة لسريرها وفتحت أحد دراجها، أخرجت
منه قرصاً مضغوطاً وتوجهت نحو حاسوبها، لنقل "تروجان" من حاسوبها

..... صمت سیکادا عائشة بوشارب

إلى القرص، بعدما انتهت من عملية التحويل قامت بتخبيته في حقيبة يدها بحرصٍ مع ابتسامة ماكراً مرسمة على وجهها.

ذهب سامي ليطلع قدس على كيفية سير العمل كموظفة استقبال خاصة به، وأخذ يرشدها ببعض خطوات.

عندما يرن الهاتف ويكون المُتصل شخصاً مهماً، أو شخصاً قد أكون بانتظاره حولي المكالمة إلى مكتبي عبر الضغط على الزر الأخضر، وإذا اتصل أحد غير مهم فأخبريه أن لدى اجتماعاً ودوني اسمه، وإذا جلب أحد الموظفين ملفات مهمة انسخيها وأعطيها رقمًا واسماً وصنفيه في الملف المناسب، ثم دوني هذه البيانات على ملف "الكلمات" في الحاسوب ليسهل عليك استخراج البيانات عبر الاسم أو التاريخ.

استمرت بهز رأسها بالموافقة ثم قالت له: حسناً سيد سامي لقد فهمت
أوامرك.

نظر الى عينها نظرة حب مما جعلها تشعر بالخجل ثم تنهد قائلاً:

أعاني الله، لا أدرى كيف سأتمكن من التركيز في العمل وأنت بجانبي، فدون إرادة مني أجد عيناي تهربان لتخفي في ملامحك البريئة.

ابتسمت قدس بخجل ثم قالت معاشرة: سامي !!

قلب سامی

ضحك ثم قالت بندلل: كفه!

من الوقت وحلّ الظلام وغادرت الشركة معًا متوجهين إلى منزلها، فعناده لم يفلح في إقناعه بتركها تعود وحيدة إلى المنزل في هذا الوقت المتأخر من الليل.

وضع سامي يده فوق شعرها وراح يتحسسه قائلًا: انتظريني هنا فقد نفذ البنزين سأقوم بملئه وأعود بسرعة، لا تقلقي لن أتأخر.

اكتفت بهز رأسها بالموافقة بابتسامة ودودة، لم تمر عشر دقائق حتى عاد سامي وببيده الكثير من الأكياس التي كانت تحتوي بداخلها الكثير من الشوكولاتة، والكعك، ورقائق الشيبس، بالإضافة إلى المشروبات الغازية، قدمها لقدس فسألته بعد ما رأت ما بداخلها من أشياء قائلة: ما كل هذا يا سامي؟

بما أنني أصبحت رئيسك في العمل أردت مكافأتك على إنصاتك الجيد لكل أوامرني.

ولماذا تكافئني في يومي الأول؟ فأنا لم أفعل شيئاً أكafaً عليه بعد!

فكـر بهـمـهمـة بالإـجـابة وـقـال: لأنـي كـنـت كـثـيرـاً الأـوـامـر وـكـنـتـ كـثـيرـةـ الاستـمـاعـ.

ضـحـكتـ بشـدـةـ وـهـيـ تـهـزـ رـأـسـهـاـ فـأـضـافـ قـائـلـاـ باـسـتـغـارـابـ:

ماـ الـذـيـ تـضـحـكـيـ عـلـيـهـ؟ـ أـتـحـسـبـيـنـيـ بـهـلـوانـاـ؟ـ

تعـالـتـ ضـحـكـاتـهـاـ وـرـاحـتـ تـقـولـ:ـ لـاـ سـيـديـ،ـ حـاشـاـ!

من الوقت دون أن يشعرا حتى أصبحا قريبين من المنزل، فطلبت أن يتوقف
كي لا يراها الجيران تنزل من سيارته في هذا الوقت من الليل، فطلب مرافقتها
سيراً إلى البيت حتى يطمئن عليها، أخذها يسيران تحت ضوء القمر الذي زينته
النجوم ببريقها وأخذها يستمتعان بالهواء العليل، راحت قدس تقوم بتسمية
المناطق التي في حيها وترعرع له عن حبها للمكان وهو حال من الناس، حتى
دخل حياً عتيقاً مظلماً مما جعل قلبه يخفق خوفاً لكن كبرياتها منعها من
الاعتراف بخوفها، أحس سامي بخوفها بعدما فضحتها معالم وجهها الطفولي،
ابتسم بكل حب ثم شبك أصابعه بأصابعها فجعل قلبه يهتز حباً بقوه لم يشهدها
من قبل وكان منظرهما لمن يراهما روح واحدة.

شكراً على التوصيلة الممتعة.

صمنت قليلاً وابتسمت مضيفة:

أعتذر، لو كانت جدتي هنا لدعوتكم على العشاء.

ضحك بعدها قبل يدها مجيباً:

لست مستعجلة، سأنتظر عودتها لاتي لكن..

صمت قليلاً وأضاف بابتسامة ماكرة: لكن وقتها لن آتي للعشاء، بل لشرب
القهوة.

ثم غمز لها بعينه بعدها أكمل حديثه وانصرف تاركاً إياها في حيرة لتكميل ما
بين سطور كلماته.

حل الصباح وراحت تانياً تعمل بكم بينما تنظر إلى الساعة بين الحين والآخر حتى مرت ثلاثة ساعات، بدت كأنها ثلاثة سنوات، ذهب جميع الموظفين إلى استراحة الغداء وتوجهت مسرعة إلى غرفة تغيير الملابس، فتحت حقيبتها واستخرجت قرصاً مدمجاً منها ثم خبأته داخل حمالة صدرها بحرص شديد، وغادرت المكان متوجهة إلى مكتب جميل.

كانت فرحتها لا توصف عندما لم تجد الموظفة، فقد كان المكان فارغاً كما حلمت **بالضبط!** فتحت باب المكتب بهدوء ودخلت إليه لتجد طاولة خشبية صغيرة بجانبها كرسيين للاسترخاء من النوع الفخم، وخلفهما تماماً مكتب طويل وعربيض وبراق، فوقه حاسوب محمول وبعض الملفات، وبالقرب من حامل الأقلام إطار صورة تجمعه مع امرأة شقراء، ومن خاتمتها الألماسي تيقنت أنها زوجته، أي والدة شقيقها، لكن ما أعادها إلى هدفها خزنة إلكترونية حديدية التي أثارت انتباها.

تنهدت تانياً وراحت تراقب بذهول زوايا المكان وشكرت ربها لعدم وجود كاميرات مراقبة لأن ذلك كان ليعلمه، ثم توجهت نحو الكرسي وجلست على طرفه وشغلت الحاسوب بينما راحت عينها تراقبان الباب! وبعد أن أنهى الحاسوب تحميل نظام التشغيل طالعتها شاشته تحمل صورة سامي وهو جالس قرب والدته، جعل ذلك وجهها يعبس فجأة ثم لمستها برفق وقالت بهمس حزين:

أتمنى أن تصاحبني يا شقيقتي.

تنهدت ومدت يدها نحو الزر لينفتح محرك الأقراص الضوئي، فقربت القرص ناحيته لتضعه بالداخل لكن رعشة يدها المرتجفة منعها فأغمضت عينيها برها وتنهدت مرة ثانية ثم أدخلته بنجاح، نسخت التروجان ونقلته من القرص

للحاسوب، وشطرت قفيصها لترى كم من وقت مضى على تحميله، أحسست
كأن الزمن يتباطأ حتى مرت دقيقةان وكأنهما سنتان، راحت تمسح العرق
المتصبب من جبينها بتوتر حتى اكتملت العملية بنجاح واستخرجت الفرصة
من الحاسوب، ووقفت مستعدة للمغادرة بارتياح. ارتياح قطعه صوت أنثوي
حاد جعلها تنقض في ذعر فرفعت رأسها لتجد قدس تحدق بها مذهولة!
تانيلا!! ما الذي تفعلينه عندك؟!

تحمّدت تانياً وقد اتسعت عيناهَا في دهشة صاعقة، والصدمة عقدت لسانها
وسلّلت كيانتها فلم تحرّك ساكناً، فكررت قدس سؤالها لكن هذه المرة بحدة أكثر
وصوت أعلى:

تانيلا طرحت عليك سؤالاً من فضلك أجيبيني!

غاصت تانياً في ذعرها ولم تجبها عن سؤالها أو بالأحرى لم يكن عقلها يملك
الوقت لاختلاق أذار، أطفأت شاشة الحاسوب وخافت الفرصة بحقيقةٍ ثم
همت بالهرب، أما قدس فقد كانت واقفة تتبع تحركات تانياً بنظراتها
المتشكّكة حتى فوجئناا بالباب يُفتح من الخارج، سارعت قدس نحو الباب
وأوصيَت بيدها ثم همسَت لانياً قائلةً بصوت خافت: هي بسرعة اختبئ!!

ضاقت عيناً تانياً من الفزع وراحت تبحث بعينيها عن مكان للاختباء فيه،
بينما جسدها كله يرتجف وقلبه يخفق بقوة حتى إلى أن اختبأت تحت المكتب،
أبعدت قدس يدها عن الباب فانفتح لتدخل الموظفة وعلامات الدهشة تطغى
عليها: قدس؟ ما الذي تفعلينه هنا؟

ابتلعت قدس ريقها وأجابتها واقفة بينما كانت تنظر إلى الملفات: طلب مني
سامي، السيد سامي إحضار الملفات للسيد جميل.

لكن السيد جميل لن يعود قبل المساء!

ارتبتقت قدس ولم تعرف بم تجيب! فراحت تسعل ريثما تفك في مخرج من
هذا المأزق، وأخيراً ردت:

أعلم هنا، لكن أمرني السيد سامي بترتيب بعض الملفات! هنا أمر منه!

تنفست بأريحية بعدما شعرت بأنها صدقت كذبته، وراحت تراقبها من بعيد
حتى غادرت الرواق، عادت قدس إلى الوراء وعقدت ذراعيها فوق صدرها
ثم قالت: أرجوكي، يمكنك الذهاب الآن!

خرجت تانياً من تحت المكتب وهمت بالmigration، فأمسكتها قدس من يدها
مستوقفة إياها قائلة: أريد منك شرحاً مفصلاً لما يحدث معك.

تجاهلت تانياً سؤالها مما زاد من غضب قدس، فنطقت قائلة: إذن هل تريدين
مني إخبار سامي بمارأيته؟

لم تتمكن تانياً من أن تتبع بكلمة لوهلة، وأحسست بوجهها يلتهب، وكبحت
انزعاجها ثم قالت بلا مبالاة:

أصلاً سيعرف عاجلاً أم آجلاً.

ضغطت قدس على يدها ثم قالت:

اسمعيني يا تانيا، لست أهددك بل أحارول مساعدتك لأنك صديقتي!

أحابتها قائلة بابتسمة: لقد ساعدتني بالفعل.

خرجت تانياً من المكتب مسرعة حتى صعدت إلى المصعد، فاهتز هاتفها عندما وصلتها رسالة نصية من قدس تقول فيها:

"انتظرني عند مدخل الشركة، أريد معرفة كل شيء الآن."

انتظرت تانياً حتى تبعتها قدس وجلستا على مقعد موافق للشركة، غاصت في هواجسها وراحت تتساءل: هل تستطيع إخبارها الحقيقة؟ كيف ستتصرف إن وصلت بها سامي وجميل؟ حتى قطعت قدس حبل أفكارها، وهي تلح عليها مرة أخرى على معرفة الحقيقة، وبعد أن ضيقـتـ عليهاـ الخناقـ عليهاـ بالـلاحـحـهاـ اـرـتـأـتـ أنهـ منـ الأـفـضـلـ أنـ تـخـبـرـهـاـ بالـحـقـيـقـةـ فـقـالتـ:

اجلسـيـ هـادـئـةـ وـاحـتمـليـ الصـدـمـةـ بـشـجـاعـةـ، لأنـ الـحـقـيـقـةـ التـيـ سـأـبـوحـ لـكـ بـهـاـ قـاسـيـةـ!

راحت تروي لها الحقائق وهي تبكي من يوم إلقاءها كقطعة بالية أمام مركز المرضى النفسيين، إلى أن وصلت إلى حيث تجلسان، لم تتحمل قدس تلك المعلومات الصادمة التي تلقتها دفعـةـ واحدةـ منهاـ خـصـوـصـاـ حـقـيـقـةـ أنـ سـامـيـ شـقـيقـهاـ، لمـ تـتـحـمـلـ وـتـنـقـفـتـ دـمـوعـهاـ فـجـأـةـ فـقـالتـ لهاـ تـانـيـلاـ بـعـدـماـ أـنـهـتـ كـلـامـهـاـ: يا قدس، الحقيقة لم تكن حلوة يوماً، ولو كانت حلوة لما أخفيت عن الناس وليس هناك مفر من قبولها.

اقتربت منها وعانقتها مرتجفة بارتباك، ثم قالت وهي تمسح دموعها بنبرة حزينة كالذبيحة:

لـمـاـذـاـ لمـ تـصـارـحـيـ سـامـيـ بـالـحـقـيـقـةـ؟

ردت عليها مظيرة شيئاً من التماسك: هل تقصدين حقيقة والده القاتل؟
وهل هناك عاقل يتقبل حقيقة كهنه؟

صمنت قليلاً وأضافت: سامي الفرد الوحيد المتبقى من عائلتي ولن أتحمل
خسارته هو الآخر.

ردت قدس وهي تهز رأسها بالنفي:

لن تخسريه يا تانيا.

ضغطت قدس على يد تانيا وقد اغرورقت عينها بالدموع لفروط تأثرها:

أنت لا تعلمين كم قلبه طيب! سيتفهمك صدقيني!

أنت محققة، قلبه طيب ولن أكون السبب في أذيه.

دخلت تانيا البيت وقلبها ينبض حماساً وكأنها ترى حلمها يتحقق، كيف لا وهي منذ أن وعث الدنيا تريد أن تصل إلى جميل! وها هي اليوم تقدمت أكثر إلى حلمها. أسرعت إلى حاسوبها وبريق الانتقام يطغى على عينيها الذابلتين المرهقتين، دخلت مسرعة إلى نظام "الكالي" في نيتها التجسس على جهاز جميل بعد أن غرست تروجان فيه، لكنها تذكرت فجأة كلام الموظفة التي قالت لقدس إنه لن يعود قبل المساء، فأخذت نفسها عميقاً وقالت في سرها: كيف نسيت هذا!!

ثم ابتسمت وأضافت: لا بأس لن يضرني انتظار بعض ساعات فقد انتظرت
وقتاً طويلاً.

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

غيرة ملابسها ثم تسللت إلى المطبخ لتسكت معدتها، أحضرت الطعام إلى سريرها كي ترتاح وتزيل إرهاق يومها الشاق، ليأتي صوت اتصال من "كازا" فنهضت مسرعة لت رد عليه وتشاركه فرحتها في تحقيق مبتغاها، الفرحة التي طالما أرادت الوصول إليها.

مرحبا يا أوسم كازا بالعالم !!

خير، لم أنت سعيدة هكذا؟

ضحك بسعادة وقالت: تحقق حلمي يا كازا، وأخيّراً تحقق!

اهدئي وأخبريني ببطء ما قصدك؟

تحمسـتـ كثـيرـاـ فـانـفـلتـ لـسانـهاـ وـراـحتـ نـقـولـ: بـقـيـتـ أـمـامـيـ خطـوـةـ قـصـيرـةـ لـتـحـطـيمـ الشـخـصـ الـذـيـ عـشـتـ بـسـبـبـهـ فـيـ الجـحـيمـ، لـقـدـ اـخـتـرـقـتـ شـرـكـتـهـ الـخـاصـةـ الـتـيـ مـنـ أـجـلـهـ فـعـلـ جـمـيعـ تـلـكـ الأـشـيـاءـ الـمـرـيـعـةـ الـتـيـ لـاـ تـغـفـرـ!

رد عليها والغضب العارم يشد عضلات وجهه:

هل أنت جادة؟ هل جنت؟ كيف تجرئين على فعل شيء كهذا!!

ما الذي تقوله يا كازا؟ هذا كان حلمي منذ وقت طويـلـ! وإنـ كـانـ تـحـقـيقـ العـدـالـةـ يـعـتـبرـ جـنـوـنـاـ، فـأـنـاـ مـجـنـونـةـ!

رجاء قولي إن هذه مزحة ثقيلة، لا تفقلديني صوابي يا سيكادا، هذا خطركـبـيرـ فهوـهـ لـيـسـ لـعـبـةـ !!

ردت تانياـلاـ بعدـماـ شـعـرـتـ بـخـوفـهـ عـلـيـهـ: لاـ تـخـفـ لـنـ يـكـشـفـ أمرـيـ ..

فاطعها قائلًا: تحفريين قبرك بيديك وتطلبين مني ألا أخاف عليك! لماذا أنت
أنانية هكذا!!

صمنت قليلاً عندما استو عبت خوفه وقلقه، فأضاف: رجاء ضعيف نفسك مكاني،
افهمي، لا أريد خسارتك! لو ألقى القبض عليك فلن يرحموك، وإن حدث ذلك
فكيف ستعيشين في زنزانة صغيرة بقية حياتك! هذا إن كنت محظوظة!

نتهت ثم قالت: لكن هذا حلمي وعلى استرجاع حق والدي وأمي رحمة الله
عليهما.

أعلم هنا، صدقيني لا يوجد أسوأ من الشعور بالظلم دون مقدرتك على
الدفاع عن نفسك أو عن تحبينهم، لكن تأكدي أن والديك لو كانوا على قيد
الحياة لما سمح لك بإلقاء نفسك في الهاوية.

ردت بحزن أعمق: لكنه حلمي.

لكني لا أريد خسارتك!

لا داعي للخوف عليّ.

فاطعها قائلًا: اسمعي!

لكنها تجاهنته وأكملت قائلة:

لأنني قوية ويمكنني الاعتماد على نفسي.

اسمعنيي رجاء!!

أخبرتك ألا تقلق علي، فكل شيء سيكون على ما يرام.

عندما رأى أنها لا تدرك كم فلقه، قال: أحبك.

لم تسمع كلمته لفط انفعالها فواصلت كلامها: لماذا لا تثق بأنه يمكن الاعتماد على؟! كما أنك قلت سابقاً إنني أناقية...

توقفت عن الكلام فجأة بعد أن استوّعت ما سمعت ...

احمر وجهها، وارتجمت يديها حتى كاد الهاتف يسقط من يدها وراح تردد في سرها "قال انه يحبني؟؟ يحبني أنا؟؟ لكن لماذا؟ هل هومجنون!"

سندريلا إلى أين هربت؟ هل ما زلت على الخط؟

أفاقها من شرودها، فأجبته بصوت تحول من الذعر والقلق إلى صوت عذب
خجل: هنا، نعم أنا هنا!

لماذا تصمتين، ألم تسمعي ما قلته؟

هاج قلبها وماج، وهربت الكلمات منها فأضاف قائلاً: هل أنت متيمة بي كما أنا متيم بك؟

تضرج وجهها خجلاً ولم تجب على سؤاله، ورأت أن أفضل شيء مناسب هو الهرب من هذا الموقف المحرج، فأقفلت الخط ورمي الهاتف فوق الطاولة لأن قبلة موقتها على وشك الانفجار، أخذت تدور داخل الغرفة ذهاباً وإياباً بينما قلبها يخفق بشدة، تصاعفت دقاته عندما تذكرت كلماته التي سحرتها فراح تلمس وجنتيها اللتين كادتا تتفجران من حمرة الخجل، ووجدت نفسها

تطرح سؤاله على نفسها، فتوقفت ساكنة دون حركة، ثم اتسعت عيناهَا وال نقطت الهاتف واتصلت به منتظرة رده، سمعها تقول بعدما رد دون مقدمات: لست أدرى إن كان حبّاً، لكن كلما تحدثت معك شعرت بالغثيان و... .

ثم توقفت عن الكلام برهة وخافت أن يكون فهم قصدها بشكل خاطئ، فأضافت بتوتر شديد:

أقصد أن قلبي يرقص فرحاً كلما سمعت صوتك، وعندما تصليني رسالة منك أجد نفسي أقرأها بلهفة كبيرة حتى إني أبتسّم كالبلباء كلما راسلتهني، كما أصبحت غير قادرة على النوم، وعندما أنوي التحدث معك، وتكون غالباً يُولمني قلبي دون سبب، لا أعرف إن كان هنا هو شعور الحب، فأنا لم أحّب أحداً من قبل.

تسلىت كلماتها أسفل جلدہ لتسري في عروقه، وتسبدل أحزانه بفرحة غامرة فيثبت فيه رغبة جامحة لضمها، ولأول مرة لم يعرف بم يجيب، فقد كانت نبضات قلبه أقوى من صوت عقله، فأكملت قائلة بنبرة أنهكها العشق:

أخبرني رجاء، هل هنا هو الحب؟؟

تنهد خالد باريحية وقال بحنان: نعم؛ هنا هو الحب! هو الذي جعل قلبك يخفق مثلما فعل مع قلبي حتى إنه خيل إليّ أنني مريض وفتها حتى علمت أنك السبب، عندما خفق قلبي من جديد في الزمان الذي ظننت فيه أنه توقف ومات، لقد أعادت ملائكتك الحياة لقلبي وكأنك بعثت فيه ترياقاً جعله يخفق من جديد، عرفت معك أن المستحيل لا وجود له، وتركت روحي تحلق عالياً لتعانق روحك، أدمنت رسائلك التي انتشلتني من قاع

الماسي، أود أنأشكر الحياة القاسية التي عن طريقها عرفتك يا ملاكي، لم أؤمن يوماً بعلاقة بعيدة المدى، وعاهدت نفسي أني لن أحب ثانية، ولكنني نكثت وعدى، وبراءتك كسرت جميع القواعد التي وضعتها، أحبك وأموت فيك عشقًا، لم أراك بعد فماذا لورأيتك! سأجن بحبك.

كانت تانيا لا تتسم بسعادة والدموع تترافق من عينيها، فلم تظن يوماً أن يأتي رجل ليغوضها فقدان كل من خسرته، لكن هذا الغريب قد فعل!

من حسن الحظ أنك في حياتي ياكاز، كنت أعيش الوحدة أما الآن فأعيشك أنت.

قال بنبرة رجاء: إن كان الذي في قلبك حبّاً، فهذا يعني أنك ستفهمين شعوري بالخوف على سلامتك.

صمت قليلا ثم أضاف:

ملاكي، أنتِ من أنقذتني من الوحدة التي كنت فيها، رجاء تخلي عن خطتك تلك.

بقيت تانيا تستمع إليه دون أن تنبس بكلمة وراح يقول متوسلاً:

لاأريد خسارتك فأنا لم أفرجك بعد، دعك من الانتقام فهو ليس حلاً، بل لن تناли منه شيئاً سوى تأنيب الضمير وعذابه.

تنهدت تانيا بعدما أغضبت عينيها وهي تشعر بالدموع الساخنة تتسلل من بين جفونها المطريقين وقالت: حسناً، لك ما شئت.

أحس خالد بقلبه يخفق فرحاً بين ضلوعه بعدها سمع كلماتها، فصاح بسعادة:

حَّقا! هل تعديني؟!

هزلت رأسها مستسلمة وهي تقول:

أعدك، لقد أمضيت وقتاً طويلاً للوصول إلى هدفي، وعندما أدركت أنك أنت هدفي تراجعت.

ظللت قدس تفكير في كلام تانيا الذي راح ينكر في ذهنها، واختلط عليها صوت ضميرها الذي راح يحثها على إخبار سامي بهذا السر الذي يصعب إخفائه، لأنها لم تشا أن ينفطر قلبها! وفجأة أنقذها رنين الهاتف من شرودها، فرددت دون أن تعرف من المتصل.

مرحباً أميرتي، كيف حالك؟

ابتلاعت ريقها بصعوبة ثم قالت: أهلاً.

هكذا فقط؟

عقدت حاجبيها لعدم فهمها قصده وردت على سؤاله متسائلة: مازاً تعني؟

فرد مازحاً: أهلاً دون كيف حالك يا حبيبي الوسيم؟

تنهدت بعمق وابتسمت بأريحية وهي تقول: بل تقصد كيف حالك يا حبيبي الأحمق!

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

ما دمت حبيبك فلا يهم إن كنت وسيماً أم أحمق.

صمنت قليلاً بعدما وحزها ضميرها تأنيباً، وأغمضت عينيها بقوه ثم قالت:
سامي، أريد التحدث معك في موضوع مهم.

رد عليها وقد بدا على صوته الحيرة: خير حبيبتي، ماذ حدث؟ هل أنت
مربيحة؟

تنهدت ثم ردت عليه: لا تقلق، أنا بخير، ما رأيك لو نلتقي لاحقاً في الحديقة
التي اعتدنا الذهاب إليها.

حاضر حبيبتي، سأرسلك عندما أنتهي من بعض الأعمال العالقة.

أغلقت الهاتف وراحت تفكّر كيف تواجهه! وتحمّل قلبها مرارة الحقيقة المرهقة،
وماذا عن صديقتها التي وثقت بها وأودعتها أكبر أسرارها هل تعنّها
وتخونها؟

أخذت تائياً تطالع كتاب "الأمير" لميكافيلي، بعد أن بات كتابها المفضل
يوم قررت أن تشرع في الانتقام، التهمت أحرفه التي بثت السعادة داخلها،
لكنها سرعان ما قررت أخذ استراحة صغيرة من القراءة بعدما وصلها إشعار
من حاسوبها فعرفت أن جهاز جميل اتصل بالشبكة.

نظرت إلى الساعة لتجدها تجاوزت السادسة، خفق قلبها بشدة، بات حلمها في
تناول يدها ويمكنها تحقيقه الآن في هذه اللحظة، لكنها ترددت لأنها قطعت

وعدًا لказ انوفا، إلى أن حزمت أمرها وكتبت على غرفة الدردشة الخاصة بها وبказا بسرعة كبيرة: عندما ترى رسالتي أجبني فورًا، لدى شيء مهم لك!!

راحت تقضم أظفارها منتظرة قدمه والرد على رسالتها، لم تمر خمس دقائق حتى أجابها قائلاً: أتىت حبيبتي، أخبريني ماذا هناك هل حدث شيء مهم؟

ابتسمت بعدها رأت رسالته وراحت تكتب قائلة: لقد استلمت ملفات عن أشخاص قد تم الإعلان عن أنهم خائنون، لذا تم نشر جميع الجرائم التي فعلوها في ملفات مع الأسماء المزيفة التي كانوا يستخدمونها وهوياتهم الحقيقية.

فاطعها قائلاً: أين عثرت عليهم؟؟

في مكان سري من الدبب ويب، اعتدت أن أغير على ملفات مشابهة لكن لم أكن أعييرها أي اهتمام، إلا هذه المرة بعد أن تذكرت قصة زينة، أي عذوك الذي لم تجده حتى الآن، سأرسلها لك الآن عليك تجده بينهم.

لأعرف كيف أشكرك على كل هذا المجهود الذي قمت به! حقاً أشكرك لن أنسى معرفتك لهذا طيلة حياتي.

أخذ خالد الملفات في قرص صغيرة وغادر المنزل مسرعاً إلى مركز الشرطة لتسليم الأدلة إلى رئيسه، أما تانيا فبمجرد أن أغلقت الدردشة حتى بدأ ضميرها بتأنبيها، وراحت تردد بين نفسها بأنه لن يغفر لها الفعلة التي على وشك أن تقوم بها فالعاشق لا يشك في معشوقة، ثم قالت في نفسها: إن خير حل هو إزالة الشك فمن حقها معرفة المزيد عن الشخص الذي سرق قلبها. لاحظت أن جهاز كاز انوفا الذي اخترقته قد شرع في التثبيت داخل حاسوبها

فراحت تتنظره بقلب مرتجف، راحت تتفحص محتويات الملفات التي بداخله فوجدت أنه يحوي الكثير من الملفات المشفرة التي يصعب تفكيكها حتى إن معظم التشفيرات لم تر مثيلاً لها من قبل، ذهلت لوجود العديد من الملفات مخفية من على سطح شاشة المكتب، فأخذت تقرب عينيها من حاسوبها كي تركز أكثر لكن حرارة جسدها المرتعش منعها من التركيز فاستوت واقفة وتهدت بعمق مغمضة عينيها حتى شعرت بالهواء يدخل رئتها، جلست ثانية وبشرت تتصفح الجهاز وتفك شيفرات الملف الأول الذي صادفها، ذهلت مما رأت وأحسست بالأرض تدور من حولها، كان الملف ممتنعاً بالعديد من شهادات القدير الموجهة من شرطة مكافحة الجرائم الإلكترونية لـ "خالد"، لطالما تمنى معرفة اسمه لكن ليس بهذه الطريقة! فوجئت بالعديد من سجلات مجرمي الإنترن特 الخطرين مرفقة بالجرائم التي ارتكبوها مرفقة بصور تشعر لها الأبدان تكشف ببعضها من جرائمهم، ذعرت مما رأت واستمرت باحثة عن المزيد قبل أن يكتشف أمرها، التهمت السجلات بعينيها لتفاجأ بما لا يحمد عقباه، سرت رعدة باردة أسفل عمودها الفقري وانتقلت عيناهَا بسرعة إلى ملف أثارت علامه الاستفهام على أيقونته انتباها، تسبب جبينها عرقاً بينما وضعت يدها على صدرها عندما شعرت بقلبيها يخفق من الرهبة، ابتلعت ريقها بصعوبة وأخذت تفك شيفرة الملف، كان فكهَا درباً من دروب الخيال، وبعد دقائق قليلة، بات الملف تحت سيطرتها.

لم تستطع الضغط على الفأرة لفتحه فقد منعها ارجاف يديها، شعرت بأن حلقها جف كسمكة أقيمت على شاطئ رملي، فتحت قنينة المياه وسكتت لنفسها كأساً كبيرة من الماء، عندئذ في اللحظة التي كانت تعدل فيها جلستها تذكرت اعترافه بحبه لها، فانهمرت دموعها دون توقف، استجمعت شجاعتها أخيراً وفتحت الملف لتجد لقطات الشاشة لجميع الرسائل التي دارت بينهما، انفجرت عيناهَا بالدموع بعدما سمعت تسجيلات مكالماتهما الصوتية، لم تستطع كبح

دموعها فاستوت واقفة وراحت تصرخ بأعلى صوتها دون أن تقول كلمة مفهومية، فقط تصرخ باكية لعل صراخها يطفئ النار التي اشتعلت في قلبها، سقطت على الأرض باكية منهارة وتمتنع وهي تجثو على ركبتيها خائرة القوى.

كيف صدقته ووثقت به؟

أخذت تضرب جبينها بيدها مضيفة:

"كيف! كيف!! يا لي من بلهاء!!"

شهقت وراحت تصرخ وصوتها يقطر ألمًا. بعدما وهبتك حياتي! أمنتك على أسراري! أحبيبتك وأنا التي لم تحب، وثقت بك كالخرقاء، وأنا التي لا تثق بأحد.

بعد صراع أدركت أن صمت الوحيدة أفضل مئة مرة من صوت منافق، وأما من صاحب المنافقين في حياته لن تصعب عليه الوحيدة.

مسحت دموعها بطرف ثوبها، حاولت أن تهدئ من نفسها ثم وقفت وخطت خطوات ثقيلة لتجلس ثانية أمام الحاسوب ومدت يدها نحوه ثم دخلت جهاز جميل وراحت تستخرج منه السجلات السرية للشركة التي كانت مخزنة في مكان "آمن" أو هذا ما كان يعتقده جميل.

كانت سجلات سرية لدرجة تجعل الشركة تغوص في قاع الإفلاس، جميع المعلومات التي تم حجبها عن العامة وغير المتصفح بها، جلبت الواقع التي جمعتها وبدأت تستعد لتسريب السجلات عليها، وبكل بروعة أعصاب وبناذذ حلو ضغطت على زر الإرسال، فتفاافت الأسرار المحبوسة لتنال حريتها،

بعدها عادت إلى جهاز جميل وأخذت كلمات المرور الخاصة بحساباته البنكية ونقلتها مباشرة إلى حسابها الوهمي لكيلا يتم اكتشاف هويتها مع أن هذا لم يعد يهمها كثيراً لأن كازا قام بالواجب وأكثر.

شطرت قميصها عن ذراعيها وراحت ترسل الأموال التي نقلتها إلى الحسابات الخاصة بالجمعيات الخيرية التي جمعتها في مختلف أنحاء العالم، ولم تنس أن ترسل مبلغاً طيباً للمسنة التي طردها، عندئذ أغضبت عينيها وقالت بفرح:

على أكون قد حققت انتقامك يا والدي، لم أترك في الشركة التي سرقت منك فلساً واحداً، الحمد لله أنني أتممت مهمتي بسرعة لأن الحقير أطfa حاسوبه من دون أن يعرف بالكارثة التي وقع فيها.

ثم واصلت: يبدو أن حظي من الحب كحظي من البيولوجية.

تنهدت للحظة وشردت في المرأة دون أن تقول شيئاً، أو صلتها تأملاتها الطويلة إلى قرار مخيف.

خرجت تانياً مسرعة من المنزل بعدما أنهت مهمتها وأخذت معها القرص الخاص بها.

أتى مساء ذلك اليوم وتوجه سامي إلى الحديقة منتظراً حبيبته الحسناء، لم تمض دقائق حتى وصلت في الموعد، سلم عليها دون أن ينتبه إلى عبوسها، فراح يقول في سعادة وشوق: أخبريني يا قدس، كيف تزدادين جمالاً في كل مرة أراك فيها؟!

..... صمت سيكادا عائشة بشارب

ابتسمت بلطف وقالت مازحة: إنه سر.

صمنت ثم راحت تفكّر في القبلة التي ستُفجّرها في وجه المسكين، أمسكت
بيده وحثّته على الجلوس، فسألتها باستغراب: خير ما به القمر؟ هل هو حزين؟
وما هو الموضوع المهم الذي استدعى ظنّي من أجله؟

احتارت كيف تبدأ حديثها الذي بدا ثقيلاً على قلبها، فتأملته ملياً وقالت:

سيبدو طلبي مجنوناً قليلاً، لكن رجاء هل يمكنك أن تحكي لي قليلاً عن
عائلتك؟

صمنت قليلاً وابتلعت ريقها مضيفة:

أقصد والدك!

أجابها والقلق يدب في قلبها:

لماذا تريدين أن أحكي لك عن والدي؟ هل فعل لك شيئاً؟؟

نهض من مقعده الغضب العارم يخيم على عضلات وجهه مضيفاً:

قولي الحقيقة!!

أمسكت بيده وربّت عليه بحنان ثم قالت:

اهـأ رجاء فهو لم يفعل شيئاً لي، بل لشخص آخر!

ما الذي تقصّدينه يا قدس، أوضّحي، أنا لا أفهم شيئاً سأصحاب بالجنون!

سادت لحظة صمت، النقطت خاللها نفساً عميقاً وسألته بنبرة متالمة دامعة:

أجبني فقط، هل كان متزوجاً بأمرأة غير والدتك؟

ذهل من سؤالها ودارت في رأسه عشرات الأفكار.

كان الجو كثيئاً والصمت ثقيلاً، جلست تانياً وسط قبرى والديها، أو بمعنى أصح ارتمت بكابة بينهما، كان المكان ساكتاً يخيم عليه حزن عميق، أما الطيور فقد كانت قابعة فوق أغصان الأشجار ساكنة صامتة هي الأخرى.

حان الوقت لأنجز خطوطي الأخيرة، فلم أعد قادرة على حمل هذا العبء أكثر، هذه ليست حياة يا أمي، لا أستطيع الاستمرار مع كل هذا الظلام الذي بداخلي، أتسمعني يا أبي؟ أخشى أن تتلاشى ملامحك من ذكرياتي مثل سعادتي، سئمت من نفاق العالم، لم أعد أجد فرقاً بين الحياة وجهنم التي كنت تصفعها لي في صغرى، كانت أكبر مخاوفي أن أفعل أشياء خاطئة تلقيني في نار جهنم لكن، صدقني لم تعد نارها تخيفني أكثر من نار البشر.

التوت شفتاها بابتسمة مؤلمة ثم أردفت قائلة: في النهاية جعلوني أشبههم أيضاً، كل ما تلقيته من عائلتي البيولوجية هو الألم وخيبة الأمل، لذا لم أتوقع من الغرباء شيئاً جميلاً؟

كان الموتى يصغون إليها مشدوهين، وأوراق الأشجار تهتز بتنهيدة متالمة وهي تغادر بصمت.

بدأ الظلام يرخي سدوله، وكانت قدس سجينة خواطر خلقت في خيالها صور مخيفة، كانت في موقف لا تحسد عليه.

أبدًا! من أين جئت بهذه الهراء؟!

صمت فليلاً وراح يسترجع ذكرى منسية فقال مستذكرةً: آه صحيح تذكرت، باحث والدتي لي مرة عن امرأة كانت مهووسة بأبي، أعتقد أنها خادمته، لكنها ماتت بسبب مرضها الخطير منذ زمن بعيد، لأحد خارج العائلة يعلم بهذه القصة لكن، كيف علمت بها؟؟؟

كانت قدس تستمع لحديثه بتركيز بينما تفرك يديها وتقضم شفتيها، ثم قالت بشجاعة:

أعلم أن ما سأقوله جنون في حد ذاته لكنه حقيقي، صدقني!

حق سامي فيها باستغراب بينما راحت تقول:

يؤسفني إعلامك أن الحكاية التي سمعت طرفها كاذبة، فتلك المسكينة كانت على علاقة بوالدك، وعدها بالزواج كما أنها قد أنجبت منه مولوداً.

في تلك اللحظة المشحونة، انفجر سامي كالبركان، وقاطعها قائلاً:

هل هذا نوع ثقيل من المزاح أم أنك جنت؟ ما الذي تقولينه، من تحذلين عنه يكون والدي !!

اسمعني رجاء قبل أن تنفعل هكذا!

تنهدت منهكة ثم أضافت بنبرة رجاء:

..... صمت سيكادا عائشة بشارب.....

سامي، عدنى أرجوك.

أحابها بعينيه وحاجبيه بأنه لم يفهم قصدها، فقالت مضيفة:

عدنى ألا تسمح لقلبك أن ينكسر بعد سماعك ما سأقوله!

أخذ قلبه يقفز هلعاً، فقد أكدت ملامح وجهها أن الموضوع في غاية الجدية:

والدك كان السبب في وفاة تلك المسكنينة يا سامي، لقد ماتت منتحرة خوفاً منه لأنه لم يخذلها فحسب، وإنما عاملها بقسوة لا توصف وجعلها تعيش في رعب لا يطاق، بمعنى آخر هو من قادها إلى الانتحار.

بذل جهداً كبيراً في كظم غيظه:

تعلمين مكانك في قلبي، لكنني لن اسمح لك إطلاقاً بالتحدث عن والدي بهذه الطريقة، يا خيبة ظني بك! لم أتوقعك هكذا!!

نهض مغادرًا من دون أن يضيف شيئاً فأمسكت بيده موقفة إياه:

تانياًلاً أختك يا سامي!

التفت إليها ساكناً كصنم حتى خيل إليها أنه لم يعد يتتنفس، ضاق صدره وبات يتمتم بهمس: "أخت.. تانياًلاً".

أحاطته قدس بذراعيها لتجلسه على الكرسي مجدداً وهي لا تزال تضممه بقوه، وتهمس في أذنه: أهلاً حبيبي، أهلاً، لا ذنب لك، أهلاً، خذ نفساً عميقاً.

بعد دقائق، بدأ غبار القبلة التي فجرتها في وجه المسكين ينفع، وما ساعد على انفاسه تلك الضمة التي زادتها قوة الصدمة.

روت الحكاية وهي تمسك بيده بقوة كأنها تخشى أن يختفي من أمامها. تروي وتنتظر إلى عينيه، وكلما رأت أنه لم يعد قادرًا على الاحتمال ضمته إلى صدرها، إلى أن تمكن من إزال آخر الحمولة الثقيلة.

بعد صمت طويل، قال بنبرة مكسورة: كيف علمت؟
من تانيا!

تانيا!! أين هي؟ يجدر بي النهاب إليها الآن.

أمسكت بيده وقربت وجهها من وجهه بجرأة، وقالت ببراءة وخوف وهي تكاد تبكي: سامي! تانيا ت يريد الانتقام من والدك، أخشى أن تكون قد شرعت في انتقامها.

أصيب سامي بالذهول فأفلت قبضة يدها وهو يركض بسرعة ناحية سيارته، فصرخت بذعر: سامي، إلى أين؟ سامي ماذا تفعل!

فالتفت إليها بنبرة حازمة:

ذاهب للبحث عن تانيا!

دخلت تانيا الشركة مطاطنة رأسها كي لا تلمحها كاميرات المراقبة، ثم صعدت إلى مكتب جميل وهي تتخفّى بحذر حتى رأت موظفة الاستقبال الخاصة به، فخطرت ببالها فكرة، نزلت إلى الطابق السفلي ثم مدت يدها وأزالت دبوساً أمسك شعرها فانفلت مفترشاً كفيها، رسمت ابتسامة مشرقة على وجهها بصعوبة وتوجهت إلى موظف الاستقبال:

مرحبا هل يمكنك أن تسدي لي خدمة صغيرة؟

كان الموظف شاباً صغيراً بالسن أربكته ابتسامتها العذبة:

بالطبع آنسني تفضلي، كيف يمكنني مساعدتك؟

قالت وهي تحاول ضبط إيقاع ابتسامتها:

أتيت لزيارة قريبتي، تعمل سكرتيرة رئيس الشركة هنا، هل يمكنك استدعاؤها من أجلي؟

يمكنك الذهاب إليها مباشرة، هل ترغبين في أن أرشدك إلى الطريق؟

لعنـته في سرها، ثم ردت بطريقة تستـرعي الإعجاب: أعرف الطريق جيداً، لكن أردت مفاجأتها بعيد ميلادهااليوم.

في هذه الحالة، سيكون ذلك من دواعي سروري.

رافـته وهو يتـوجه إلى المصـعد، ركـضت مـسرعة وهي تصـعد الدرج وـاختـبـأت خـلف جـدار قـرـيب فـرأـته يـدخل المـكتـب، بـعـد هـنـيـة، رـأـتهـما يـغـادـران المـكتـب نحو المصـعد. وـحيـنـما أـقـلـلـ بـاب المصـعد رـكـضـت سـريـعاً إـلـى مـكتـب جـمـيل

مشغلة الحاسوب وموصلة القرص به، ومن خلاله تمكنت من اختراق الخزنة المشفرة، توجهت نحوها وانحنت ببطء لتجد داخلها ما لم تتوقع وجوده!

كانت داخلها ملفات سوداء وفور أن قرأت عناوينها فهمت على الفور ماهيتها، لقد كانت جميعها تهديدات خبأها جميل ضد شركائه حتى لا يفكروا يوماً بسحب استثماراتهم من الشركة، صحيح أن عقله ذو أفكار شيطانية لكنه يبقى محدوداً لأنه لم يخطر بباله أن السلاح الذي يحتمي به سيقتلها في يوم من الأيام.

علت ملامحها ضحكة شيطانية، وهي تهم بالغادره عندما حفقت ما ولدت من أجله، ثم توقفت فجأة لتعود إلى الحاسوب بعد أن خطرت ببالها فكرة جنونية جديدة، لم تمر خمس دقائق حتى أنجزت الفكرة وحولتها إلى حقيقة، لم تنتبه إلى الوقت، فحين همت بالغادره مجدداً وقفت خلف الباب لترى إن كان هناك أحد، فأصابتها الحيرة عندما اكتشفت أنها باتت محاصرة، بعد أن رأت الموظفة تجلس في مكتبه، جاءتها فكرة جديدة، عادت إلى أقصى الغرفة وأمسكت هاتفها وبعد ثوان:

ألو، قدس، اسمعنيني، أريدك أن تتصل بي على الفور بموظفة جميل.

قطعتها قدس متسائلة بنبرة جنونية:

أين أنت يا تانيا؟ هل عدت إلى مكتبه ثانية؟!

زفرت تانيا وقالت بجدية:

صمت سيكادا عائشة بشارب.....

اسمعيني! أنا في مأزق خطير وأطلب منك المساعدة، أريدك أن تتصل بي
بموظفة جميل وتخبرها أن تذهب إلى الساحة الخلفية للشركة فالامر طارئ،
حالا!!

تنهدت قدس وقالت بنبرة يملأها الحزن:

حسناً، وأنمني أن تسامحيني على ما فعلته.

استغربت تانياً فسألتها عن قصدها؟ أجابتها قدس والدموع تنهر من عينيها:

سامي يعرف كل شيء يا تانيا.. أخبرته كل شيء! إنه يبحث عنك الآن، أنا
آسفة لم أقصد أن..

أففت تانياً الخط بوجهها، توجّهت نحو الباب ببطء وهي تحاول أن تفيف من
الصفعة، لم تمر دقيقة حتى رن هاتف الموظفة فغادرت المكتب مسرعة ومعها
الملفات.

أثار اختراق حواسيب الشركة غضب الموظفين، ليتحول الغضب إلى هممات
تبعها وشوشات وأحاديث جانبية حول اللائحة التي رافقت عملية الاختراق،
أما العبارة التي جاءت في ذيلها بالأحمر القاني "اصابني العمى حين أحببتك"،
فقد أثارت العديد من الهمسات.

دخل سامي إلى الشركة وفوجئ من الموظفين الذين يغادرون الشركة غير
عابئين به، وهم الذين كانت نظرة واحدة منه تكفي لإسعادهم، لم يطق صبراً
فأوقف موظفاً سائلاً إيه عمما يجري فأخبره أن الشركة قد أخترقت وأن أسراراً
قد كشفت، وأنها بانت مفلاسة لا محالة.

تمكنت تانيا من الخروج من الشركة في الوقت المحدد قبل أن يراها سامي الذي دخل مكتب والده ليجد باب خزنته مفتوحاً، فأدرك أن شقيقته كانت هنا وأن ما يجري هو انتقامتها.

لم تذهب تانيا إلى المنزل بل ذهبت إلى مركز الشرطة، فجأة لمحت مراهقاً لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره يلعب بالكرة فنادت عليه، لحسن حظها أنه كان مطبيعاً، تقدم نحوها فقالت بنبرة لطيفة:

ما رأيك لو أعطيتك مهمة صغيرة تناول مقابلها مبالغًا تشتري بها كرة أجمل من هذه الكرة؟

هز رأسه موافقاً فأشارت بيدها نحو مركز الشرطة: إذن اسمعني جيداً ما رأيك أن تدخل إلى هناك، وتأخذ هذه الملفات وتعطيها إلى أي شرطي تراه.

أجابها وهو يبتعد بخطوات بطيئة:

أعتذر لا يمكنني فعل ذلك، أخاف أن أسجن!

وضعت يدها بلطف فوق رأسه وسألته بابتسمة مشرقة:

أخبرني صديقي الصغير، ما اسمك؟

اسمي "مصطفى".

نظرت إليه بحنان أكبر ثم تنهدت وهي تقول:

حسنا يا مصطفى، أنا شرطية لا أرتدي الزي الرسمي لأنني في مهمة سرية، أنا أعدك أنه لن يصيبك أي مكروه، ما رأيك بهذا الاتفاق، قل للشرطية إن

زميلاتك الشرطية أعطتني هذه الملفات وأن عليك أن تسلّمها لمدير المركز فوراً، وفي المقابل سأعطيك نصف المبلغ الآن، وربما تصبح شرطياً صغيراً عندما يكافئك المدير؟

هز رأسه فرحاً فأعطته النقود والملفات فانطلق من فوره وهو يتخيّل نفسه يرتدي ملابس الشرطي والأطفال المشاغبين يهربون من حوله.

راح تراقب من بعيد حتى رأته يخرج من المركز برفقة شرطي يحمل بين يديه الملفات السوداء والطفل يقف حائزاً وهو يتصفّح الوجوه بحثاً عنها.

مرت ساعة دون أن تلاحظ أي حركة غير عادية أمام المركز، وفجأة دوت صفارات سيارات الشرطة وهي تخرج تباعاً من المرأب، أسعدها المشهد لأنها علمت وقتها أنها سدت الضربة القاضية.

بينما كان خالد في مركز الشرطة ينهي لمسات التحقيق الذي كان يتبعه منذ مدة وفي لحظة تفكير عميق تذكر الملفات التي أرسلتها إليه سيكادا، فانفجر ضاحكاً من غبائه وعدم اكتشافه طيلة الوقت أنها كانت قد اخترقت حاسوبه بحيلة ماكرة!! ارتبك ارتباكاً جعله ينطلق مسرعاً لبيته.

ها هو يفتح حاسوبه ليجد الصدمة الموجعة فقد باتت حبيبته تعلم بأسراره الآن، اتصل بها مراراً وتكراراً لكن دون جدوى، قرر أن يلحاً إلى خبرته، وبعد جهد تمكّن من تحديد عنوانها عبر الموقع الخاص بها، فانطلق إلى وجهته بسرعة على أمل أن تفهم معشوقته خططه.

حل الليل ووصل خالد إلى بيت صغير وراح الخوف يغازله منذ لحظة وصوله، ركن سيارته بالقرب منه وأسرع نحوه طارقاً بابه فوجده مفتوحاً مما جعل ضربات قلبه تتسرّع، فأبطأ خطواته ومد يده فوق سلاحه استعداداً لأي مجهول، فتح الباب ببطء شديد وبهدوء، راح يتحرّك بخطوات حريصة مدققاً في كل التفاصيل، لكن مفاجأة غير سارة كانت تنتظره هناك، كان الجو كثيفاً بشكل لا يحتمل، فجأة لمح ضوءاً خافضاً جنباً نحو غرفة جانبية، وما إن دخل حتى لمح ذاك الكم الهائل من الدماء منتشرًا على الأرضية، فشعر بالدوار من هول المنظر ولم يستطع استيعاب ما رأته عيناه، ظل شاحضاً ببصره نحو الأرضية، تقدم ببطء ومع ذلك كاد ينزلق بالدماء، يا للهول! كانت تانياً متکئة إلى حاسوبها محاطة ببقعة دم كبيرة! أطلق شهقة عالية كادت تيقظ الموتى من قبورهم.

سيكادا!!!

جنا على قدميه، لينهض مجدداً، حملها بين ذراعيه واحتضنها باكياً، وضعها على السرير ليلاحظ أن الدماء تتدفق من عروق يدها، لحظتها تذكر انتحرار حبيبته زينة والفتاة البريئة التي منعته صدمته من إنقاذهما، فقرر مواجهة رهابه قبل أن يفقد آخر من أحبه قلبه، دون تفكير خلع حزامه وربط به يدها، شعر بأن الحزام غير كاف أو هكذا رأى، خلع رباط حذائه وأعاد ربط يدها بكل ما أوتي من قوة، فخرج منها تأوه خافت.

أحس بالحياة تدب فيه من جديد. فتحت عينيها بجهود وراحت ترمي بنظرة حانية، شرد في جمال عينيها العسليتين، وبصوت يكاد يسمع قالت:

لقد كنت أنت منذ البداية.

عاد إلى رشده فحملها بين ذراعيه وراح يركض غير عابي بالظلمة والدماء،
وضعها بمقدمه السيارة وقادها بأقصى سرعة، وقلبه يخفق بشدة والصدمة
تغاليه، وهو يقاوم حتى يتمكن من إنفاذ حياتها:

رجاء لا تتركيني.

راح يصرخ عندما لاحظ أنها فقدت وعيها، وما إن وصل المشفى حتى أدرك
وهو يحملها بين ذراعيه أنه لا يحمل سوى أحلامه المحطمة.

تمت بفضل الله.

..... صمت سيكادا عائشة بوشارب